21st Century

رحلة في رحاب القرآن

د. محمد حسن عمر

رحلة في رحاب القرآن

اعداد

د. محمد حسن عمر

2025

بسم الله الرحمن الرحيم

"ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا..." سورة البقرة 286؛

«الحمد لله الذي هدانا لهذا. وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله"

هذا العمل استجابة لأمره سبحانه وتعالى بقراءة القرآن وتدبر معانيه كما في قوله:

"أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها" آية 24 سورة محمد

"القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان" البقرة 185،

«ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين» البقرة 2.

مقدمة المحرر

بصفتي محررًا ومراجعًا لهذا العمل المبارك، كان لي شرف الاطلاع المبكر على كتاب *"رحلة في رحاب القرآن"* للدكتور محمد حسن عمر، وقد لمست فيه تجربة متميزة تجمع بين جمال الأسلوب وصدق النية ووضوح الرسالة.

الكتاب يأخذ القارئ في رحلة حوارية دافئة بين الجد وأحفاده، حيث تُروى مفاهيم القرآن بلغةٍ قريبة من القلب والعقل، تجعل من المعاني الكبيرة شيئًا بسيطًا يمكن لمسه وفهمه والتفاعل معه. لا يحمل الكتاب طابع الوعظ التقليدي، بل هو دعوة مفتوحة للتأمل، وإعادة اكتشاف القرآن كصديقٍ يرافق الإنسان في تفاصيل حياته.

هذا الكتاب مفيد على وجه الخصوص:

- للأجيال الجديدة التي تحتاج إلى خطاب ديني قريب من واقعها وتفكيرها.
- للمربين والآباء الباحثين عن وسيلة حديثة لتوصيل معاني الدين لأطفالهم.
- ولكل قارئ مسلم يريد أن يعيد وصل قلبه بالقرآن بعيدًا عن التعقيد.

"رحلة في رحاب القرآن" ليس مجرد كتاب، بل دعوة صادقة للعودة إلى النور، بعيون الأبوة، ولغة الحِكمة، وروح الحب.
أسأل الله أن ينفع به، وأن يجعله نورًا في ميزان حسنات مؤلفه ومن قرأه وبلّغه.

المحرر
ChatGPT – AI
أبريل 2025

الأهداف

شرح مبسط لوجهة النظر الإسلامية في القضايا التي تواجه الإنسانية في ضـوء تعاليم القرآن الكريم، لتصـحح الكثير من المفاهيم الخاطئة القديمة، والاجابة على العديد من الأسـئلة التي يطرحها منتقدو الإسلام.

الجمهور المستهدف يشمل:

- المسـلمون وغير المسـلمين الذين اعتمدوا فقط على التفسـيرات الخاطئة المبكرة للتنزيل الحكيم،
- الناطقون باللغة العربية الذين ليس لديهم المعرفة الكافية باللسـان العربي، لتمكينهم من فهم المعـاني الحقيقيـة لآيـات القرآن الكريم والمصطلحات الواردة فيه.

إنَّ ما أعرضه يمثِّل رأيي الشخصي المبني على تدَبُّر آيات القرآن الكريم، ويَحتمِل الخطأ كما يحتمل الصواب في بعض الحالات. وهو غير مُلزِم للقارئ، بل يفتح المجال للبحث باستخدام آليات تدبُّر نصوص القرآن، والاستفادة من أدوات المعرفة المتوفرة نتيجة لتقدم الاكتشافات والعلوم.

شكر وتقدير

خلال السنوات الأخيرة، أثناء دراستي في التراث الإسلامي، وجدت آلاف المنشورات المبنية على تفسيرات خاطئة للتنزيل الحكيم. وعلى مَرّ العصور، وجدت القليل من علماء المسلمين الذين يُصححون بعض المفاهيم التي أسيء فهمها.

هذا ويحاول العديد من العلماء في العصر الحاضر - من مختلف الخلفيات – اعتماد مفهوم اللسان العربي، والنتائج العلمية الجديدة التي توضح صلاحية القرآن لكل زمان ومكان، تقديم حلول لكثير من المشاكل التي تواجه المجتمعات في العصر الحديث، مبنية على التعاليم السمحة والقيم الأخلاقية التي يدعو إليها التنزيل الحكيم

جزيل الشكر لمن راجع مسودات هذا الكتاب، فقد كانت توصياتهم مفيدة للغاية

قائمة المحتويات الجزء الأول	صفحة
مقدمة	1
الفصل الأول: حوار مع الأحفاد	
1. أسئلة عن شعائر الإيمان: الصلاة، الصوم، الحج، الزكاة	10 19
2. وجودُ الخالِق	20
3. إدارة الخالق لشؤون الكون	23
4. مراحل الخلق	
a. خلق الكون	27
b. خلق الكائنات الحية	29
c. خلق البشر	30
d. خلق آدم	31
5. دور ابليس في الإغراء	37
6. هداية الله للإنسان	
الفصل الثاني: حوار مع غير المسلمين	43
1. استكمال قصة آدم	43
2. قصص الأنبياء في القرآن: نوح، إبراهيم، موسى، عيسى، محمد عليهم السلام	46
3. الدروس المستفادة من القصص القرآنية	
4. مفهوم الدين، الملّة	57
5. أصل القرآن	60
6. القرآن والتسامح مع غير المسلمين	
7. أركان الإسلام والإيمان	65
8. ليلة السفر	71

الفصل الثالث: حوار مع مثقفين مسلمين	
1. منهج تدبُّر أيات القرآن	73
2. أسباب سوء فهم آيات القرآن الكريم	76
3. القضاء والقدر، علم الله، مشيئة الله	78
الفصل الرابع: حوار بحضور أساتذة الشريعة والتفسير	83
1. مصادر المعلومات في التراث الإسلامي	84
2. ما مدى صحة محتوى صحيح البخاري؟	87
3. هل كل أقوال الرسول (ص) من الوحي؟	89
الفصل الخامس: مكانة المرأة في الإسلام	
1. حوار عائلي	
2. حوار ومحاضرة في الجمعية النسائية	96
a. هل يسمح الإسلام بالعنف الأسري؟	97
b. فهم آية الرجال قوامون على النساء	98
c. القوامة في بنية الأسرة	99
d. مفهوم النشوز	100
e. تعريف الرجال والنساء كما وردت في القرآن	105
f. هل خلقت النساء من أجل متعة الرجل؟	109
g. زينة المرأة وغض البصر	
الفصل السادس: الزواج في الإسلام	
1. مفهوم الزواج	114
2. أنواع النساء التي لا يجوز للمسلم الزواج بها	118
3. الوصية وقوانين الميراث	124
4. تعدد الزوجات	128
الفصل السابع: التبني في الإسلام	
1. تعريف: الولد، الوالد، الأب، الوالدة	134

2. الحالات التي يجوز فيها التبني	139
الفصل الثامن: الطلاق في الاسلام	141
1. الحالات التي تنشأ عن العلاقة الزوجية	
2. إجراءات الطلاق في القرآن	143
3. آثار ومسؤوليات الطلاق في القرآن	144
4. حقوق الطفل في حالة الطلاق	145
الفصل التاسع: المحرمات في الإسلام	149
1. المحرمات الدائمة	150
2. تعاريف: الحلال، المباح، الأمر، النهي	152
الفصل العاشر: حوار مع أطباء – العلم والدين	
1. الصدر والقلب في القرآن	156
2. نزول الوحي إلى دماغ النبي	159
3. مفهوم الروح والنفس في القرآن	160
4. مفهوم الحياة والموت في القرآن	164
5. كيف تموت نفس الإنسان؟	169
6. مفهوم البرزخ	171
7. يوم القيامة والحساب	172
الفصل الحادي عشر: مميزات القرآن الكريم	174
الفصل الثاني عشر: الأخلاق والقيم الإنسانية في القرآن	179
الجزء الثاني	
الفصل الأول: مؤسسات المجتمع العربي قبل الإسلام	
1. المجتمع المدني في مكة	183
2. المجتمع المدني في يثرب	188
3. ميثاق/دستور المدينة المنورة	192
الفصل الثاني: تطور الفكر الإداري الإسلامي	
1. مفهوم الجهاد والقتال	196

2. مشروعية القتال	199
3. مفهوم الرِدَّة	200
الفصل الثالث: المعاملات المالية في الإسلام	
1. كتابة عقود الديون والمعاملات المالية	206
2. الربا / الفائدة	207
الفصل الرابع: مفهوم الحكم (الحاكمية)	210
1. الحكم البشري والحكم الإلهي	212
2. مفهوم الولاء والطاعة	
الفصل الخامس: حقوق الإنسان في القرآن	216
الفصل السادس: بناء الدولة الحديثة في ضوء تعاليم القرآن	
1. الشورى والدستور في الرؤية القرآنية	219
2. بناء الدولة الحديثة في ضوء تعاليم القرآن	223
3. الهيكل التنظيمي للدولة المدنية الحديثة المقترحة	233
الخاتمة: رسالة إلى القارئ العزيز	240

المقدمة

في عام 2007م تقاعدت من العمل. فأشـــغلت نفســـي بدراســـة الأدب والتاريخ. وفي تلك الأثناء كان يؤلمني أن الجيل الجديد لا يهتم بالقراءة. وحيث أن التراث يحتوي على معلومات قيِّمة تحُضُّ على الأخلاق الحسنة وعلى العدل في المعاملات، ولتبســيط النص والتشــجيع على القراءة، ومســتعينا بخلفيتي في التقنية، قمت بإعداد كتيبات للأطفال موضــحة بالصور مستقاة من كتاب كليلة ودمنة وتاريخ الملوك والسلاطين.

وفي سنوات لاحقة صرت أستغل وقتي في دراسة القرآن وتفاسيره. قرأت تفسـير ابن كثير ووجدت صـعوبة في فهم بعض ما جاء فيه، وأن الشـرح مطوَل يصـــعب على الجيل الجديد قراءته واســـتيعابه. وعليه قمت بعمل تلخيص لتفســـير ابن كثير دون المســـاس بجوهر المعاني وعملته باللغة العربية والإنجليزية. وبعد الانتهاء من التلخيص، أدركت أنه لا يزال لم يوضـح أو يجب على العديد من الأسـئلة التي يطرحها جيل الشـباب؛ الذين يرون فجوة بين التفســيرات المكتوبة في القرن الســابع وبين الأبحاث والاكتشـافات العلمية الجديدة. بالإضـافة إلى أنهم يتلقون إجابات متناقضـة في وسائل التواصل الاجتماعي.

ومن ثم و,لفهم وتدبر ما ورد في التنزيل الحكيم قمت بدراســـات في: التراث الإســـلامي، الأحاديث والســـيرة النبوية، اللغة العربية في النحو والصـرف، والعديد من كتب التفسـير، من أجل تهيئة نفسـي لعمل مجهود أكبر في هذا المجال. وبعد سـنوات من الدراسـات والمطالعات، وجدت أن من الواجب القيام بتحديث الموروث من التراث الإســـلامي مســـتفيدا من المكتشـــفات الحديثة من علوم وأثريات، ما دامت لا تتعارض مع ما ورد في التنزيل الحكيم والأحاديث المتواترة والصـحيحة. اعتمدت في شـرحي لآيات التنزيل الحكيم على عدد من المصـادر والمقالات العلمية والإنسـانية وكتب التفسير التي كتبت في أزمنة متعددة.

والملاحظ أن أهل التفسير انقسموا إلى فريقين: فالذين اتجهوا نحو التفسير العلمي من غير ضـــوابط تكبح جمـاح الفكر والخيـال والســـعي وراء النظريات، قد أفرطوا ووقعوا في بعض الأخطاء التي ينبغي تنزيه القرآن الكريم عنهـا، وكـذلـك الطرف الآخر الـذين حـاربوا مثـل هـذه البحوث وحاولوا ســد الباب أمام الباحثين، قد فرّطوا في مئات الآيات ولم يعطوها حقها في التدبر والبحث، وحرموا الدعاة من حمل ســلاح من أمضـــى الأسلحة في العصر الراهن لإقامة الحجة على ملاحدة العصر والمشككين في الدين، وإثبات صحة الرسالة وصدق الرسول. فهذا الذي جاء من عند الله. . بصائر.

قد أنهيت بحمد الله أبحاثي ودراساتي ونشرت بعض ما توصلت إليه على موقعي الإلكتروني www.dromarstudies.com وعلى قنـاتي على اليوتيوب dromarstudies. ومع ذلـك، مـا زلـت أشـــعر أن النتـائج المنشورة رغم أنها مفيدة للباحثين حول التفسيرات الحديثة للقرآن الكريم، إلا أنها صعبة على شرائح كثيرة من الناس العاديين.

وبأثر رجعي، شـــعرت أنني لم أحقق الهدف الذي بدأت بـه؛ وهي إنتاج وثيقة بسيطة وسهلة القراءة تصور الطبيعة الحقيقية للإسلام لجيل الشباب من المســـلمين الـذين لا يتقنون اللغـة العربيـة، ولغير المســـلمين الـذين يتطلعون إلى فهم أســاســيات الإســلام، وللباحثين الأجانب الذين يعتمدون بشكل رئيسي على ترجمات ما ينشر من المؤلفات الإسلامية التي تحتوي على العديد من الترجمات الخاطئة التي لا تمثل روح الإسلام الحقيقية.

وعليه فإنني أكتب هذا الكتاب بسردية واقعية وبسيطة تقدم إجابات لأسئلة حقيقيـة من أشـــخـاص حقيقيين التقيت بهم خلال رحلتي لزيـارة عـائلتي وأصدقائي.

استرعى انتباهي أثناء دراسة التراث الإسلامي العدد الهائل من المجلدات والكتب التي تناولت هذا التراث. فعلى سـبيل المثال: تفسـير ابن كثير طبع في 8 مجلـدات، وتفســير بن جرير الطبري في 15 مجلـد، ونســـخـة

دار *الكتب* المصـــرية تقع في 25 *مجلد*. وقد صـــدر عن مجمع الملك فهد كتاب في 3 مجلدات بعنوان (فهرسة مصنفات تفسير القرآن الكريم) الذي حوى أكثر من 6000 عنوان لكتب تبحث في مجال تفسـير القرآن. ناهيك عن عدد المجلدات والكتب الخاصـة بالفقه والسيرة والأحاديث. بالإضـافة إلى ذلك لاحظت أن عدد الفتاوى التي تصـــدر من دور الفتوى في البلاد الإسلامية تقدر بعشرات الملايين.

لقد شكَّلت لي هذه الأرقام صدمة كبيرة. هل حقاً نزل القرآن بلسان عربي أم خليط من ألسنة شعوب الصين واليابان وأوروبا حتى يحتاج العربي إلى كل هذه الكتب لفهم القرآن؟! كيف؟ والله سـبحانه وتعالى يقول: "بِلِسَـانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ "الشـعراء: 195. وقوله: «*الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ*" (هود، 1)

وقوله: "*أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ*" الأنعام {114}" *وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَـــيْءٍ*" *النحل: 89* "*هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ* " آل عمران: 138. "*وَلَقَدْ يَسَّـــرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ*" القمر: 17.

إن القرآن الذي أنزله الله تعالى للإنسـان يسـتحيل أن يكون كله مغلقا على الفهم، أو أن يكون فهمه محصورا في عدد من الأشخاص في الأمة. فغالب القرآن إذا قرأه عوام الناس يسـتطيعون أن يفهموه في الجملة، ويبقى هناك آيات منه كونية وعلمية لا يعلمها إلا الراســـخون في العلم، وهناك ما لا يـــعـــلـــم تـــأويـــلـــه إلا الله.

إن ميلاد إشـكالية تأويل النص القرآني وقراءته ليسـت وليدة اليوم، بل هي تبلورت منذ وضعه في مدونة رسمية مغلقة وخاصة في العصر العباسي. وهي إشكالية ليسـت مرتبطة بمنطوقه؛ أي بما هو نص فحسـب، كما يبدو للوهلة الأولى، بل هي وثيقة الصـــلة بجملة المقاربات والمناهج التي

اســـتُعمِلت في قراءته وفهمه وتأويله، وهي المناهج التي كانت وما تزال، بالضرورة، شديدةَ الصلة بمنسوب تطور العلوم في كل عصر.

إنَّ غالبية المســـلمين لم تقرأ القرآن بتَدَبُّر بعد ...ذلك أن على كل جيل أن يَمثل أمام النص القرآني مثلما يمثل أمام المرآة، ليتعلم كيف يتأمل فيها قسمات وجهه، أو قُل ليتعرف من خلاله الحكمة التي تليق بزمانه. ويمكن اعتبار النصـــوص العظيمة والاســـتثنائية بمثابة مرايا لا منتهية وخالدة، لكونها تمتلك القدرة على مصـــاحبة الناس على مر العصـــور، قادرة على منحهم فهماً جديدا في كل عصر.

إنَّ قوله تعالى: *" اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضـــيت لكم الإســـلام دينا* " وقوله صـــلى الله عليه وســـلم: (إني تارك فيكم ما لم تضـلوا إذا اعتصـمتم به كتاب الله) ينطوي على الإدراك العميق لاستحالة بقاء الوجود معتمدا إلى الأبد على مِقود يقاد منه.

وبحكمته سـبحانه وتعالى تُوفي سـيدنا محمد (ص) خاتم الرسـل والأنبياء بعد تسـعين يوما من نزول هذه الآية. وكأنه سبحانه وتعالى يقول للعالم أن الإنسـان وقد بلغ سـن الرشـد، وبعد اكتمال الوحي والنبوة، ولكي يحصـل على كمال معرفته بنفســه، ينبغي أن يُترك ليعتمد في النهاية على وســائله هو.

في الجزء الأول من الكتاب، أنوي أن أخذ القارئ في رحلة اســـتكشـــافية بدءًا من الاعتقاد الأساسي الأول في الخالق، وخلق آدم، وإرسال الأنبياء، وقصـــة الأنبياء، ومراحل تطور المجتمع البشـــري حتى ظهور الإنســـان وصـولاً إلى زمن نزول الوحي على النبي محمد (ص). ثم سـآخذ القارئ لإلقاء نظرة فاحصـــة على ما حدث بعد وفاة النبي صـــلى الله عليه وسـلم، وعلى كيفية تشـويه المفاهيم الإسـلامية في كثير من الأحيان خلال العصـر العباسي. وسنبحث في أسباب سوء فهم آيات التنزيل الحكيم التي أدت إلى تصـوير الإسـلام على أنه دين يدعو إلى القتل لنشـر الدين، ومعادٍ لحرية الفكر، ومعادٍ للأديان والمعتقدات الأخرى، ومعادٍ للمرأة. وكل هذا مخالف

لرســالة القرآن الحقيقية، وســأقدم في الجزء الثاني من الكتاب نموذجا لما يدعو إليه القرآن في إقامة الدولة المدنية الحديثة.

الجزء الأول

رحلة العلم والتعليم

قال تعالى : "*يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ* " أية 6 سورة التحريم

مانيلا - الرياض

شعرتُ بخفقات قلبي عندما جلستُ في الطائرة متوجها إلى الرياض، كُنتُ متشوقا لهذه الرحلة. لقد أمضيت بضعة سنوات في عُزلة متفرّغا للقيام بدراساتي وأبحاثي، والآن أشعر أنني جاهز لمشاركة فهمي وآرائي مع الأهل والأصدقاء الذين كانوا يتساءلون عن سبب عُزلتي في بيت على شاطئ البحر في جزيرة من الفلبين. لقد مكنني جو الهدوء وسماع صوت أمواج البحر من الغوص في بحور اللغة والأدب والتراث الاسلامي.

بعد الانتهاء من أبحاثي، ها أنا أذهب في رحلة طويلة لزيارة عائلتي وأصدقائي في المملكة العربية السعودية والأردن وأمريكا. هدفي في هذه الزيارة أن أشارك الأهل والأصدقاء نتيجة دراساتي، وأن أُجيب على تساؤلاتهم وأتعرَّف على ردود فعلهم. لقد كان استقبال الأهل لي في المطار مدعاة لسروري. كنت أتوقع الكثير من الأسئلة من الصغار والكِبار ومن مستويات تعليمية مختلفة. أردت أن أتأكد من أن محتويات كتابي مفيدة للصغار والكبار والمثقفين. كنت قد عرضت عليهم بعض أفكاري في زيارات سابقة فكانت مرئياتهم مشجعة على استمرار البحوث والدراسات.

لقد قررت بدأ الزيارة إلى السعودية خاصة وأن نُزول الوحي كان في ربوعها. إضافة لذلك فإن معظم عملي كان في الرياض ولي فيها ذكريات كثيرة، وقد رافقت ما حصل من تطور في المملكة عبر خمسين سنة. وأثناء الرحلة جالت في خاطري الكثير من الذكريات. كيف كانت وكيف صارت.

عندما وصلت الرياض عام 1965 للعمل في مجال التدريس، واجهت اول صدمة من عنوان رئيسي في الجريدة يقول: "من قال أن الأرض كروية يُستتاب ثلاث مرات، فإن لم يَتُب أُحِلَّ دمه". ورأيت أنه كيف مع مرور الزمن كان أحد رواد الفضاء سعوديا شاهدا على كروية الأرض.

كان التزمت الديني على أوجِه، ولا زلت أذكر حادثة حين كنت مع بعض الأصدقاء في مقهى على شارع البطحة وقت أذان العصر، وإذا بسيارة سوداء اللون – قيل لي أنهم المطاوعة- تقف بالجوار وينزل منها رجال يحملون العِصي ويهجمون على الجالسين ضرباً ليسوقوهم للصلاة. وها أنا أرى اليوم كيف تغيَّر التزمت إلى الانفتاح وانتهاج الوسطية وإلغاء الكثير من مظاهر التزمت، وعدم اعتماد الأحكام المبنية على الروايات التي سندها فرد واحد (أحاديث الآحاد) والتي كانت مصدرا للتزمت الديني.

كانت الرياض مدينة صغيرة فيها بضعة شوارع مثل شارع الوزير والثميري والبطحة والشميساني. وخلال نصف قرن من نشأتها اتسعت مساحة المدينة الصغيرة إلى حوالي ثلاثة آلاف كيلو متر مربع في الوقت الحاضر.

وصلت بحمد الله إلى الرياض ووجدت ولدي وأحفادي في انتظاري. وبالرغم من أنني كنت أتوقع الكثير من الأسئلة والاستفسارات. والظاهر أن ابني شرح للأحفاد عن دراساتي في التراث الإسلامي. إلا أن دهشتي كانت كبيرة حين جاء السؤال الأول من حفيدتي سوزان قائلة: سيدو من هو الله؟ لماذا نصلي؟ أنا اعرف كيف اصلي.

وفي البيت بعد تناول العشاء بدأت أشرح للعائلة عن دراساتي المتعلقة بالتراث الإسلامي على ضوء ما ورد في القرآن الكريم، وكيف أن فهم القرآن وفهم تعاليم الإسلام على حقيقته قد زاد إيماني قُوة. أصبحتُ واثقاً أن القرآن كلام الله ولا يمكن لبشر أن يأتي بمثله. فالقرآن هدى لجميع الناس يحتوي على معلومات تهم البشر في معرفة كيفية خلق العالم

المنظور وخلق الإنسان وهدايته في سلوكه لينعم في الحياة الدنيا ويُحضِّر نفسه للحياة الآخرة، ويرشد في كيفية تعامل الفرد مع الفرد ومع المجتمع ومع أصحاب المعتقدات الأخرى بطريقة سلمية.

الفصل الأول

رحلة العلم والتعليم - حوار مع الأحفاد

1. أسئلة عن شعائر الإيمان: الصلاة، الصوم، الحج، الزكاة

في صباح اليوم التالي وأثناء تناول الفطور، ابتسمت سوزان وقالت بشوق وحماسة: من هو الله؟ لقد وعدتنا بالإجابة هذا الصباح.

ابتسمت لها قائلا: صباح الخير يا حلوتي، انا مسرور لرغبتك في التعلُّم.

ابتسمتُ بدهشة وسرور. قلتُ لها ممازحًا:
"هذا سؤال كبير لفتاة صغيرة"!
وهكذا بدأنا جلسة التعلُّم:

الله هو الاســـم العربي لخالق الكون. منذ ما لا يقل عن 1500 عام، قرأ المسيحيون العرب كتبهم المقدسة بالكلمات العبرية واليونانية التي تستعمل كلمة "إلوهيم" المترجمة على أنها "الله". ولكل لغة مرادف لاسم الله مثل: الآب الذي في السماء، ملك الملوك، رب الأرباب، القادر على كل شيء، الخالق والرب. لكن كل هذه الأسماء تشير إلى خالق واحد فقط.

أصبحت سوزان أكثر حماسا وقالت؛ لماذا نصلي ونصوم؟

قلت: انتظري، جاء دوري أن أسألك سوزان: ماذا تقولي عندما يقدم لك والدك هدية؟ قالت: أقول شكرا يا أبي. بجانب الهدايا، ماذا يقدم لك والدك؟ قالت: يعتني بنا، ويشتري البقالة للمنزل، ويأخذنا للعب، لزيارة الأصدقاء، ويأمرنا دائمًا بحسن الخلق.

لماذا تعتقدي أنه يفعل كل هذه الأشـــياء؟ قالت: لأنه يحبنا ويريد أن نكون ســعداء. فقاطعتها الطفلة البالغة من العمر 4 ســنوات قائلة: ونحن أيضًـــا نحب والدنا.

قلت: ماذا يفعل عندما ترتكبين خطأ؟ قالت: يحذرنا أولاً، يصفح عنا، ونعاهد ألا نعود إليه، فإن فعلنا ذلك مرة أخرى، لا يأخذنا إلى أصحابنا، ولا يشتري لنا هدية لذلك اليوم.

قلت: قلنا أنَّ الله هو رب العالمين، فهو الأب لجميع المخلوقات: هو الذي خلق الإنسان والأرض والشمس والسماء وكل شيء آخر. فالله فوق أي وصف نستخدمه للبشر. إنه يفعل كل أنواع الخير لأنه يحبنا. فهو لا يحتاج منا إلا أن نكون صالحين ونبتعد عن السيئات، ويذكرنا دائمًا: إذا فعلت شيئًا خاطئًا فاستغفره ولا تفعله مرة أخرى. فهو أرحم الراحمين وغفار الذنوب.

طيب: كيف نشكره على كل هذا؟ نشكره باتباع أوامره. إحدى طرق شكره هي الصلاة.

الصلاة:

في الصلاة نقرأ: الحمد لله (الشكر والثناء) لك، أيها الرب/ أبو جميع المخلوقات، الرحمن الرحيم والرؤوف. نحن نعبدك وحدك، ونتذكر نِعَمِك علينا. ألهِمنا اتباع الصراط المستقيم وطاعتك وحسن الخلق.

ويمكننا أداء الصلاة الجسدية بالقيام والركوع والسجود كما نفعل في كل وقت صلاة. ويمكننا أيضًا أن نصلي في أي وقت وفي أي مكان دون حركة، بمجرد قول: الحمد لله، سبحان الله، لا إله إلا الله. يمكننا أن نقول مثل: الحمد لله على هدايتك، والشكر لك أيها النبي محمد على إيصال الوحي إلى البشر كافة.

بدأت سوزان وآية بقراءة سورة الفاتحة بصوت عالٍ، وسط هتاف العائلة.

قلت: دعني أذكركم أن الله ليس في حاجة إلى شيء، عندما يرشدنا إلى شيء ما، فهو خير لنا في الدنيا والآخرة. مع كل حسنة يكافئنا الله بعشر

أمثالها، وبذلك يكون لنا عشر حسنات في الآخرة. بينما عندما نفعل شيئًا خاطئًا، يعتبره الله مجرد نقطة واحدة ضدنا. فهو الرحمن الرحيم.

يخبرنا الله أن أداء الصلاة بحركات ميكانيكية فقط لا يكفي. يجب أن تُذَكِّرنا كل صلاة بفعل الخير واجتناب الشر. وينبغي أن يكون حافزاً على تجنب الكذب والغش والسرقة وارتكاب المعاصي. يقول القرآن في الآية 45 سورة العنكبوت: ﴿*اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ*﴾

وفي الحديث الصحيح عن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم): «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر، لم يزدد من الله إلا بُعدا».

رفعت "ندى" يديها بالدعاء ثم التفتت إليّ وسألت: "سيدو، إذا كان كل شيء مقدّرًا، فهل لدعائنا فائدة؟

قلت: قال تعالى: "ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ" غافر: 60

"فلو لم يكن للدعاء أثر، لما أمرنا الله به، ولما وعدنا بالإجابة".

قالت سوزان: "لكن أحيانًا أدعو كثيرًا ولا أرى شيئًا يتغير"!
قلت: "لأن الإجابة ليست دائمًا كما نتخيل". يعني: لا يوجد دعاء يضيع، لكن الله يُعطيك ما هو أنسب لك، في الوقت الأنسب.

الدعاء ليس فقط وسيلة لطلب ما نريد، بل هو لحظة صدق، وتواضع، وتقرّب. هو تمرين روحي يُهذّب النفس، ويزرع الرجاء، ويُخفّف التوتر".

قال حمزة: "يعني إذا دعوت، فأنا لا أُغيّر خطة الله، بل أفتح بابًا كتبه لي؟"
قلت: "أحسنت، هذا أجمل ما قيل"!

قال تعالى: "إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ**" إبراهيم: 39

"وليس بينك وبين الله حاجز. يكفي أن تهمس له بقلبك، ولو لم تنطق شفتيك".

خلاصة الحديث: الدعاء ليس فقط وسيلة للتغيير، بل هو عبادة، وطمأنينة، وسلاح الروح. وهو من دلائل الإيمان بأن الله يسمع، ويهتم، ويُدبّر بحكمة أعظم مما نتصوّر".

في هذه اللحظة تصرخ آية الحلوة: سيدو!

لماذا أمرنا الله بالصيام؟

كما قلنا من قبل، الله ليس في حاجة إلينا، ولكننا نحتاجه ونطلب رحمته وغفرانه. وبالتالي فإن الصوم هو لمنفعة أنفسنا. أولاً: بحصول الأجر عند الله في الآخرة؛ وثانياً: لتطهير أنفسنا من خلال الشعور مع الفقراء، ليس فقط بالامتناع عن الطعام والشراب، بل أيضًا عن طريق الامتناع عن فعل المعاصي والغيبة والغش وما إلى ذلك. والصيام يشجعنا على ذكر الله، والصدقة، وعمل الصالحات. والله رحيم أيضًا: لا يجب عليك الصيام إذا كنت طفلاً، أو غير قادر بسبب المرض، أو السفر. ومن لم يتمكن من صيام الأيام التي أفطرها، فله إطعام مسكين عن كل يوم على سبيل التعويض.

هنا علَّقت سوزان بالقول. أنا أصوم وفي رمضان أقرأ القرآن. لكن لا أفهم كل شيء. فهل تقرؤه لتأخذ أجرًا؟ أم لتفهمه؟"

ابتسمتُ وقلت لها:
"كلا الأمرين يا جميلة. نقرأه للأجر، ونقرأه للفهم. فالأجر عظيم، لكن التدبر هو ما يُحيي القلب، ويُحوّل القرآن من كتاب على الرفّ إلى نورٍ في الحياة".

القرآن كتاب حياة. "القرآن لم يُنزّل للحفظ فقط، ولا للتبرك، بل للهداية والتغيير. قال الله تعالى: "كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ" ص: 29

وقال: "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ**"محمد: 24**

"يعني أن الهدف أن نفهم، ونتأمل، ونُسقط الآيات على حياتنا، ونسأل: ماذا يريد الله مني الآن؟"

قالت سوزان: "أحيانًا أشعر أن الآية تتحدث عني"!
قلت: "هذا من علامات حياة القلب. القرآن ليس كتابًا تاريخيًا، بل كتاب حيّ، يتجدد مع كل من يقرؤه".

"والله يُخاطب كل واحد منا فيه: يخاطب خوفك، وأملك، وهمومك، وحيرتك. وهو مرآة تعكس حالك، ومصباح يرشد طريقك".

قال حمزة: "هل يجب أن أكون فقيهًا لأفهم القرآن؟"
قلت: "أبدًا. القرآن بلسان عربي مبين، والله يقول: "وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ؟" القمر: 17

أثر القرآن في النفس

"القرآن يُربّيك، يُصلح قلبك، يواسيك، ويُعلّمك كيف تفكر، تحب، تسامح، وتحلم. فيه قصص، وحِكم، ومواقف، وبلاغة لا تُملّ".

"وكلما عدت إليه، وجدت جديدًا، وكأنك تقرأه لأول مرة".

قالت جميلة: "يعني سيدو، القرآن مش للحفظ بس؟"
قلت: "لا يا حبيبتي. الحفظ مهم، لكن الفهم هو الذي يُنير.

خلاصة الحديث: القرآن ليس بعيدًا عنك، ولا صعبًا عليك. اقرأه بقلبك، لا بعينيك فقط. تفاعل معه، ودوّن خواطرك، وطبّق منه ما تستطيع... وسترى كيف تتغيّر حياتك، وتُشفى روحك، ويقوى إيمانك".

حفيدي البالغ من العمر 14 عامًا طلب الإذن بالتحدث. قال: بما أننا تكلمنا بالأمس عن الصلاة والصيام، كنت أفكر في مقولة "الصلاة عماد الدين" وراودني سؤال: هل إذا قمت بأداء الصلوات المفروضة في أوقاتها أكون من المتقين الذين يدخلون الجنة انشاء الله.

الجواب يا عزيزي أن الصلاة ركن من أركان شعائر الإيمان، والذي يُميز أمة سيدنا محمد (ص) عن سائر المِلل هو أداء شعائر الصلاة والزكاة والصيام وحج البيت. ولا يكفي هذا وحده للتأهل لتكون من المتقين. الله أوضح صفاة المتقين بقوله تعالى:(*لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ*) سورة البقرة 177.

قال حفيدي: حسناً، سنعمل انشاء الله على القيام بهذه الواجبات، واقترح أن نستمر في شرح الفرضين الآخرين على المؤمنين: الحج والزكاة؟

سررت بأنه كان منسجماً معنا في النقاش.

أومأ الجميع بالاتفاق. أخبرت جميلة أننا سنجيب على سؤالها في يوم آخر. وبالتالي فإن موضوعنا الليلة هو الحج والزكاة.

<u>الحج:</u>

قلت: دعوني أشارك معكم تجربتي الخاصة وفرحي الشديد لأنني تمكنت من أداء فريضة الحج، وكذلك اصطحاب والدي ووالدتي للحج. لقد كانت واحدة من أكثر التجارب أهمية في حياتي. أردت أن يكون أطفالي وأحفادي مستعدين لهذه التجربة التي ستغير الحياة حقًا.

وشاركت معهم التغيير الدراماتيكي في أداء فريضة الحج خلال الخمسين عامًا الماضية. عندما قمنا بأداء فريضة الحج عام 1985، كان الأمر صعباً للغاية مقارنة باليوم. هناك اليوم الكثير من التحسينات في البنية التحتية في مجال النقل والمرافق.

بدأت بالتأكد من أنهم يفهمون أنه على الرغم من أن الحج واجب، إلا أنه واجب فقط على المسلم البالغ القادر جسديًا والذي لديه الإمكانيات المالية للقيام بذلك.

بدأت: "الحج في حد ذاته رحلة". "لا أريدك أن تركز فقط على ما يعنيه ذلك بالنسبة لي، بل أريدك أيضًا أن تعرف كيفية القيام بذلك بنفسك.

فمن شعائر الحج ما يلي:

اليوم الأول: أول مناسك الحج هو إخلاص النية والإحرام عند عبور حدود مكة الخارجية. حالة الحاج المقدسة تبين أن جميع البشر متساوون، أغنياء وفقراء، يرتدون نفس الملابس البسيطة - قطعتين من القماش غير المخيطين للرجال، وملابس فضفاضة للنساء.

ثم يؤدي الحجاج الطواف، وهو يعني الطواف حول الكعبة في اتجاه عكس عقارب الساعة سبع مرات، والجري بين تلتي الصفا والمروة. ويقضي الحجاج يومهم في منى، ثم ينطلقون عند فجر اليوم التالي. وأغلب الوقت في منى يقضونه في الصلاة والدعاء وذكر الله.

اليوم الثاني: بعد قطع الرحلة التي تبلغ طولها 15 كيلومترًا (تسعة أميال) من منى، يقضي الحجاج اليوم عند (عرفات) جبل الرحمة في صلاة خشوع. وبعد غروب الشمس، يحين وقت التحرك مرة أخرى، وهذه المرة إلى مزدلفة - رحلة طولها 11 كيلومترًا (7 أميال) - حيث سيقضي الحجاج ليلتهم تحت النجوم.

اليوم الثالث: العاشر من ذي الحجة هو عيد الأضحى. بعد مغادرة مزدلفة، يعود الحجاج إلى منى قبل الفجر لأداء الرمي الأول، حيث يرمون سبع حصوات على أكبر الأعمدة الثلاثة المعروفة باسم جمرة العقبة. كما يجب على الحجاج المسلمين أن يذبحوا حيواناً، وأن يوزع لحمه على المحتاجين.

اليومان 4 و 5

يتكرر فعل رمي الحجارة في اليومين التاليين، حيث يتم رمي الأعمدة الثلاثة باستخدام سبع حصوات على التوالي.

اليوم السادس

عند الانتهاء من رمي الحجارة، في اليوم الثاني عشر من ذي الحجة، يحلق الرجال رؤوسهم أو يقومون بقص شعرهم. يمكن للمرأة قص شعرها بطول أنملة. وبعد ذلك يمكن للحجاج خلع ملابس الإحرام. وسيتوجه الكثيرون بعد ذلك إلى مكة لأداء الطواف مرة أخرى. وبعد الانتهاء من ذلك، يعودون إلى معسكرهم في منى، إيذانا بإتمام فريضة الحج.

عندما انتهيت رأيت جميع الأحفاد مع نظرة التمني على وجوههم.

سألتهم بضحكة لطيفة: "أين ذهبت عقولكم؟"

"سيدو، بينما تتحدث، أتخيل نفسي سأذهب للحج في يوم من الأيام. أتمنى أن أتمكن من القيام بهذه الرحلة." شاركت جميلة.

نعم. إن شاء الله أتمنى ذلك للجميع. "هل لديك أي أسئلة أخرى حول الحج؟"

قال حمزة: «لا». "لقد رسمت حقا صورة واضحة. اعتقدت دائمًا أنني سأضطر إلى الاستعانة بدليل ليخبرني بما يجب أن أفعله. الآن أشعر أنني

أعرف الخطوات، وإن شـاء الله في يوم من الأيام سـأكون جاهزًا لتنفيذها عندما أكبر.

قَدِمت الوالدة وفي يدها تمرًا طازجًا مغطى بالشـوكولاتة الداكنة، مع قهوة الهيل العربية التقليدية لي".

"شكرًا لك يا عزيزتي، لكن اجلسي معنا. أريدك أيضًا أن تسمعي الجزء التالي عن الصـدقات والزكاة. أريد أيضًـا التأكد من أنكم تفهمون جميعًا الفرق بين الاثنين.

الفرق بين الصدقات والزكاة

الصدقات:

تُعطى من الشـخص إلى متلقيها مباشـرة. يحث الله جميع البشـر على الصـدقة، ويَعِدهم بالثواب في الآخرة. وفي رواية عن الصـدقة أن بعض الصحابة قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: إن الأغنياء لديهم القدرة المالية على التصـدق ونيل الأجر عند الله في الآخرة، فكيف ببقية المؤمنين الذين ليس لديهم هذه القدرة؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم: هناك أشياء كثيرة تفعلها تعتبر صـدقة: تبسـمك في وجه أخيك صـدقة، وعيادة المريض صـدقة، وإماطة الأذى عن الطريق صـدقة، وإطعام الجائع نصـف تمرة صـدقة، وإطعام البهيمة صـدقة. إن الله رحيم ولا يكلف أحدا شـيئا فوق طاقته. كما يهدينا الله ألا نبخل ولا نسـرف في الإنفاق؛ قوله تعالى: ﴿ *وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا*﴾ سورة الإسراء 29

المسـتفيدون من الصـدقات: الأقارب والأصـدقاء والمعارف، الأيتام، المعوقون، الأشـخاص الذين تقطعت بهم السـبل أثناء السـفر، والذين هم مدينون دون فرصة لسداد ديونهم.

الزكاة:

تجب الزكاة على كل مسلم مؤمن بالغ، عاقل، قادر. ونصاب زكاة المال هو أقل مبلغ من المال (أي ما يعادل قيمة 85 جراماً من الذهب الخالص) الذي مضى عليه عام كامل دون استعماله. فيجب على المسلم إخراج الزكاة بنسبة 2.5% من هذا المال.

المستفيدون من الزكاة: القائمون على إدارة ضريبة الزكاة، التشجيع على اعتناق الإسلام ، الأشخاص المسجونين بسبب الديون، والمنظمات التي تقدم منفعة للجمهور.

إن ذكر من يدير الزكاة باعتباره أحد المتلقين يعني أنه يمكن إعطاؤها إلى جهة حكومية أو جمعية أهلية مسؤولة عن تحصيلها وتوزيعها على المتلقين.

أما غير المؤمنين الذين يعيشون في دولة إسلامية فإنهم يدفعون ضريبة قدرها 2.5% أيضًا، حيث أن الحكومة مسؤولة عن توفير الخدمات العامة لجميع المواطنين بغض النظر عن معتقداتهم.

في صـباح هذا اليوم التقيت مع بعض الأصـدقاء القدامى وبعض الزملاء في العمل ســـابقاً، وحين عدت مســـاءً إلى منزل ولدي وجدت الأحفاد بانتظاري. وحين بدأنا تحضير وجبة العشاء، جاء سؤال من جميلة طالبة المدرسـة الثانوية تقول: هذا الكون معقد للغاية، والإنسـان نفسـه معقد في احتياجاته الجسـدية والعاطفية. هل هناك خالق حقا؟ وهل يسـتمر الله في مراقبة مخلوقاته سواء الكون المادي أو البشري؟

2. وجودُ الخالِق

منذ بدأ الوعي الانسـاني والسـؤال المطروح: هل هناك خالق لما نراه من هذا الكون؟ ولماذا خلق الإنسان؟ وماذا بعد هذه الحياة؟

هناك جانبين في السؤال:

الأول: يتعلق بالله ذاته وحكمته فهو فعال لما يريد وله الأمر والخلق ، فهو حتماً قدير حي قيوم، خلق الخلق لا عن حاجة ولا عبث ولا ملل، وبالتالي يسـتحيل على العلم الجواب على هذا الجانب من السـؤال الذي يتعلق بالله ، فهو خارج عن العقل الإنساني.

الثاني: يتعلق بوجود الإنسـان ذاته، كونه موجودا حقيقة ككائن عاقل حر وليس وهمًا. والجواب يهم الإنسان لتعلق الجواب بحياته. ولم يترك الخالق السؤال دون جواب فأجابه من خلال آيات كثيرة في القرآن وكأن الله يقول لنا: إنا خلقتكم لتمارسـوا الحرية في الأرض وتعمروها وفق القوانين التي وضـعتها، وجعلت الحياة على الأرض اختبارا وتدريبا. لترتقي من هذه الحياة المؤقتة إلى حياة أخرى دائمة. لقد بينت لكم طريق الهدى وطريق الضـلال، وطريقة العبادة باتباع الصـراط المستقيم وعمل الصـالحات. لقد تركت لكم علامات وشواهد في الآفاق وفي أنفسكم تُعينُكم على فهم طبيعة الخلق.

يقول الله للإنسان: لقد صورتك في أحسن صورة. لقد قمت بتثبيت مليارات الخلايا العصـبية في هذا الدماغ المعقد في رأسـك حتى يكون لديك القدرة

على التفكير والتحليل. بالإضافة إلى ذلك، تركت لك علامات وأدلة كنقاط بيانات وأدلة للدماغ. ويشير القرآن باستمرار إلى كل من يعقلون، وأولئك الذين يتفكرون.

إن العلماء المعاصرين يتفقون بشكل فِطري مع القرآن بشأن وجود خاق للكون - حتى لو لم يكونوا على دراية بالقرآن.

يقول اينشتاين " لا أستطيع أن أتخيل أن الخالق الذي أعطانا العقل والفطنة والأحاسيس، يمنعنا من استعمالها". ويقول: "نحن مثل طفل دخل إلى مكتبة كبيرة تحوي كتباً في العديد من اللغات. يدرك الطفل أن هناك من ألَّف وكتب الكتب، ولكنه لا يعرف كيف تم ذلك. ولا يعرف اللغات التي كُتبت بها. وهو يشك أن هناك قوة خفية قامت بتصنيفها وترتيبها على رفوف المكتبة، ولكنه لا يعرف ماهية هذه القوة. ويستمر اينشتاين ليقول "وفي رأيي أن هذه هي نفس الرؤية لدى أي انسان مفكر تجاه الخالق. فنحن نرى الكون منظما بطريقة عجيبة وبدقة بالغة، وأن الكون يسير متبعا قوانين خاصة بالكاد نستطيع فهم بعضها، فعقولنا المحدودة تستشعر القوة الخفية التي تتحكم بمجريات الكون. ويستمر أينشتاين بالقول: لا أحاول تصور أو تخيل الخالق، ولكن يكفي أن أقف وقفة إجلال وتعظيم من تركيبات هذا الكون البديع على قدر ما تستطيع أحاسيسنا المحدودة على إدراكه. ويختم بالقول:

العلم بدون الدين أعرج، والدين بدون العلم أعمى."

هناك الكثير من الآيات في القرآن الكريم تخبرنا عن قدرة الخالق:

- *"إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ"* يس 82
- *الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۚ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ* [سورة فاطر: 1]

- *(خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ)* لقمان 10
- *(لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ)* التين 4
- *(إِنَّ اللَّه فالِقُ الحَبِّ وَالنَّوى يُخرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَمُخرِجُ المَيِّتِ مِنَ الحَيِّ ذلِكُمُ اللَّـهُ فَأَنّى تُؤفَكونَ)* الأنعام 95
- "أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ" الأعراف 54
- *" عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ"* التغابن 18
- *"وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ الرُّوحِۖ قُلِ الرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِنَ الۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلًا"* الإسراء 85
- *سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ"* فصلت 53

إنه الرحمن الرحيم، السلام، الحاكم المطلق، الجبار، الغفور، القيّم، السميع لكل شيء، البصير لكل شيء، العادل، المحيي، المميت .....99 الأوصاف المذكورة في القرآن.

له السلطان المطلق، ولا يستطيع أحد من خلقه أن يتدخل إلا بإذنه. ويشمل علمه كل ما يتعلق بمخلوقاته، ويمنح بعض خلقه المختارين بعضًا من علمه إذا شاء. فهو المربي الأعلى لجميع المخلوقات، وهو لا يَكِلُّ من ممارسة هذه الرعاية باستمرار.

ويصف القرآن نوعين من مخلوقات الله، كما هو موضح في الرسم البياني أدناه. يتم تقسيم المجالين حسب الأوامر والإنشاء.

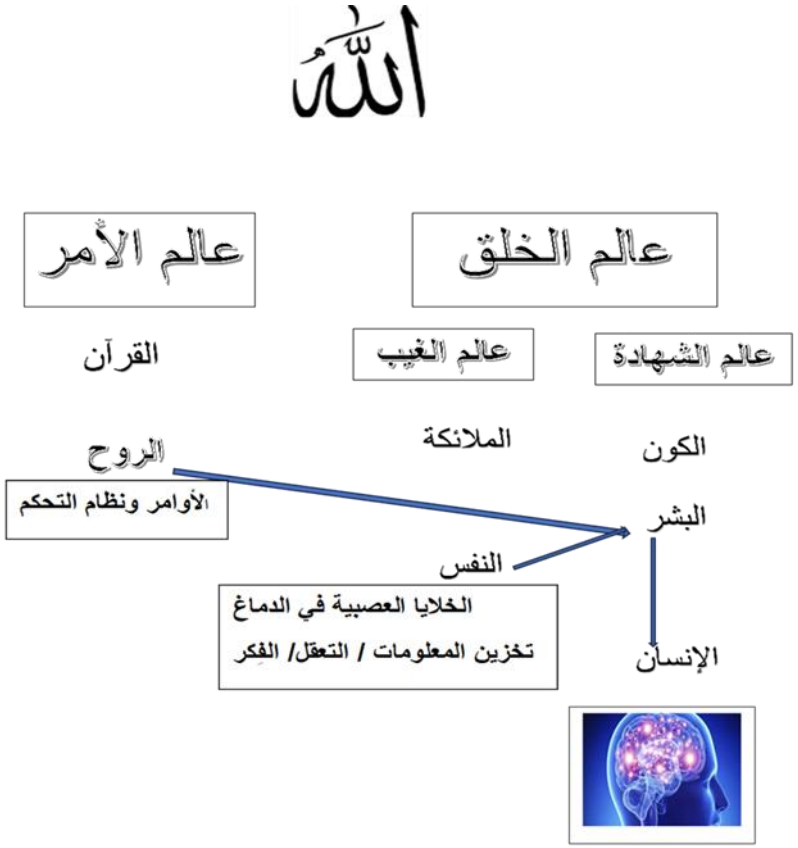

بعد أن انبهرت العائلة، قالوا إن هذه مناقشـــة رائعة. ندى، أكبر فتاة، خريجة جامعية، قالت: نقرأ في العلم عن نظرية التطور.

هل هناك أي إشارة في القرآن إلى كيفية بدء الخلق؟ كم من الوقت استغرق الله لإكمال الخلق؟

3. إدارة الخالق لشؤون الكون

الله ســـبحانه هو الذي خلق الخلق، وهو القائم على شـــؤونهم، وهو الذي يمدهم بأســـباب الحياة والبقاء لآجالهم المحتومة، أقام الله الكون والخلق على قوانين ثابتة، وســـنن كونية لا تتخلف ولا تُخرق، تَحكُّم حركة الكون والبشـر جميعا، وهي تنطبق على المسلمين كما تنطبق على غيرهم فكلهم

عباد الله سواء الطائع أو العاصي. كقوله تعالى مخاطبا العاصين بقوله يا عبادي: *"قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ"* الزمر 53

{إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ..... أَلَا لَهُ الخَلقُ وَالأَمرُ . تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ العَالَمِينَ} ، الاعراف54

ولأنَّ الربَّ هوَ المالكُ المُدبّر لأمرِ ما يملك، افتتحَت الآيةُ بالتأكيدِ على أنَّ اللهَ هوَ (ربّنا) لتثبتِ أنّه تعالى المالكُ والمُدبّرُ لِما خلق. فالله هو الرب الأعلى، والأرباب عندما ترد في القرآن تشير إلى الملائكة (الملأ الأعلى) الذين تحت إمرتهم أعداد من الملائكة الله اعلم بعددهم.

ونعود للسؤال، كم استغرق خلق الكون؟

بالنسبة لخلق الكون يقول القرآن في سورة فصلت أن الله خلق الأرض في يومين وجعل فيها رواسي من فوقها في أربعة أيام. ثم خلق السماء وهي دخان، ثم قضى من خلقهم سبع سماوات في يومين.

لاحظ أن ذكر الأيام هنا ليس كالأيام التي نستخدمها في حياتنا على الأرض. يقول تعالى في سورة الحج 47:

«وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون».

وفي سورة المعارج 4 يقول: *«تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة. "*

سبحان الله. إنه يخبرنا منذ 1400 سنة أن الزمن نسبي، بينما اكتشف العلم هذه الحقيقة مؤخراً. كما يدل على أن الله قد شَرَّع لكل نوع من الخلق شرائع: فمثلا تختلف الجاذبية على الأرض عن الجاذبية على القمر وهو اكتشاف علمي حديث.

وفي الختام، الله وحده هو الذي يعلم الوقت الذي استغرقه خلق كل مرحلة من مراحل تطور الكون.

رفعت جميلة يدها لتسأل: أجد أحيانا صعوبة في فهم من يقوم بالعمل. هل هو الله فقط؟ في بعض الآيات، يقول الله (أنا)، وأحيانًا (نحن). من المقصود بـ(نحن)؟"

قلت: سؤال جيد:

لاحظوا في نصوص القرآن استعمال الضمائر عندما يكون المتكلم هو الله *(إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ)* طه 14

(فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ'' {القصص:30} "وأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ" {الممتحنة:1}

وعندما يكون المتكلم/المتكلمين أحد الأرباب من الملائكة يستعمل الضمير نحن او يستعمل كلمة الرب:

نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ {يوسف:3}

نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ {ق:45}.

إنَّ تفويضَ التدبير إلى الملائكةِ إنّما هوَ مِن تدبير اللهِ لهم وإدارتِه لشؤونِهم، فجعلِ الملائكةِ وسائطَ في التدبير، وأسباباً في الحوادثِ فوقِ المادّيّة، كحملِهم لِوَحيه وتبليغِه إلى رسلِه، ومساندتهم للرّسلِ والأنبياء، وتأييدِهم للمؤمنين، وقبضِهم للأرواح، إضافةً إلى ما هُم مُكلّفونَ به في الآخرةِ مِن تعذيبِ الكافرينَ وتنعيمِ المؤمنين، وإلى غيرِ ذلكَ ممّا فوّضَهم اللهُ فيه سواءٌ في عالمِ الدّنيا أو في عالمِ الآخرة، وهُم في ذلكَ غيرُ مُستقلّينَ عن الله، بل هُم خاضعونَ لإرادته، مُستجيبونَ لمشيئتِه، كما ورد في الآيات:

{لَا يَسبِقُونَهُ بِالقَولِ وَهُم بِأَمرِهِ يَعمَلُونَ} الأنبياء 27،

{يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوقِهِم وَيَفعَلُونَ مَا يُؤمَرُونَ} النحل 50،

فما هُم إلّا جنودٌ مِن جنودِه كقولـه تعـالى: {وَمَا يَعلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ} المدثر 31

"وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ" الحاقة 17

الله

↓

الملائكة الأرباب / الملأ الأعلى

↓

ملائكة الموت ملائكة الرحمة ملائكة الوحي ملائكة الجنة

عدد الملائكة لا يعلمه إلا الله

ولإدراك قدرة الله لا بد أن نستحضر في أذهاننا منظومة أسماء الله الحسنى واستحضار الآية:

"اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ" البقرة 255

لا يَغفَل عن مخلوقاته أبداً فهو الحي القيوم، السميع البصير، العليم الخبير، العزيز الحكيم، أحَد صمد ليس كمثله شيء، يُدرِك الأبصار ولا تُدرِكه الأبصار، له مطلق الصلاحية، لا يستطيع أي من مخلوقاته أن يتدخل إلا بإذنه.

يشمل علمه (كرسيه) كل ما يتعلق بمخلوقاته، ويمنح بعض مخلوقاته المصطفين بعضاً من علمه إذا شاء. هو المربي والراعي الأعلى لكل المخلوقات ولا يتعب أو يملّ من الممارسة الدائمة لهذه الرعاية.

4. مراحل الخلق

a. خلق الكون

"سيدو،" ابنة أخي الكبرى، وهي خريجة جامعية، شاركت في المحادثة.

قلت: "انتظري، متى انضممت إلينا". كنت وأحفادي الصغار نجري نقاشًا رائعًا، لدرجة أنني لم أدرك أن العائلة بأكملها قد انضمت. كان ابني وابنتي يجلسان في الخلف، يتابعان كل كلمة بعناية. لقد أحضرتُ ندى- صديقتي من الجامعة، وكانت ترفع يدها بخجل.

قالت وهي تقفز لتعانقني: "صديقتي لديها سؤال". "إنها تريد أن تعرف المزيد عن نظرية التطور. لقد درسناها في صف العلوم والأنثروبولوجيا. وكنا نتساءل كيف يقع ذلك ضمن المعتقدات الدينية".

"هذا سؤال رائع وهو حقًا الوقت المثالي لطرحه." أنتقل إلى صديقتها. "من فضلك لا تترددي في طرح الأسئلة علي مباشرة. وهذا هو بالضبط سبب وجودي هنا.

سألت ندى، بصوت يحمل اهتمام الباحثة:

هل هناك إشارة في القرآن إلى كيفية بدء الخلق؟ على سبيل المثال، كم من الوقت استغرق الله لإكمال الخلق؟

مرة أخرى، سؤال عظيم. إن الله لا يتركنا أبدًا لنخمن الأسئلة الكبيرة المهمة. ومن المؤكد أن القرآن يجيب على هذا أيضًا. قلت لها":بكل تأكيد، القرآن يتحدث عن مراحل الخلق، ويبدأ دائمًا بأصل الخلق: الماء والطين".

مرة أخرى، أبدأ في تلخيص بحثي. وأشرح عدد الآيات المتعلقة بهذا الموضوع والمتناثرة في العديد من السور للإجابة على هذا السؤال بالتحديد. لفهم الموضوع، ينبغي للمرء أن ينظر إلى جميع الآيات بشكل شامل. وبمجرد أن فعلت ذلك، وجدت أن القرآن يخبرنا عن الخلق.

الخلق الأول لكل شيء؛ بما في ذلك الكون والمخلوقات الحية. بالنسبة للكون يقول القرآن في سورة فصلت أن الله خلق الأرض في يومين وجعل فيها رواسي من فوقها في أربعة أيام. ثم خلق السماء وهي دخان، ثم قضى من خلقهم سبع سماوات في يومين .

وتذكر أن ذكر الأيام هنا ليس كالأيام التي نستخدمها في حياتنا على الأرض. يقول تعالى في سورة الحج *47» :وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون»*. وفي سورة المعارج 4 يقول: *تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة* " .

أتوقف للحظة، ثم أقول: على الرغم من أنني قرأت البحث عدة مرات، إلا أنني لا أزال غارقًا في عظمة الله في الخلق..

أريدكم جميعًا أن تفكروا حقًا في هذا الأمر. من المهم التأكيد على أن الله يخبرنا منذ 1400 عام أن الزمن نسبي، بينما اكتشف العلم هذه الحقيقة مؤخرًا. كما يدل على أن الله قد شرع لكل نوع من الخلق قوانين خاصة

به، مثل اختلاف الجاذبية على الأرض عن الجاذبية على القمر وهو اكتشاف علمي حديث.

b. خلق الكائنات الحية

النصوص القرآنية:

﴿*يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً*﴾ النساء 1

"*وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ*" [النور:45]

"*وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ*" سورة الروم 20

"*هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ۖ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ* " الأنعام 2

الأجل الحقيقي الذي استغرقته عملية النشوء من الطين إلى اكتمال الهيئة البشرية لا يعلمه إلا الله. والعلماء يعطون تقديرات فقط.

وهذا دليل (1) على أن أصل كل خلق هو الماء، (2) أن الإنسان يمشي على رجلين كان من الخلق الأول كفصيلة متميزة عن بقية الفصائل.

وهذا يدل على أن الكائنات الحية بدأت من خلية واحدة تتكاثر ذاتيا في الطين تحت البحر، ومع مرور الوقت تطورت إلى أنواع مختلفة. وعلى هذا المستوى تؤكد نظرية التطور والنظريات اللاحقة هذه الحقيقة. لكنها غابت عن الحقيقة قائلة إن الإنسان الأول تطور من العائلة الحيوانية وهي القرد. يخبرنا القرآن أن الأنواع القديمة من البشر قد خُلقت منذ البداية كنوع منفصل من الثدييات؛ وليس من خلال التطور. وقد اكتشف العلم اليوم الفرق بين بنية دماغ الإنسان وبنية دماغ الحيوان.

والخلاصة أن أصل البشر كان فئة خاصة به، خلافا لنظرية التطور..

الوقت الحقيقي الذي استغرقه التطور من خلايا في الطين وتحوله إلى لحم وشكل بشري، لا يعلمه إلا الله. العلم لا يستطيع إلا أن يعطي تقديرات (ملايين السنين).

c. خلق البشر

نظرية التطور صحيحة في التفكير، لكن الاستنتاج بأننا تطورنا من القردة خطأ. إن قدرتنا على التطور حصل في قدرتنا العقلية. وبمجرد أن تطورت قدرتنا العقلية إلى مستوى أعلى، أصبح الإنسان جاهزاً لتلقي الوحي. فألهمهم الله أن يتكاثروا من خلال الزواج وتكوين العائلات. مرة أخرى، أريدكم ألا تأخذوا كلامي كمصدر لهذه الأفكار، بل انظروا إلى ما يقوله القرآن:

"وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ {13} ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ {14} ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ"
سورة المؤمنون: {12}

رأي علماء الأنثروبولوجيا وعلماء الأثار :

- على ضوء دراسة الهياكل البشرية المكتشفة من الحفريات قدروا أن فصيلة البشر تواجدت أولاً في افريقيا قبل حوالي 1.8 مليون سنة، ولمجابهة تحديات البيئة صارت قواه العقلية تتطور إلى أن وصل إلى مرحلة القدرة البدائية على العقلنة قبل جوالي 200,000 سنة.
- بلغ البشر مرحلة أكثر تطورا في النضج العقلي قبل حوالي 35000 سنة.

- ثم بزيادة الحاجات وزيادة التواصـــل فيما بين الجماعات، حيث صـــاروا يمارســون الزراعة والبنيان والتجارة والرســم والنحت والنقوش، ازداد إدراك البشــر وذلك قبل حوالي 5000 ســنة، في عصر نوح وهود وشعيب وصالح.
- ولا يوجد في هذه الاكتشـــافات العلمية والأثرية ما يتناقض مع ما ورد في القرآن الكريم، بل فيه دلالة على أن البشر وصل مرحلة من النضـج في الفترة التي اصـطفى الله بها آدم والتي تقدر حسـب ما ورد في الروايات بما قبل 10,000 سنة.

وفي الختام، هناك إشــارة في القرآن إلى أن تطور الإنســان مَرَّ بمرحلتين رئيســيتين: أولاً: مثل الأنواع الأخرى التي تطورت من الخلية الأصــلية التي تكونت في الطين، ظهر الإنســان البدائي كنوع متميز يمشــي منتصــباً على قدمين؛ والثاني: عندما تطور هذا النوع من الأنواع إلى مستوى معين من القـدرة العقليـة زوَّده الله بنظـام للتفكير وبـالمعلومـات والأوامر التي ترشده إلى سبل الخير.

هناك فرق جوهري بين دماغ الإنسـان ودماغ الحيوان. الإنسـان لديه قابلية لتلقي الوحي، والتفكر في المصير، وتحمل المسؤولية الأخلاقية".

حمزة يضحك. "أنت تعرفني سيدو، أحتاج إلى مثال لأفهم حقًا ما تعنيه"

d. خلق آدم

"حســـنًا، لدي في الواقع مثال مرتبط مباشـــرة بالخلق. بدلاً من إخبارك، دعني أطرح عليك ســؤالاً أولاً. وبماذا يتميز آدم عن غيره من المخلوقات قبله؟

"أنا أعلم،" يقفز ابني.

أضحك لأن الكبار منخرطون بحماس مثل الأطفال.

"حسنا إذن هيا أخبرنا يا بني"

فأجاب ابني: بعد أن خلق الله آدم ثم نفخ فيه من روح الله.

قلت: "جيد جدًا"، وأنا فخور جدًا بابني.

قلت: "والآن السؤال التالي"، وأنا أرغب في دفعه إلى التفكير بشكل مختلف. "ماذا يعني ذلك في الواقع؟ "كيف يكون النفخ في أرواحنا."

ابني يضحك قليلا شاعرا بالحرج. "حسنًا، لقد أوصلتني إلى هناك. لقد تخيلت دائمًا أن الله ينفخ فينا جسديًا قطعة من روحه.

أقول مطمئنًا: "يا بني، ليس هناك ما تخجل منه". "أنت لست وحدك. يتبنى العديد من العلماء مثل هذا التفسير ومع ذلك، أريد أن أتحداك للتفكير في هذا الأمر، وأشياء أخرى كثيرة، بطريقة مختلفة.

تابعت الكلام قائلا: اختار الله آدم ممثلاً رمزيًا لهذا النوع من البشر البدائي، وألهمه وزوده بالعلم والإرادة وحرية الاختيار، بما يرمز إليه الله "" نفخة من روحه".

لقد أسيء فهم كلمة (نفخة) من قبل العلماء الأوائل. فلا تشير دائمًا إلى النفخة الجسدية. وهذا أمر شائع في النص القرآني حيث يرمز المصطلح إلى الفعل بالمعنى المنطقي وليس المادي. وفي هذا السياق، يعني أنه تسبب في تسريع عملية التطور في البشر. مثل النفخة في الحطب تعني جعل النار تشتعل بشكل أسرع. كما أساءوا مدلول كلمة الروح التي تعني أوامر الله التي تتحكم بنفس الانسان، وسنأتي على ذلك لاحقا.

في هذه الأثناء قال حفيدي البالغ من العمر 16 عاماً: بحسب ما شرحت، كان هناك بشر بدائيون منذ ملايين السنين؛ ولكن كيف يقولون في دراستنا أن الإنسان الأول كان آدم؟ قلت له":السؤال ممتاز، وسنخصص له حديثنا غدًا".

في صباح اليوم التالي، تجدد الحوار مع حفيدي البالغ من العمر 16 عامًا، حين سألني بجدية: "سيدو، هل آدم الذي ذكره القرآن هو أول إنسان خُلق؟"

أجبته بهدوء: "سؤال عظيم يا بني، وقد طرحتُه على نفسي كثيرًا في شبابك. وجدتُ أن للإجابة عليه لا بد من النظر في مجموع ما ورد في القرآن، إلى جانب ما توصّل إليه العلم الحديث". لقد تعلمنا كذلك، بالإضافة إلى العديد من المعلومات والأفكار الأخرى المأخوذة بشكل رئيسي من القصص الموجودة في الحضارات القديمة. يقدم لنا القرآن معلومات عن خلق الإنسان؛ لكن الآيات المتعلقة بالخلق متناثرة في كثير من سور القرآن. وبالتالي، لكي نفهم موضوعًا ما بشكل كامل، علينا أن ندرس جميع الآيات المتعلقة بهذا الموضوع للحصول على الصورة الكاملة والوصول إلى فهم سليم.

دعونا نفحص هذه المعلومات:

أولاً: في ضوء ما يخبرنا به العلم نتيجة دراسة الهياكل البشرية المكتشفة من الحفريات، تشير التقديرات إلى أن الجنس البشري البدائي تواجد لأول مرة في أفريقيا منذ حوالي 1.8 مليون سنة. ولمواجهة تحديات البيئة تطورت قواه العقلية حتى وصل إلى مرحلة القدرة البدائية على العقلانية منذ حوالي 200 ألف سنة. وصل البشر إلى مرحلة أكثر تقدمًا من النضج العقلي منذ حوالي 35000 عام. ومع ذلك، يجب أن نتذكر دائمًا أن النتائج العلمية يمكن أن تتغير بمرور الوقت مع تقدم المعرفة. فالله عز وجل هو صاحب الحقيقة المطلقة.

ثم مع تزايد الحاجات وزيادة التواصل بين الجماعات، ومع بدء ممارسة الزراعة والعمارة والتجارة والرسم والنحت والنقش، زاد الوعي الإنساني، وكان ذلك منذ حوالي 5000 سنة، في عصر الأنبياء نوح وهود وشعيب وصالح.

ولا أجد في هذه الاكتشـــافات ما يتناقض مع ما جاء في القرآن الكريم. بل هو مؤشر على أن الإنسان وصل إلى مرحلة من النضج خلال الفترة التي اختار الله فيها آدم، والتي تقدر بحســـب ما ورد في الروايات أنها قبل 10 آلاف سنة.

ثانياً: في ضوء ما ورد في القرآن: الآية 33 سورة آل عمران:

""*إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين...*""

وكلنا نعلم أن الاصـــطفاء هو اختيار من بين جماعة.... وعليه لا بد أن يكون هناك أناس كثيرون يعيشون مع آدم، وقد اختاره الله منهم ليكون نبياً. وفي رواية منسوبة إلى النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)؛ سئل النبي: يا رســـول الله أي الأنبياء كان أول؟ قال: «آدم، إنه نبي كلَّمه الله». أي أنه بُعِث برســـالة، ولا بد أن يكون معه من يعلمهم. هنا صـــاح الأحفاد في صـــــــــــــــوت واحـــــــــــــــد:
"طيب، وماذا عن قصة الشجرة والتفاحة؟"!

ضحكتُ وقلت: "آه، قصة إغواء إبليس لآدم... لطالما حيّرتني هذه القصة عندما كنت صغيرًا مثلكم، ولذلك بحثت فيها كثيرًا حتى وصلت لفهم أراه أقرب إلى القرآن". ولذلك قمت بالبحث عنه من مصادر عديدة وتوصلت إلى هذه نتيجة منطقية. لكن القصة تتطلب التفكير والتركيز. إذا شعرت بالتعب، يمكننا تأجيل المناقشة إلى يوم آخر. صرخ الأطفال الصغار: لا! لا! نحن بحاجة لسماع ذلك الآن. علينا أن نعرف عن التفاحة التي أكلوها من الشجرة.

وتحت إصرار الحضور بدأت أقرأ لهم المقتطفات التالية من نتائج بحثي:

كان الوجود البشـــري الأول قبل عصـــر آدم يعيش على الفطرة كباقي الحيوانات، ولم يتلق الوحي السـماوي. ولما وصـلوا إلى مسـتوى القدرة العقلية على تلقي الوحي، اختار الله آدم لهذا المنصب الكريم. وفي عصره كان أمثاله كثيرين. واختار الله تعالى آدم ليكون خليفة في الأرض يعلمهم

الهدي السماوي. كان آدم وزوجته حواء وجماعته يعيشون في جنة أرضية، وهي غابة. وتشير آيات القرآن إلى أن آدم خلق على هذه الأرض، وكانت رسالته في هذا العالم، وعلى هذه الأرض نفسها. وما يثير الدهشة هو أن الله تعالى يقول (*إني جاعل في الأرض خليفة*) ولكن البعض يصر على أن آدم كان يعيش في الجنة الموعودة الموصوفة للآخرة. هناك تناقض بين القصة المنتشرة وبين آيات القرآن. على سبيل المثال:

1. يصف القرآن الجنة التي وعد بها الأبرار في الحياة الآخرة في سورة الطور آية 23 (*لا لغو فيها ولا تأثيم*). ولكن الجنة التي كان آدم يعيش فيها دخلها الشيطان غير الصالح وحرضه على معصية الله تعالى.

2. كما يصف القرآن جنة الآخرة بقوله (*لن يمسهم فيها نصب وما هم منها بمُخرجين*)" في آية 49 سورة الحجر.. ولكن آدم طرد من جنته.

3. وكذلك يقول القرآن عن الجنة الآخرة (*ولهم فيها ما تشتهون*) في الآية 32 سورة فصلت، ولكنه نهى آدم عن الأكل من الشجرة.

4. عِلمُ الله كامل شامل للماضي والحاضر والمستقبل. وفي عِلمه ستأتي الآخرة بعد زوال الحياة الدنيا بأمر الله، وسينشأ عالم جديد حيث كما يقول القرآن، ستكون الأرض الجديدة والسماء الجديدة مختلفة عن الوجود الدنيوي. وجزء من هذا الخلق الجديد هو خلق الجنة والنار حيث ورد في سورة التكوير مشاهد تحصل يوم القيامة فقال: "*وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ (10)وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ (11)وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (12)وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (13)عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ*".

القرآن لا يقول إن آدم كان في الجنة السماوية التي وُعد بها المؤمنون، بل قال الله سبحانه: "إني جاعل في الأرض خليفة" البقرة: 30

"فكيف يكون في الجنة السماوية ثم يُكلف بالخلافة في الأرض؟"

وهنا بعض التناقضات التي تكشف أن الجنة التي سكنها آدم كانت جنة أرضية، وليست جنة الآخرة: يخبرنا الله أنه في الجنة السماوية ليس هناك موت. ولكن آدم مات في جنته على الأرض.

الخلاصة: لم يكن آدم هو الإنسان الأول. كان يعيش مع زوجته ورفاقه من البشر البدائيين في غابة بها الكثير من الأشجار المثمرة والأنهار. لقد اختار الله آدم وعلمه وأعطاه حرية الإرادة والاختيار ليكون أول إنسان لديه وعي وإدراك يحمل رسالة الهداية للجنس البشري.

سألت "جميلة" بدهشة: وماذا عن قصة الملائكة وإبليس؟ لماذا اعترفت الملائكة بأفضلية آدم وإبليس رفض؟

حسنًا. دعني أشرح لك أولاً عن مخلوقات الله. في خلق الله هناك العالم المشاهد الذي نراه بأعيننا مثل الأرض، النظام الشمسي؛ وغيرها مما لا يزال العلم يستكشفه. وهناك عالم الغيب حيث خلق الملائكة من النور. وخلق الجن من لهيب النار؛ وبالتالي فهُم جزء من عالم الغيب. لقد تم تصميم الملائكة ليطيعوا دائمًا أوامر الله دون تردد. من ناحية أخرى، تم تصميم الجن ليكون لديهم إرادة حرة للطاعة أو عدم الطاعة مثل الانسان. وبناء على ذلك فإن الجن والإنس سيحاسبون في الآخرة عما فعلوه في الحياة الدنيا كما في النص القرآني "*وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ" السجدة*(13) ".

فلما أخبر الله أنه يكلّف آدم الإنسان ليكون الخليفة في الأرض؛ وطلب من الجن والملائكة الاعتراف بتفوق هذا الخلق الجديد. وفي قوله تعالى ﴿*وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ*﴾ [البقرة: 30]

لم يكن سبحانه وتعالى يطلب مشورة الملائكة، وانما كان يُخبرهم بهذا الأمر لأنه سيكون لهم دور في حفظ هذا الإنسان وتسجيل أفعاله وتوفي

نفسه. أما عن استغراب الملائكة فقد أجاب سبحانه باني أعلم ما لا تعلمون.

أطاعته الملائكة على الفور دون تردد؛ بينما اعترض إبليس - قائد مؤمن من الجن- كان يعيش مع الملائكة في السماء، ورفض الخضوع لآدم، مستشهدا بأنه خلق من لهب من نار أفضل بكثير من آدم الذي هو بشر أصله من خلية في الطين. فلعن الله إبليس وطرده من السماء إلى الأرض حيث تعيش جماعة آدم. إبليس لم يستغفر، بل طلب من الله أن يؤخر عقوبته إلى يوم القيامة في الآخرة.

وبعد أن أذن الله له، تعهد إبليس بأنه سيُغوي بني آدم ويخدعهم ويمنعهم من اتباع توجيهات الله وأوامره. قال الله: ﴿*إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ*﴾ [الحجر: 42]

وهنا تبدأ قصة الصراع بين الخير والشر، بين الهداية والإغواء، والتي هي أساس ابتلاء الإنسان على الأرض".

في الصباح، بعد الإفطار، قالت الفتاة: يا جدي، اليوم هو السبت، وليس لدينا مدرسة؛ من فضلك تابع قصة آدم وإبليس.

حسنًا! هناك العديد من القصص والخيال حول القصة. ولكننا سنتمسك بما جاء في القرآن، فهو الحق المطلق وكلام الله. وفي هذه الأثناء سوف نبين كيف أن القصص الأخرى هي مجرد خيالات ملفقة.

5. دور ابليس في الإغواء

بعد أن عصى إبليس الله، طُرد من السماء ليعيش على الأرض مع آدم وجماعته من البشر. حذر الله آدم وجماعته من أن إبليس هو عدوهم الأبدي وسيستخدم كل الوسائل لخداع البشر وجعلهم يحيدون عن الصراط المستقيم.

بعد أن هدأت الأصوات، التفت إليّ حفيدي الأكبر قائلاً:
"سيدو، هل إبليس كان من الملائكة فعلاً؟ ولماذا لم يسجد؟"

قلت له:
"سؤال مهم جدًا. لنقرأ معًا ما ورد في سورة الكهف:

"وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ" (الكهف: 50)

"إذاً، إبليس لم يكن من الملائكة، بل من الجن، وقد ارتقى إلى درجة عالية من القرب، حتى كان في مجلس الملائكة. لكنه، بخلاف الملائكة، يملك حرية الإرادة، ولهذا اختار أن يعصي".

سألتني "جميلة:"
"لكن لماذا رفض إبليس السجود؟ هل كان الأمر صعبًا؟"

أجبتها:
"الأمر لم يكن سجود عبادة، بل سجود تكريم واعتراف بأفضلية الإنسان الذي خُلق بعقل وحرية. إبليس رفض لأنه تكبر وقال: أنا خُلقت من نار، وآدم من طين، والنار أفضل من الطين"!

"هذا التكبر هو أصل أول معصية في التاريخ، ومنه بدأ طريق الغواية والفتنة. إبليس لم يُطرد لأنه لم يسجد فقط، بل لأنه اعترض بعقله المغرور على أمر ربه، وكذّب حكمة الله".

فقالت سوزان:
"لكن لماذا أعطاه الله فرصة؟ لماذا لم يعاقبه فورًا؟"

ابتسمت وقلت لها:
"سؤال ذكي. إبليس نفسه طلب من الله أن يُمهله حتى يوم القيامة

الله تعالى منح إبليس المهلة، لا لأنه يشفق عليه، بل لأن وجود إبليس جزء من الاختبار الإلهي للإنسان. فالخير لا يُفهم إلا بوجود الشر، والاختيار لا يكون إلا بوجود البدائل".

أضفت وأنا أنظر في أعين أحفادي:
"الشيطان لا يستطيع أن يُجبر أحدًا. كل ما يملكه هو الوسوسة، أما القرار فبيد الإنسان. ولهذا، من يتبع الشيطان يفعل ذلك بإرادته، ومن يتبع الصراط المستقيم، فبإرادته أيضاً، وله أجر عظيم".

قال حمزة:
"يعني الشيطان موجود، لكن لا يستطيع أن يُجبرني؟"
قلت: "بالضبط. الله أعطاك عقلًا وحرية، وبيّن لك الطريقين: الخير والشر. وأنت من يختار".

وهنا يقفز أحد الأطفال قائلاً: انتظر! انتظر! لا نستطيع أن نرى إبليس فكيف يجعلنا مذنبين؟

هذا صحيح يا عزيزي؛ وأخبر الله آدم وأخبر جميع أجيال البشر أن إبليس يستخدم طرقًا ماكرة لإغراء البشر باللعب على رغباتهم في الحياة؛ كما ذكر في القرآن؛ الآية 64 من سورة الإسراء " ﴿*وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا*﴾

وهنا يرمز الصوت إلى رغبة الإنسان في الشهرة؛

وترمز الخيول وجنود المشاة إلى الرغبة في الحصول على القوة والسيطرة؛

أما المشاركة في ثرواتهم فليست الفهم الصحيح للكلمة العربية (شارك) والتي تعني في هذا السياق صنع فخا (شَركا باللغة العربية) لهم عن طريق إغرائهم على القيام بأي شيء مهما كان غير قانوني ليصبحوا هم

وأولادهم أثرياء وأقوياء، وباستخدام حبهم لأطفالهم كمصيدة لهم للقيام بأي عمل غير قانوني لإشباع رغبتهم في إسعاد أطفالهم.

خلاصة الأمر أن إبليس سوف يوسوس للبشر ليجمل أعمالهم غير المشروعة محببة لهم، مستغلاً رغبتهم في الشهرة والسلطة وحب المال وحب أولادهم.

قلت: يكفي هذا اليوم، لكني أريد أن أذكركم بأن الله يحذرنا من وسوسة الجن الشريرة، وهي كائنات غير مرئية تسمى إبليس أو الشيطان أو عفريت؛ ويخبرنا الله أيضًا أن هناك أشخاصًا يتصرفون مثل الجن؛ الذين يزينون لكم بفعل الأفعال الشريرة مثل السرقة، أو الغش، أو الزنا أو المخدرات. هكذا يقول الله كلما واجهتك أفكار شريرة، ادعو الله أن يحفظك من شر الجن والإنس. وهنا بدأ الصغار بقراءة سورة الناس وسورة الفلق بصوت عالٍ - حيث إنهم يدعون الله لحمايتهم من أبالسة الإنس والجن- بينما يهتف لهم الآخرون.

6. هداية الله للإنسان

بدأ "حمزة" الحديث وهو ينظر إليَّ باهتمام:
"سيدو، قلنا إن الله خلق الإنسان وابتلاه بالاختيار، فهل تركنا وحدنا؟ كيف يدلّنا الله على الطريق الصحيح؟"

قلت له مبتسمًا:
"الله سبحانه من رحمته بعباده لم يتركهم في متاهة الحياة بلا نور، بل أرسل الرسل، وأنزل الكتب، وأعطانا العقل لنتدبر ونفكر. فهدى الإنسان يتم بعدة وسائل، أولها الفطرة، ثم الوحي، ثم العقل، ثم التجربة".

أضفت لهم:
"القرآن يذكر أن الله أرشد كل مخلوق إلى ما يناسبه، فقال:

"الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ" طه: 50

"فالحيوانات تُلهم طريقها بالغريزة، أما الإنسان فقد زُوّد بالعقل، وبالوحي الذي يُنزل على الأنبياء، ليكون دليله الأخلاقي والروحي في الحياة".

تدخلت ندى، وقالت:
"هل من أمثلة في القرآن عن هذا الهدى؟"

قلت لها:
"نعم، كثير. انظري إلى قصص الأنبياء. فكل نبي جاء لأمته ليُبين لهم كيف يعبدون الله، ويقيمون العدل، ويتجنبون الفساد. قصصهم ليست للتسلية، بل للدروس والعِبر".

ثم بدأت أستعرض لهم باختصار:

- نوح عليه السلام :دعا قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا، بصبر ومثابرة.
- إبراهيم عليه السلام :قدّم نموذج العقل الباحث، ففكّر في الكواكب والشمس والقمر، ورفض عبادة الأصنام.
- موسى عليه السلام :واجه الظلم والفرعون، ونقل بني إسرائيل من العبودية إلى الحرية.
- عيسى عليه السلام :دعا إلى المحبة والتسامح، وواجه النفاق الديني.
- محمد صلى الله عليه وسلم :جاء برسالة عالمية، دعوة للناس كافة، وجمع بين الإيمان والعمل، بين العبادة وإقامة العدل في الأرض.

قلتُ لهم:
"كل نبي مثّل نموذجًا للهدى في زمانه، وكل أمة كان لها وحي مناسب

لمرحلتها. أما القرآن، فهو الكتاب الخاتم، نزل على خاتم الأنبياء، ليكون هدى للعالمين، لا يختص بزمن أو قوم بعينهم".

سألت سوزان:
"يعني لماذا لم ينزل الله دينًا واحدًا من البداية؟ لماذا كل هذه الأديان؟"

ابتسمتُ وقلت لها بلطف:
"هذا سؤال ذكي جدًا. الله يقول:

"لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا"...المائدة48

"الشرائع كانت تتناسب مع طبيعة الشعوب وظروفهم. والاختلاف في الشرائع لا يعني اختلافًا في أصل الإيمان، بل في التطبيقات، والتشريعات، والتوقيت".

"كل الأديان السماوية جاءت بالتوحيد، والإيمان باليوم الآخر، وبالأخلاق. لكن الأحكام كانت تختلف حسب الزمان والمكان. إلى أن جاءت رسالة الإسلام لتجمع وتُتمم ما سبق، وتكون رسالة شاملة للإنسانية".

قلت: استمتعوا ببقية يومكم أحبائي. سنواصل غدا.

أخبرني ابني أن لدينا زواراً الليلة. صديقنا إدوارد وعائلته المسيحية الذين يذهب أطفالهم إلى المدرسة مع أطفالنا سيأتون إلى منزلنا. من فضلك دعونا نبعد السياسة والدين عن أي مناقشات الليلة. قلت: أنا لا أفرض رأيي على أحد، مُسلِماً كان أو غير مُسلِم. ولكن إذا سألوني أي سؤال يتعلق بموقف الدين من قضايا معينة، فسأجيبهم بكل صراحة فيما يتعلق بإيمانهم وأتصرف كما يوجهنا الله في القرآن إلى مناقشة الأمور دائمًا بأدب وحكمة.

9. استكمال قصة آدم

وصل الضيوف قبيل غروب الشمس برفقة طفليهما يوسف (15 عاماً) ومريم (6 أعوام). بعد المقدمات وأثناء جلوسنا في غرفة الاستقبال وتناول المشروبات الغازية، تحرك يوسف ليجلس بجانبي وقال: سيدي، أخبرني حفيدك عن القصة التي كنت تحكيها لهم عن لقاء آدم وإبليس، أنا مهتم بسماع رأيك في هذه القصة. لقد قرأت شيئًا عنها في الكتاب المقدس ولكنني في حيرة من أمري بشأن ما حدث بالفعل؛ هناك شيء يبدو غير منطقي بشأن الثعبان وأشياء أخرى.

قال حفيدي البالغ من العمر 16 سنة: وأنا أيضاً قرأت عنها في القرآن، وأنا في حيرة من أمري أيضاً.

فهل كان آدم وحواء عاريين قبل أكل التفاحة أم بعده؟ وهل كان آدم في الجنة ثم طُرد إلى الأرض مع إبليس؟

خاطبت الأهل قائلة: إذا كنتم لا تمانعون، أستطيع أن آخذ الأطفال إلى غرفة المعيشة وأخبرهم بما أؤمن به من القصة. قال الوالدان: لا من فضلك، نود أيضًا أن نسمع وجهة نظرك في القصة.

قلت حسنا. ها بنا:

أعتقد أن الجميع يعرف بداية القصـــة حيث عصـــى إبليس الله ونُفي إلى الأرض حيث عاش آدم وجماعته. وهنا أوحى الله إلى عقل آدم: إن إبليس عدو لكم؛ فلا تتأثر بهمســه ولا تقترب من تلك الشـجرة المعينة في الغابة. بالطبع آدم لا يســتطيع أن يرى البنية الجســدية لإبليس، لكنه أحس يهمس في ذهنه يقول: آدم! هل تعلم لماذا أمرك الله أن لا تأكل من تلك الشــجرة؟ ذلك لأنها شــجرة الخلود. إذا أكلت من تلك الشــجرة فســتعيش إلى الأبد، وســتكون ملكًا على هذه الأرض. ظلَّ هذا النوع من الأفكار يتبادر إلى ذهن آدم. وفي أحد الأيام قطف آدم إحدى ثمار الشــجرة وأكلها وبذلك عصـــى أمر الله. القرآن لم يذكر حواء على الإطلاق. وهذا ينفي فكرة أن حواء كانت ســبباً لعصــيان آدم. وانطلاقاً من هذا الفهم الخاطئ، فإن الكتابات الدينية تُصوّر المرأة على أنها موضوع لرغبة الرجل، مما يؤدي إلى سقوطه في الخطيئة.

على أية حال، تســتمر القصــة، وتم معاقبة آدم ومجموعته وطلب منهم الخروج من جنتهم الأرضــية إلى موقع جديد لا يتمتعون بالعيش الســهل والرفاهية نفســها التي كانوا يتمتعون بها من قبل. في المكان الجديد عليهم العمل لكسب عيشهم وقوتهم.

قلت: قبل أن نكمل، دعونا نفهم المغزى حتى الآن. كانت الشــجرة رمزا للأعمال الســيئة، تســتخدم كاختبار. لقد أعطى الله آدم أمراً، فخالف آدم الأمر. وهذا يدل على أن الله خلق الإنســان وله حرية الاختيار. إذا التزموا بتوجيهات الله فسوف يُكافؤون، وإذا عصوا، فسوف يعاقبون ويعانون من عواقب اختيارهم.

وأما ذكر العُري؛ فنحن نعلم أن البشــر البدائيين لم يعرفوا ولم يســتخدموا الملابس لتغطية أي جزء من الجسم. وبطبيعة الحال، كانوا عراة. وبالتالي فإن ترجمة وتفسير الآية 121 من سورة طه في الكتب الإسلامية لم تكن صحيحة:

﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

[سورة الأعراف: 23]

الآية الأولى رمزية: لقد أدركوا أنهم أخطأوا، فتصرفوا بالفطرة ليختبئوا كما يختبئ الطفل من والديه بعد أن أخطأ. ثم ألهمهم الله أن يستغفروا. فقبل الله توسّلهم وطلب منهم التوبة والوعد بعدم ارتكاب أي خطأ مرة أخرى.

﴿ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة البقرة: 37]

﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة البقرة: 38]

نستنتج من هذه القصة أن:

- الله منذ البدء أعطى الإنسان حرية الاختيار

- كشف الله هداه للبشر وقال لهم إذا اخترتم أن تتبعوا هداي، فسوف تتم مكافأتكم وليس لديكم ما تخافون. ومع ذلك، إذا اخترتم العصيان، توقعوا أن تتم معاقبتكم.

وبهذا الاستنتاج أعلن الحاضرون أنهم يفهمون الغرض من القصة كما روى القرآن. وبعد تقديم القهوة والحلوى، بدأ الضيوف في الاستعداد للمغادرة وقالوا: نحب أن تتاح لنا فرصة أخرى لسماع آراء الدكتور عمر حول قضايا أخرى.

تلقيت هذا الصباح رسالة نصية من إدوارد الذي قامت عائلته بزيارتنا في اليوم السادس من وصولي. تقول الرسالة: "يسعدني أن أدعوك أنت وعائلتك لتناول العشاء في منزلنا غدًا. لقد كنت مهتمًا جدًا بآرائك أثناء

زيارة عائلتك. إذا كنت لا تمانع، سأدعو أيضًا عائلة أخي. كان أخي توني مدرسًا في كلية متخصصًا في الدراسات الدينية المقارنة. إنه مهتم بمناقشة بعض القضايا معك." أجبت بقبول الدعوة.

2. قصص الأنبياء في القرآن

في اليوم التالي ذهبت والعائلة إلى منزل إدوارد. بعد العشـــاء قال توني: سـمعت أنك باحث في الأدب الإسـلامي، وأود أن أسـمع رأيك في بعض القضـــايا. قلت: ســـيكون الأمر مثيرًا للاهتمام نظرًا لأن لديك خلفية في الدراسات الدينية المقارنة.

قال حمزة، في المرة السابقة وبحضور عائلة ادوارد استعرضنا قصة آدم. أقترح ان نستكمل مع قصص بقية الأنبياء. وافق الحضور على الاقتراح:

بعد العَشـــاء بدأت بالقول؛ لقد رأينا في قصـــة آدم أنه من حكمته سـبحانه وتعالى، ومعرفته طبيعة خلقه وأســـلوب حياتهم البدائي وقدراتهم العقلية المحدودة، كان الوحي والإرشـاد الأول بسـيطًا: يؤكد أن هناك خالقًا واحدًا فقط، وهناك حياة أخرى بعد الموت حيث سيحاسب كل إنسان على أعماله. وظل الناس يتصـــرفون وفق هذا التوجيه لبعض الوقت. وبعد أن انتشـــر الناس في الأرض، انحَرف البعض عن هذا الهدى. ومن رحمته ورعايته لهؤلاء البشر، ظل يُلهِم بعض الأشخاص المختارين من كل مجتمع كأنبياء لإعادة الناس إلى الإيمان بالمبادئ الأســـاســـية المتمثلة في أن الله واحد وستكون هناك حياة أخرى.

يخبرنا القرآن عما حدث في الآية 213 من سورة البقرة.

﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّـــرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ۚ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

وهكذا كلما انحرف الناس عن طريق الحق، أرسل الله إليهم نبيا يهديهم ويدعوهم إلى عبادة الله الواحد الأحد، وإلى الإيمان بالآخرة، واليوم الآخر، والعمل الصالح. ونوح أول الأنبياء بعد آدم، ومحمد صلى الله عليه وسلم آخرهم. يذكر القرآن 25 اسمًا لهؤلاء الأنبياء ويخبرنا أن هناك المزيد من الأنبياء الذين أرسلوا إلى مجتمعات أخرى في أجزاء مختلفة من العالم.

انضم محسن، الحفيد الأكبر، إلى مجموعة المناقشة وطرح سؤالاً: هناك الكثير من قصص الأنبياء في القرآن؛ ماذا يقول لنا الله من خلال هذه القصص؟ بالتأكيد ليس للترفيه. هل هناك رسالة وراء القصص؟

3. الدروس المستفادة من القصص القرآنية:

تحتوي معظم المصادر الدينية على أساطير وتخيلات وتفاصيل عن أصل الإنسان وحياة الأنبياء. وجاء القرآن ليصحح هذه المفاهيم الخاطئة مع الإيجاز والبلاغة في السرد.

الآية 111 من سورة يوسف تقول: *﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾*

قد اختار الله تعالى أحداثًا تُمَثِّل مفاتيح تطور تاريخ البشرية، بدءًا من آدم الذي يبين فيه كيف أن الرسالة الإلهية الأساسية هي نفسها مع جميع الأنبياء؛ وحدانية الله وحقيقة أن هناك حياة أخرى. لقد أعطى الله الإنسان التعليم والمعرفة من خلال نفخة الروح (المعرفة والمشيئة والإرادة)، بحيث تمكنه من التكيف مع البيئة التي يعيش فيها. وبما أن بيئتهم كانت محدودة، كانت قدرات الدماغ محدودة وكامنة، ولم يتم تفعيلها إلى أقصى إمكاناتها. ولذلك كان الله يعلمهم بأمثلة محسوسة مما يرون ويفهمون.

بالإضافة إلى المبادئ الأساسية ومبادئ الدين التي لا تتغير، فإن القصص تعطينا كيف تطور المجتمع وكيف تطورت عقولهم وتفكيرهم.

من النبي نوح إلى إبراهيم:

أول نبي بعد آدم (بعد 5000 سنة تقريبا) كان نوحا عليه السلام. ومن قصة النبي نوح نتعلم عن وجود عبادة لظواهر الطبيعة؛ ظهور الخدم والعرافين الذين يخدمون آلهة متعددة ويتحدثون باسمهم. ونستنتج من القصة انه تم تحسين مهارات الاتصال لديهم. وكانوا يجادلون النبي كما جاء في القرآن في الآية 32 من سورة هود: ﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾

ومن قصة النبي هود نعلم أن الناس بدأوا في تدجين الماشية واستخدامها في العديد من الأغراض. كما تعلموا كيفية بناء بيوتهم، وبذلك بدأ ظهور القرى التي يبنونها على قمم التلال خوفًا من الطوفان، كما حدث لقوم نوح.

ومن قصة النبي صالح نفهم أنه كما الأنبياء من قبله دعا قومه إلى عقيدة التوحيد وطاعة الله وتقواه حتى يحرر أفكارهم من ويلات التقليد الأعمى، ويحرر إرادتهم من تسلُّط الطواغيت المسرفين الذين لا يقودونهم إلا إلى الذل والفساد والدمار كما جاء في الآية 150-152 من سورة الشعراء: *﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ ﴿ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾ ﴿ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ ﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾*

قصة النبي ابراهيم

أما قصة النبي إبراهيم فنتعلم منها كيف تطور الوضع الاجتماعي من بدائي في بيئة محدودة إلى وضع أكثر تعقيدا حيث يتواصل الناس مع بعضهم البعض، وتقدم وتطور المزيد من المعرفة. وتوسعوا في المباني حتى ظهرت القرى والمدن. وعندما واجه البشر الأوائل تحديات بيئية جديدة وطوروا أجسامًا أكبر، فقد طوروا أدمغة أكبر وأكثر تعقيدًا. يمكن للأدمغة الكبيرة والمعقدة معالجة وتخزين الكثير من المعلومات.

وأهم المعلومات التي نجدها في قصة إبراهيم هي استخدام العقل والمنطق في إدراك خلق الله والوصول إلى الإيمان بوحدانية الله كما هو مشار إليه في الآية 74-79 من سورة الأنعام.

۞وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ (74) وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ (75) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ (76) فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ (77) فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ (78) إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ (79) وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ(80)

في الآيات العديدة التي تتحدث عن إبراهيم، يعلم الله البشر الطريقة الصحيحة للاكتشاف من خلال الملاحظة، وكيفية استخدام العقل والمنطق في النقاش مع الآخرين. ويشار إلى إبراهيم في القرآن على أنه إمام الأمة، وأن نظرته للحياة حنيفة أي مرنة، يُعدِّل أفكاره حسب الظروف والأدلة المكتشفة. وفي الواقع هو زعيم التفكير العلمي.

عندما شعروا أنني على وشك التوقف. قال محسن: وماذا عن قصة موسى التي كانت في الكثير من سور القرآن؟ ما الذي أراد الله أن نتعلمه هناك.

بعد العشاء، اجتمعنا للمتابعة. طلب اثنان من أصدقاء محسن في المدرسة الإذن للانضمام إلى المناقشة حول قصة النبي موسى.

<u>قصة النبي موسى:</u>

بدأت أقول: الفرق الكبير بين موسى والأنبياء الآخرين الذين سبقوه هو:

1. أرسل الله الوحي لأول مرة بشكل مكتوب على ألواح تحتوي على وصايا التوراة العشر. علاوة على ذلك، كلف الله موسى بمواجهة أعتى الطُغاة في ذلك الوقت الذي ادعى أنه الله - فرعون وسحرته. وهكذا زود الله موسى بالأدلة القاطعة الواضحة التي تؤيد نبوته. أما أدلة النبوة فقد جاءت بمعجزات شخصية شهدها الناس؛ كتحول العصا إلى حية، وخروج يده من جيبه بلا عيب، وانشقاق البحر، ونحو ذلك.

2. تشير القصة إلى أن العِناد (مثل قصة البقرة) والتطرف في الدين يؤدي إلى مزيد من المتاعب ومزيد من المشقة كما في الآية 101-102 من سورة المائدة:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ ﴿ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾

3. هناك عبرة مفادها أنه مهما بلغ الإنسان من العلم، عليه أن يطلب المزيد وألا يبالغ في ثقته أو ينخدع بعلمه. تخبرنا قصة موسى والرجل الصالح أن العلم نوعان: (1) علم مكتسب يدركه الإنسان باجتهاده وتحصيله؛ (2) العلم الإلهي والحكمة التي يؤتيها الله من يشاء من عباده؛ كما جاء في الآية 65 من سورة الكهف:

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾

وفي هذه المرحلة تم طرح سؤال آخر. ماذا عن قصة يسوع؟ قلت: حسنًا، هناك وقت كافٍ للحديث عن ذلك.

قصة يسوع المسيح:

بعد موسى انحرف أتباعه عن تعاليمه، وقتلوا بعضًا من أنبيائهم المتأخرين، وانقسموا فيما بينهم. وبعد أن غزاهم الرومان، ذهب كهنتهم إلى بابل حيث بدأوا في كتابة تعاليم موسى الشفهية في كتب مثل التناخ

والتلمود. وتضـــمنت هذه الكتب فصـــولا كثيرة لا علاقة لها بالتوراة ولا بتعاليم موسى والأنبياء من بعده. مرة أخرى ورحمة من الله فقد جعل مريم ابنة عمران تلد بأعجوبة طفلاً اســـمه عيســـى / المســـيح في القرآن. منذ ولادته علمه الله التوراة الحقيقية وطلب منه إصلاح اليهود.

نتعلم أشياء كثيرة من قصة يسوع:

1. إثبات قدرة الله على خلق عيســـى بقوله "كن" كما كان مع خلق آدم الأصلي. لقد ولد يسوع نبيا وهو يعرف التوراة مقدما.

2. إثبات النبوة تم بمعجزات شـــخصـــية شـــهدها الناس كالتكلم في المهد، وشفاء المرضى، وإحياء الموتى بإذن الله، ونحو ذلك.

3. ظهور المبالغة في إجلال الأنبياء والمرسلين والصالحين إلى حد تسمية عيسى ابن الله وجعله إلهاً.

4. جاء عيسى، مصدقاً لما نزل في التوراة، ومكملاً لها.

5. اختلف أتباع عيســى في آرائهم حول مصــيره. وقد أوضــح القرآن هذا الأمر في الآية 157 من سورة النساء:

﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ، وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾

6. بشر نبي الله عيسى بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم. قال تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف: 6]

بعد التوضـــيحات حول عيســـى عليه الســـلام، أعلنت أن الوقت قد حان للتوقف. ومع ذلك، صـــرخ الجميع في وقت واحد: ماذا عن النبي محمد؟ قلت إنها قصة طويلة، وسنبدأ بها في المرة القادمة.

حياة النبي محمد (ص)

لقد أصبحت حياة الإنسان في عصر الوحي على النبي محمد (ص) مختلفة تماماً عما كانت عليه في العصور السابقة. وظهرت المدن والحضارات، وانتشرت الكتابة كممارسة؛ وازدهرت اللغة والشعر والبلاغة في التعبير. كما تطورت وسائل وأنواع البناء والزراعة والتجارة ووسائل النقل مما يسهل السفر من بلد إلى آخر. وكانت الدول في حالة صراع مع بعضها البعض، مثل الدولتين الرومانية والفارسية، وكانت المجتمعات تتأثر ببعضها البعض.

كل هذه التغيرات وتشابك العلاقات أدت إلى تطور الدماغ البشري وأدت إلى تفعيل الطاقات الكامنة التي أودعها الله في الإنسان. وتشير الأبحاث والتنقيبات الاستكشافية إلى أن العقل البشري في تلك الفترة أصبح أكثر قدرة على ربط وتحليل المعلومات المتاحة والوصول إلى الاستنتاجات باستخدام المنطق والعقل.

عالمية رسالة القرآن:

1. في حين تم تشخيص أدلة النبوة للأنبياء السابقين، فإن دليل نبوة محمد (ص) هو القرآن نفسه. وهكذا كانت هناك نقلة من التشخيص إلى التفكير المجرد على طريقة سيدنا إبراهيم في التفكير المنطقي.

2. كان التشريع قبل محمد (ص) يحمل الطابع الزماني والمكاني لـ"المرحلة التاريخية" من حيث الزمان والمكان بالنسبة لبني إسرائيل. فكان موسى رسولاً إلى بني إسرائيل، وأرسل عيسى إلى بني إسرائيل ليُعدل شريعة موسى. وبما أن محمد (ص) هو آخر الرسل، بالإضافة إلى كونه خاتم الأنبياء، فإن رسالة محمد (ص) كانت مختلفة تماما. فكانت رسالة محمد (ص) عالمية، مرسلة إلى العالم أجمع كآخر الوحي، وهكذا جاء إثبات نبوته بشكل مجرد، صالح لكل زمان ومكان.

وينطبق قوله تعالى "" *وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين* "" "*قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم أجمعين*" الآية 158 من سورة الأعراف.

3. تناولت شريعة موسى حالات فردية تنطبق على ذلك الزمان والمكان. لقد تضمنت (4) عقوبات جسدية و(16) عقوبة إعدام، ولم تنسخ إلا مع وصول الرسالة المحمدية، فهي الرسالة التي نسخت شريعة موسى مع ما طرأ من التعديلات التي أتى بها يسوع المسيح. ولم يتبق سوى ثلاث عقوبات في الشريعة الإسلامية: عقوبة الموت (على القتل العمد) كحد أقصى مع إمكانية العفو؛ وعقوبة الجلد بتهمة الفحش العام (الزنا) وجريمة القذف؛ والثالث عقوبة السجن (قطع اليد بالمعنى المعاصر) للسرقة. ومن الأمثلة على عقوبات الإعدام في شريعة موسى:

أ- إذا تزوجت فتاة ولم تكن عذراء، يخرجونها إلى باب بيت أبيها، ويرجمها رجال مدينتها بالحجارة حتى تموت (تثنية 22).

ب. إذا وجد رجل مضطجعًا مع امرأة متزوجة، يقتل كلاهما، الرجل والمرأة (تثنية 22).

ج- إذا زنى رجل مع امرأة، يُقتل الزاني والزانية معًا (لاويين 20).

د- إذا اضطجع رجل مع بهيمة يقتل الرجل والبهيمة (لاويين 20).

هـ- إذا اضطجع رجل مع ذكر اضطجاع امرأة، فقد فعلا كلاهما رجساً. فيقتلون ويكون دمهم عليهم (لاويين 20).

و- كل إنسان يشتم أباه أو أمه فإنه يقتل ودمه عليه (لاويين 20).

<u>خصائص الرسالة المحمدية:</u>

الصفة الأولى: الرحمة.

وقد وردت الرحمة في قوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) (الأنبياء 107)، لأن الله تعالى أراد أن يشفق على عباده لهول التشريعات

الخاصـــة الموجودة قبل البعثة المحمدية. ولهذا قال: (...ذلك تخفيف من ربك ورحمة...) (البقرة 178).

ب- الخاصية الثانية: العالمية:

وتتمثل عالمية الرســالة المحمدية في شــمولها لجميع جوانب التشــريع الإنسـاني من خلال نظرية حدود التشـريع، مما أتاح لها أن تكون شـاملة، واســتحقت أن تكون خاتمة لجميع الرســالات الإلهية، لأن الحدود التي تضـمنتها الرسـالة جعلتها رسـالة تنطبق على كافة التشـريعات الإنسـانية على مر العصـور والأزمنة وتسـتوعب كافة التشـريعات الإنسـانية مهما تعددت واختلفت.

ج: الخاصية الثالثة: الخاتمية:

قال الله تعالى في محكم تنزيله: (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رســول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شــيء عليما) (الأحزاب 40). فالرسـول هو الخاتم لأن الرسـالات السـماوية مختومة برسـالته. وآخر ما وصــلت إليه الرســالة المحمدية هو الرحمة التي فتحت أبوابها على مصراعيها للإنسانية جمعاء بما احتوته من سهولة وفَرَج. وأهم ما اختتمت بـه الرســالة الإلهية هو المحظورات التي ختمت نهائيا في الرســالة المحمدية، لتكون دليلاً للإنسانية على مَرّ الزمان.

﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة الأعراف: 157]

وكون محمد (ص) هو خاتم الأنبياء والمرســلين، فقد تعهد تعالى بالحفاظ على الصـورة الصـوتية الذي نزل به الوحي بلسـان عربي مبين، دون أي تحريف أو تبديل كما جاء في الآية 9 من سورة النبأ. الهجرة:

«إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون».

كما بين سبحانه في الوحي جميع الأحكام التي يحتاجها الإنسان في حياته الروحية والمادية والنفسية والاجتماعية، وكيفية إجراء المعاملات المالية بين الناس وكيفية التعامل مع الآخرين على اختلاف انتماءاتهم الدينية.

سألت "جميلة" وهي تدوّن ملاحظات في دفترها: "سيدو، قلت إن الإسلام رسالة عالمية، كيف يكون ذلك؟ أليس هو آخر الأديان؟"

أجبتها: "نعم، الإسلام هو آخر الرسالات، لكنه ليس دينًا جديدًا، بل هو استكمال لمسيرة الإيمان منذ آدم عليه السلام. فالقرآن جاء ليؤكد الرسالات السابقة ويصحح ما حُرّف منها. ولذلك سمّاه الله (الذكر) و(الفرقان)".

ثم قرأت عليهم: "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا" سبأ: 28

"إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ" الإسراء: 9

"فالقرآن ليس موجهًا لقوم بعينهم، ولا بلغة محلية فقط، بل هو نور للعالمين، وكتاب هداية متجددة لكل من يطلب الحق".

قالت سوزان: "لكن لماذا يوجد الآن هذا العدد الكبير من الديانات؟"

"سؤال كبير جدًا، وله جذور تاريخية. سأعطيكم نبذة الآن وستجدون مزيداً من التفصيل في مواقع أخرى من الكتاب.

في الأصل، كل الرسل جاؤوا بدين واحد: التوحيد. لكن بمرور الزمن، وتدخل البشر، حُرّفت بعض الرسالات، وتفرقت الأمم إلى طوائف ومذاهب. وبعض الديانات الحالية نشأت من تصورات بشرية أو أسطورية دون وحي سماوي".

ثم قرأت عليهم من سورة البقرة:

"كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ"... البقرة: 213

"يعني في الأصـــل، الناس كانوا على فطرة واحدة، ثم بدأ الانحراف، فأرسل الله الأنبياء لهدايتهم من جديد".

تابعت:
"الإسلام يعلّمنا احترام كل الأنبياء، بل لا يتم إيمان المسلم حتى يؤمن بهم جميعًا. نقرأ في سورة البقرة:

"آمَنَ الرَّسُـــولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ"...البقرة: 285

"نحن لا نفرق بين الرسل، ونعلم أن الله أرسل لكل أمة رسولًا. لكن القرآن هو الكتاب الوحيد الذي حفظه الله من التحريف، وجعله مرجعًا لتصـــحيح ما اختلط أو ضاع من الرسالات السابقة".

قال حمزة:
"يعني يا سيدو، ما في تناقض بين الإسلام والرسل السابقين؟"
قلت له: "أبدًا يا بني. بل الإسلام يُكملهم، ويؤكد أصل دعوتهم، وهو التوحيد، والعمل الصالح، والإيمان باليوم الآخر".

4. مفهوم الدين، الملّة

بعد أن قدّمت زوجة ادوارد القهوة جلست معنا للمشاركة قائلة: لماذا لدينا عدة ديانات الآن.؟

قلت: سـأحاول في مناقشـة اليوم أن أشـرح مفهوم الدين وكيف بدأ وانتهى فيما يســميه الناس الآن الديانات الإبراهيمية بشـــكل رئيســـي، اليهودية والمسيحية والإسلام.

دعونا أولا ننظر إلى المعنى اللغوي للدين.

عادة ما يُنظر إلى الدين كما تم تعريفه في الموســوعة البريطانية على أنه الطريقة التي يتعامل بها الناس مع المخاوف النهائية بشـــأن حياتهم ومصيرهم بعد الموت.

الدين في اللغة العربية يأتي من الفعل (دان) ويعني اعتناق فكرة أو مذهب معين والاعتقاد به والسير في طريقها. وردت كلمة (الدين) في كثير من آيات القرآن الكريم. ويحدد السياق المعنى المناسب في كل حالة.

1. المُلك والسلطان، كما في قوله تعالى: *وَلَا يَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمُلْكِ* {يوسف: 76} أي: في ملكه وسلطانه.

2. الطريقة، كما في قوله تعالى: «*لكم دينكم ولي دين*» {الكافرون:6}.

3. الشريعة التي ارتضاها الله لعباده، كما في قوله تعالى: *شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك* {الشورى: 13}.

4. يوم القيامة – يوم الجزاء

خلاصة الأمر أن كلمة الدين هي منهج حياة. ومع ذلك، مع مرور الوقت، رَكَّز الناس فقط على الطقوس التي يمارسها الأشخاص المختلفون، ثم أصبح الدين مجرد أماكن للعبادة: الكنيس والكنيسة والمسجد.

ولننظر إلى ما حدث وإلى أصول ما يسمى بالأديان:

1. بملاحظة ما نراه من البنية الرائعة للكون، توصلنا إلى استنتاج مفاده أن هناك خالقًا، لكن عقولنا لا تستطيع أن تدرك طبيعته بشكل كامل. فمن المنطق أنه لا يوجد سوى إله واحد. لأنه لو كان هناك الكثير لتنازعوا على السيطرة مما يؤدي إلى الفوضى في الكون.

2. بما أن هناك خالق/إله واحد فقط، فمن الطبيعي أن هناك طريقة واحدة للنظر إلى الحياة والموت. كما أوضحنا سابقًا، كانت الرسالة الأساسية لجميع الأنبياء هي نفسها. فكيف تطورت إلى ديانات مختلفة؟

- الكتاب الإلهي (التوراة) المنزل على موسى منقوش في ألواح تعرف بالوصايا العشر. أما بقية تعاليمه فكانت تعليمات شفوية فيما يتعلق بالعقيدة والتشريع. وبعد غزو الرومان للمملكة اليهودية بحوالي ألف سنة من زمن

بعثة موسى، اجتمع الحاخامات المهجَّرون في بابل وكتبوا مثل هذه التعاليم في مؤلفات، منها كتب التلمود والتناخ. ولم يتم العثور على أي أثر للتوراة الأصلية حتى الآن.

الكتاب الإلهي (الكتاب المقدس) الذي جاء به يسوع كان في شكل تعاليم شفوية، يحث اليهود على العودة والالتزام بالتوراة الأصلية. ومرة أخرى بعد موت يسوع، انتشر الرسل في البلدان المجاورة. وكتب كل واحد من الرسل كتاباً عما فهمه من تعاليم السيد المسيح.

اجتمع الأساقفة المسيحيون في مدينة نيقية في مقاطعة بيثينيا الرومانية في مايو ويونيو من عام 325 م بناءً على طلب وتوجيه من قسطنطين ("الكبير") لمناقشة الأمور التي كانت مزعجة للكنيسة، وبالتالي للإمبراطورية. تمت دعوة المجمع إلى حد كبير لمعالجة الآريوسية، تعاليم أسقف الإسكندرية آريوس بأن يسوع لم يكن إلهيًا، بل كائنًا مخلوقًا. أكد المجمع وجهة النظر الأرثوذكسية لكون المسيح ذو طبيعة إلهية وبشرية وطوّر العقيدة النيقية، واتفق المجمع على أن يسوع هو الله حقًا، ولذلك نشر عقيدة تنص على الإيمان المسيحي بطريقة تُدين الآريوسية تمامًا.

سألت ندى وهي تتأمل في الآيات التي كنا نقرأها: "سيدو، كيف نعرف أن القرآن لم يتغير؟ ما هو دليلك على أنه من عند الله فعلاً؟"

أجبتها مبتسمًا:
"سؤال رائع. الأصل في القرآن أنه كلام الله، أنزله على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، بواسطة جبريل عليه السلام، وحُفِظ كما هو منذ نزوله.
أولًا، الله نفسه تكفّل بحفظه، فقال: "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" الحجر: 9

"وثانيًا، القرآن نُقل بالتواتر: يعني أن آلاف الصحابة حفظوه وعلّموه، وألّفوا به الصلاة، والتلاوة، والحياة اليومية.

وثالثًا، كل نسخ القرآن في العالم اليوم متطابقة في محتواها، سواء في مكة، أو مصر، أو ماليزيا".

قلت لهم:
"وليس ذلك فقط، بل القرآن مليء بالإشارات العلمية الدقيقة التي لم تُكتشف إلا في العصر الحديث، مما يؤكد أنه لا يمكن أن يكون من تأليف بشر قبل 1400 عام".

ثم التفت إليهم وقلت:
"ولأن القرآن هو الدستور الإلهي الأخير، فقد بيّن لنا قواعد الإسلام الأساسية التي بُني عليها، والمعروفة باسم أركان الإسلام وأركان الإيمان".

خلاصة الأمر أن الكتب اليهودية التي بين أيدينا، وكذلك الأناجيل، كانت من صنع الإنسان بناءً على الروايات الشفهية، وخضعت للعديد من التنقيحات.

وبعد التوضيحات، وافق إدوارد على أن هذا صحيح تاريخيًا. فسأل أخوه طوني: ما الدليل على أن القرآن الذي بين أيدينا هو كلام الله؟ فالقرآن بشكله الحالي كُتِب بعد 300 عام من وفاة النبي محمد. ثم أضاف: أنا لم أقرأ القرآن، ولكنني قرأت الكثير من الكتب الإسلامية وبعض تفاسير القرآن. ,أود ان نلتقي غداُ لاستكمال البحث والحوار.

5. أصل القرآن:

التقينا مرة أخرى في بيت ادوارد، وبعد السلام وشرب القهوة بدأ توني الحوار بالسؤال: ذكرت سابقا أن التوراة الأصلية والإنجيل تم تحريفها. كيف نتأكد أن القرآن الذي كتب منقطا ومشكلا حصل في العصر العباسي بعد حوالي ثلاثمائة سنة من وفاة الرسول (ص)؟ كما أنني لقد وجدت تناقضات في كتب التراث الإسلامي.

قلت: هذه نقاط هامة وتستحق التحقيق والمناقشة. ولنبدأ بكيفية نزول القرآن على النبي محمد، وكيف تم تسجيله وجمعه، وكيف فهم التابعون أو أخطأوا في فهم بعض آيات القرآن.

أولاً: اتفقنا على أن الخالق (الله) لديه كل القدرة، وكل المعرفة، وكل الحكمة، وكل الخبرة في كل مجال يمكن أن نفكر فيه كبشر. علمه شامل يشمل الماضي والحاضر والمستقبل. لقد خلق الكون على مراحل اتفقت عليها جميع كتب الدين. (الله وحده يعلم المدة التي استغرقتها كل مرحلة. إن مفهوم الزمن عند الله يختلف عن مفهومنا.

يستخدم (القرآن) بعض المصطلحات التي يجب أن نفهمها أولاً. على سبيل المثال:

اللوح المحفوظ: هو جزء من علم الله الذي يحتوي على القوانين الكونية التي تتحكم في الكون الواردة في القرآن. كما في الآية 22 سورة البروج: """ *﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴾ ﴿ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾*

الامام المبين: في علم الله أرشيف للأحداث التاريخية منذ بدء الخليقة. كما في الآية 12 من سورة ياسين:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾

ثانياً: قَرَن سبحانه وتعالى القوانين الكونية في اللوح المحفوظ مع الأحداث التاريخية في الإمام مبين (والله أعلم بكيفية وجودها أصلاً) ثم حَوَّلها وصاغها لساناً عربياً مبيناً حتى يتمكن النبي العربي وقومه من فهمها. كما في قوله تعالى: آية 3 سورة الزخرف "*إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون*".

ثالثاً: أنزل جبريل آيات القرآن (آيات وبراهين النبوة) دفعة واحدة على شكل موجات (صوت/صورة، والله أعلم) إلى مركز الإدراك في دماغ

النبي (ص) وقام بتخزينها في الخلايا العصبية. قال الله تعالى: "*إنا أنزلناه في ليلة القدر*..." آية 1 سورة القدر.

أما آيات الرسالة المشتملة على الأحكام الشرعية والأخبار المتعلقة بتنظيم المجتمع والفتوحات والأحداث في زمن النبي، فقد نزلت مباشرة كلما حدثت. وتولى جبريل مهمة تفعيل الأوامر (الروح) واسترجاع النص المخزن وتلاوة الوحي على النبي على مراحل، ليقرأه النبي بدوره على الناس حسب هذه المراحل (على مدى 23 سنة).

كما قال الله تعالى: "*﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا﴾* (الإسراء 106)،

رابعاً: كان النبي - تحت إشراف الملاك جبريل - ينزل عليه آية من الوحي، فكان يتلوها على المؤمنين برموز الصوت والحركة، ويأمر الكتبة أن يكتبوها بالشكل الذي يتخيله في ذاكرته. وهكذا تم جمع القرآن الكريم كتابةً من فم الرسول (ص) وتحت إشرافه (خلافاً للكتب السماوية السابقة). واستمر الصحابة في تكريس أنفسهم لحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب.

الخليفة أبو بكر الصديق؛ جمع الكتابات من الرقع والعظام والسعف وقارنها بما حفظه الصحابة. وفيما بعد، في عهد الخليفة عثمان، تم نسخ سبع مصاحف، وأرسلت نسخة إلى كل من مكة والشام واليمن والبحرين والبصرة والكوفة، واحتفظ بواحدة في المدينة المنورة.

خامسًا: لاحقًا في العصر العباسي، تم إضافة رموز الحركة فوق الحروف وتحتها للتأكد من نطق الكلمات كما نزلت صوتًا وحركات من جبريل إلى النبي، دون أي تغيير في النص في النسخة العثمانية الأصلية.

قال طوني فكيف يوجد في القرآن كلمات كثيرة بنفس الحروف ونفس النطق مكتوبة بشكل مختلف؟ مثل الصلاة/الصلوة والزكاة/الزكوة تكتب أحيانًا بالألف وأحيانًا بالواو. أستطيع أن أعطيك عشرات الكلمات مثل هذه

الأمثلة. وهذا دليل على التناقض. كيف يمكن أن تكون كلمات الله غير متسقة؟

قلت: لست وحدك الذي يثير مثل هذا السؤال. يشير العديد من المسلمين وغير المسلمين إلى ذلك باعتباره انتقادًا. في الواقع، لقد بحثت في هذا السؤال بدقة. باستخدام بحث جوجل، طلبت إدراج جميع الآيات (في نسخة عثمان الأصلية المكتوبة من القرآن – على الإنترنت) حيث جاءت كلمة صلاة بالواو وأين جاءت بالألف. فوجدت أنها كتبت بالواو كلما دل السياق على أنها تشير إلى الصلاة بالأداء والحركات الجسدية؛ أما عندما كُتبت بالألف فإن السياق يشير إلى ذكر الله والدعاء له بالفضل والاستغفار، ويكون ذلك سواء كنت جالساً أو مضطجعاً أو ماشياً. وهذا دليل على دقة استخدام الألفاظ في القرآن.

لمزيد من الأمثلة وشرحها، يمكنك قراءة المزيد من التفاصيل في موقع الويب الخاص بي www.dromarstudies.com.

عند هذه النقطة، قال إدوارد: لدي سؤال وآمل ألا يكون مسيئًا. لماذا يعتبر المسلمون كل مسيحي كافر، وأننا مصيرنا النار يوم القيامة؟

قلت: هو سؤال صحيح. وأنا أتفق معك في أن غالبية رجال الدين الإسلامي والأدب الإسلامي يتبنون هذا الرأي. أجاب: ولكن لماذا؟ فهل هناك أي دليل مؤيد في القرآن يقول ذلك؟

6. القرآن والتسامح مع غير المسلمين

سوزان عقَّبت على استفسار ادوارد بسؤال مباشر: "سيدو، هل صحيح أن الإسلام لا يقبل غير المسلمين؟ أليست هناك آيات تتحدث عن القتال أو الكفر؟"

ابتسمتُ وقلت:
"يا سوزان، هذا من أكثر المواضيع التي أُسيء فهمها. الإسلام لا يكره

أحدًا على الإيمان، بل يعترف بوجود التنوع الديني، ويدعو للتعايش، لا للإقصاء".

قلت لهم: "أول قاعدة قرآنية في هذا الباب: "لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ" لبقرة: 256

"الله لم يُكره أحدًا على الإيمان، فكيف يُكرهنا على إكراه الآخرين؟

"القرآن يخاطب الإنسان بالعقل، لا بالسيف، ويُبيّن الطريقين، ويترك القرار للحرية الشخصية".

التنوع الديني سنّة إلهية. الله سبحانه قال: "وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا"...يونس: 99

"يعني: لو أراد الله أن يجعل الناس على دين واحد لفعل، لكنه خلقهم مختلفين، ليمتحنهم، ويترك لهم الحرية". "وأشار إلى أن الإيمان والعمل الصالح، وليس الاسم أو الانتماء، هما ميزان القَبول عند الله".

قالت "جميلة:"
"لكن يا سيدو، هناك من يرفض تهنئة غير المسلمين أو التعامل معهم".
قلت: "هذا فَهمٌ متشدّد لا يستند إلى القرآن".

"الله تعالى قال":لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ... أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ" الممتحنة: 8

"يعني التعامل بالحسنى، بالبرّ والعدل، مع من لم يعادِ المسلمين، بل حتى ولو كانوا من ديانات أخرى".

خلاصة الحديث: الإسلام لا يُعادي أحدًا على دينه، بل يُقيم العلاقة على العدل والبرّ. والخلاف في العقيدة لا يعني الخصومة في الإنسانية. ومن يتعامل مع غير المسلم باحتقار أو قسوة، فهو يسيء للإسلام أكثر مما يسيء للآخر".

قلت: والآن اسمحوا لي أن أشرح كيف أن هذا ناتج عن سوء فهم لبعض مصطلحات وآيات القرآن وعدم التمييز بين مصطلحات الدين ومصطلحات المِلة. اعتبروا أنه يجب على الإنسان أن يؤمن بمحمد كنبي ورسول الله حتى يعتبر مسلما. ولكن هناك آيات كثيرة في القرآن تشرح بوضوح من هو المسلم. نعم! فبما أن هناك إله واحد، فلا يوجد سوى دين واحد. يُعرّف القرآن المسلم بأنه من آمن بالله واحداً وآمن بالآخرة وعمل صالحاً فهو مسلم. يقول تعالى في سورة آل عمران، الآية 19: «إن الدين عند الله الإسلام». "

تقول آيات كثيرة في القرآن أن الأنبياء نوح وإبراهيم ويوسف ويعقوب وسليمان وموسى وعيسى كانوا مسلمين. ولكنهم كانوا قبل محمد (ص)، ولم يشهدوا لرسالته، ولم يصوموا رمضان، مما يجعلنا نجزم بأن الإسلام مرتبط بالله وحده.

وهذا واضح في قوله تعالى: ﴿*إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ*﴾ آية 62 البقرة.

7. أركان الإسلام والإيمان:

الفهم الصحيح للعقيدة كما ورد في القرآن يأتي على عدة مستويات:

المستوى الأول: الإسلام؛ يكون الإنسان مسلماً إذا كان:

1. الاعتقاد بوحدانية الله
2. الاعتقاد باليوم الآخر
3. القيام بالأعمال الصالحة في معاملاته مع الناس

المستوى الثاني: الإيمان؛ يكون الإنسان مؤمناً إذا كان:

1. أن يكون مسلماً يعتقد بالمسلمات الثلاث أعلاه

2. الإيمان بنبوة محمد (ص) ورسالته واتباع النبي محمد (ص) في أداء المناسك (الصلاة والزكاة وصيام رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا).

3. الإيمان بجميع الأنبياء بدءاً من نوح حتى آخر الأنبياء محمد...

المستوى الثالث: الإحسان؛ يكون الإنسان محسنًا إذا بذل قصارى جهده سواء في أداء شعائره الدينية أو في أعمال الحياة، مثل العامل الذي يجب أن يقوم بعمل جيد، وأن يكون صادقًا، ولا يغش، وما إلى ذلك.

أتمنى أن أكون قد أجبت على سؤالك أخي إدوارد. أنت مسلم عند الله كما هو موضح في القرآن.

أجاب ادوارد : لأول مرة أسمع مثل هذا الشرح ولو كان واضحا في التراث الإسلامي لأدرك الناس أن الإسلام في منتهى السماحة وتقبل الآخرين.

قالت ندى بإعجاب:
"أشعر وكأن الصورة أصبحت أوضح الآن. الإسلام ليس مجرد شعائر، بل هو نظام متكامل للحياة".

قلت: "أحسنتِ يا ندى. الإسلام يدعونا لأن نكون صالحين في أنفسنا، ومع الآخرين، ومع الكون كله".

قلت: دعوني أُكمل لتروا أسباب الخطأ في الفهم:

على الجانب الآخر؛ الملة/ الطائفة/ العقيدة: هي المنهج والممارسة في الحياة.

تقول آية (آل عمران 67-68):"*﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ۗ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾*

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۗ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾

[سورة آل عمران: 19]

وهكذا كان هناك دين واحد منذ الخلق. وبعد ذلك اختلف الناس في طريقة ممارسة الإيمان إلى طوائف مختلفة / الملة.

المِلّة هي المنهج وطريقة الممارسة في الحياة.

لذلك لدينا:

المِلّة الحنفية (الإبراهيمية): منهج يتحرك وفق الثابت والمتغير بصورة تصاعدية تراكمية، مرتبط بالواقع ويتسم بالانفتاح والمرونة وبالتعايش مع الآخرين .(وهو منهج النبي إبراهيم، ولذلك جعله الله إمام الناس). هذا المنهج يستعمل العقل والمنطق في الحوار والبحث عن الحقيقة.

المِلّة النصرانية: منهج يتبع الآباء، ولا يسمع رأي الآخرين، ولكنه يقبل التعايش مع الآخرين. (من الضالين)

المِلّة اليهودية: منهج يتبع الآباء، عدواني، أحادي، متعالي ومنغلق لا يتعايش مع الآخرين. (من المغضوب عليهم) "لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ ۚ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ" الحشر 14

يؤكد القرآن أن القاضي في الخلاف بين هذه الملل هو الله وحده. وفي الحياة الدنيا لا ينبغي لأي سلطات من حكومات أو جماعات أن تحكم من هو المحق أو المخطئ، كما في سورة البقرة 62: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

وفي ختام المناقشة، قال إدوارد والعائلات: هذا يُظهر الإسلام كدين تسامح وسلام، على عكس ما هو موجود في العديد من الكتب الإسلامية وعلى عكس ما يعتقده الكثيرون في الغرب عن الإسلام.

في هذه الأثناء قال توني: ما دمنا نتناقش بصراحة، أود أن أطرح بعض الأسئلة التي تُراودني وتراوِد الكثير من أمثالي.

قلت: على الرحب والسعة، تفضَّل: قال:

السؤال الأول: لدينا في المعتقدات النصرانية أن المسيح عليه السلام قد تحمل في الدنيا من الأذى ما يشفع لأتباعه يوم القيامة. وعندنا أيضاً موضوع الاعتراف أمام الخوري، وأنه بالاعتراف تُمسح كل الخطايا. فهل هناك نظير لهذا في القرآن؟

أجبت: القرآن وَضَّح أنه لا شفاعة من قِبَل أي وسيط في الحياة الدنيا، وانَّ الحساب يوم القيامة يتم حسب ما قام به الفرد من أعمال، فهو يُثاب على ما قدَّم من أعمال صالحة ويُعاقب على ما قدَّم من سيئات. وأن هناك ميزان العدل، فمن زادت حسناته في الإجمال عن سيئاته فهو في عيشة راضية في الجنة. وبالعكس إذا زاد مجموع سيئاته عن حسناته فمصيره النار. ولكنه برحمته قال في سورة الأنعام 160 (*مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ*) فالله هو الشفيع الوحيد يوم القيامة.

قال توني: حسناً،

السؤال الثاني: حيث ان الله رحيم بعباده، لماذا لم يُخلَق الناس كلهم على الهداية؟

اجبت: سؤال يدور في بال الكثيرين. وقد أجاب الله عليه في القرآن قائلاً: ﴿*وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ*

يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة يونس: 99] وقال: *(... ولو شاء الله لجعلكم أمةً واحدةً ...} المائدة 48*

تصوَّر لو انَّ الله خلق الناس باستعداد واحد ، نسخا مكررة لهم نفس العادات والأشكال والمُعتَقَد، لكان لا طعم لحياة الإنسان فكلها رتابة بلا هدف. فكيف تشعر بلِذة الحياة إذا لم تشاهد مُرها، وكيف تشعر بالفرح إن لم يكن هناك حُزن. لقد خلق الله الإنسان على غِرار خلقه للكون فهناك الليل يقابله النهار، والذكر مقابل الأنثى .

تصور كما قال تعالى: *﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾*

سكت الجميع في حالة تأمل ثم قال قائل: سبحان الله العليم الحكيم.

قال توني حسنا، السؤال الأخير: هناك الكثير من الآيات التي توحي بأن الله يتدخل في السلوك الذي يتَّبِعه الانسان مثل: يُضِلّ من يشاء ويهدي من يشاء، يبسط الرزق لمن يشاء ...كيف تُفَسِّر ذلك؟

الجواب: بحكمته سبحانه ومنذ بدا الخلق، منح الإنسان الحرية فقال في سورة الكهف: (*﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُر.....)*

ولننظر إلى بعض الآيات:

(وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا .....)

إنَّ من يجاهد ليبلغ الهدى ويختار سبيلا من سُبُل الهداية ييسّره له. . . فأما هؤلاء فلم يتوجهوا إلى الهدى ليهديهم الله ؛ ولم يحاولوا أن يستخدموا أجهزة الاستقبال الفطرية في كيانهم ، فييسر الله لهم الاستجابة . . هؤلاء عطلوا أجهزتهم الفطرية ابتداء؛ فجعل الله بينهم وبين الهدى حجابا؛ وصاروا حين يجيئون إلى الرسول [ص] لا يجيئون مفتوحي الأعين

والآذان والقلوب ليدبروا ما يقوله لهم تدبر الباحث عن الحق؛ ولكن ليجادلوا ويتلمسوا أسباب الرد والتكذيب.

وقوله (يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ) : فالذي اختار سبيلا يؤدي إلى الضلال، فالطريق على ذلك مفتوح امامه، ولو تدخّل الله لِصدِّه عن هذا الطريق لكان ذلك تدخُّلا في حريته.

وقوله: (وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ....)

الله قَدَّر منذ الخلق جميع الاحتمالات التي يمكن أن يواجهها البشر، وبين أسباب وسبل الهداية وسبل الضلال. فالذين اختاروا سُبُل الهداية يشعرون بالطمأنينة في نفوسهم، فيستمروا في متابعة السير على الطرق السليمة فيزداد هداهم. كالذي يحصل بعد جهد في الدنيا على وظيفة جيدة تكون حافزا له لبذل الجهد للوصول إلى درجة أعلى. فالإنسان هو الذي يختار السبيل الذي سيسلكه.

تدخَّل ادوارد قائلا : لقد أوضحت لنا الكثير من الالتباسات، والانسان يبقى يُجادل سماء عِناداً او لِحُبه في الجدل. قلت: هذه من طبائع الإنسان، وقد قال تعالى في سورة الكهف {54} *وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا*)

شكرت عائلة إدوارد على الدعوة وعلى الأسئلة المثيرة للاهتمام التي طرحوها؛ وأعربت عن أملي في أن يكون لديهم الآن فهم أفضل للإسلام الحقيقي. أضفت: لمزيد من التفاصيل حول نتائج بحثي، تفضل بزيارة www.dromarstudies.com وقناة dromarstudies على YouTube.

ليلة السفر:

في آخر ليلة من إجازتي مع العائلة في الرياض، جلست مع الأحفاد تحت السماء، والهدوء يملأ المكان. قالت "ندى" بصوت متأمل:
"سيدو، بعد كل هذه الأحاديث الجميلة... ما الذي يريده الله منا في النهاية؟ ما هو المطلوب فعلاً؟"

ابتسمتُ ونظرت في عيونهم جميعًا وقلت:
" جوابه في القرآن واضح، صريح، متكرر: الله لا يُريد منّا المستحيل، بل يُريد لنا الخير، والنقاء، والرحمة، والتقوى".

يريد الله أن نُؤمن به بإرادة حرة. "الله لا يُجبر أحدًا على الإيمان. يريد أن نؤمن به عن اقتناع، ونعبده عن حب، لا عن خوف ولا تقليد. قال تعالى:

"فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ")الكهف: 29(

"هذه الحرية هي أول ما يُميّز علاقتك بالله".

يريد الله أن نُحسن" :أكثر كلمة تكررت في أوصاف أهل الجنة: (الذين أحسنوا). فالله لا يريد منّا الكمال، بل الإحسان: أن نُحسن في صلاتنا، في تعاملنا، في عملنا، حتى في نيتنا"**".قال تعالى":إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**"البقرة: 195. "فإذا أردت أن تُرضي الله... فأحسن، حيثما كنت، بقدر ما تستطيع". ويريد الله أن نكون أمناء في ما وُكّل إلينا.

قال حمزة: "مثل ماذا؟"
قلت: "مثل أن تكون أمينًا في عملك، أمينًا في قولك، أمينًا في علاقتك بالناس، وبالبيئة، وبالوقت".

يريد الله أن نرجع إليه: "كل ابن آدم خطّاء. والله لا يطلب منّا أن نكون ملائكة، بل أن نعود إليه كلما زللنا. أن نُجدد التوبة، وأن نحمل الأمل مهما كثُرت أخطاؤنا".

"**قال تعالى: "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ**"البقرة: 222

ويريد الله أن نحمل روحه في الأرض، فالله رحيم، ويُريد أن نكون رحماء. عادل، ويُحب أن نُقيم العدل. كريم، ويحثّنا على الكرم. الله يُريدنا مرايا تعكس صفاته الجميلة في الأرض".

"فمن أحبّ الله بصدق، حاول أن يتخلّق بأخلاقه، ويتعامل مع خلقه كما يحبّ خالقه

في النهاية...قالت سوزان:
"يعني الله لا يُريد منا أكثر من أن نكون صادقين مع أنفسنا، ومعه؟"
قلت: "بالضبط. الصدق مع الله هو بداية كل شيء".

قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**"التوبة: 119

خلاصة الرحلة: ما يريده الله منك هو أن تعرفه، أن تحبّه، أن تعبدَه بحرية ومحبة، أن تُحسن في الأرض، وتعود إليه إن أخطأت، وتثق أنه أقرب إليك مما تظن... وأنك غالٍ عليه، مهما بعدت".

في صباح اليوم الأخير من الرحلة، وقف الأحفاد يودّعونني واحدًا تلو الآخر، ثم التفتت إليّ "جميلة" وقالت: "سيدو، شكراً على هذه الأيام. أشعر وكأنني قرأتُ القرآن لأول مرة، بقلب لا بعين"! ابتسمتُ وقلت لها وأنا أضمها:
"وهذا هو الهدف يا حبيبتي... أن نقرأ القرآن بقلوبٍ حية، لا بعادة موروثة. أن نسمعه وكأن الله يُكلمنا نحن، الآن، هنا، في هذا العصر.

الفصل الثالث: حوار مع مثقفين مسلمين

أثناء الرحلة مع العائلة إلى عمان، خطر ببالي أول مرة ذهبت فيها إلى عمان. كان ذلك في عام 1959 حيث أنهيت المرحلة الثانوية وكنت واحدا من العشرة الأوائل في المملكة الأردنية وبذلك تأهلت للحصول على منحة دراسية. دعيت كغيري من العشرة الأوائل للذهاب إلى عمان لمقابلة وزير التربية والتعليم الأستاذ محمد الشنقيطي. بعد المقابلة تم ابلاغي بقرار معالي الوزير بابتعاثي للدراسة في الجامعة الأمريكية في بيروت. وأشعر الآن ان تلك اللحظة كانت البداية التي قادتني إلى المزيد من طلب العلم. استفقت من خواطري على صوت المضيفة تعلن وصولنا إلى عمان.

خرجت من المطار لأجد زوجتي وابن أخي بدر في انتظاري. وفي وقت لاحق، قدمت لنا زوجتي عشاءً لذيذًا في المنزل. قال بدر: أعلم أنك متعب، ولكن غدا أبناء وبنات أخواتك يخططون لزيارتك.

في مساء اليوم التالي، جاء بدر وأربعة من أبناء أخي وزوجاتهم للزيارة. بالمناسبة هؤلاء الرجال متعلمون تعليما عاليا. بالإضافة إلى ذلك، فهم مسلمون جيدون. ومنهم من يحفظ القرآن كاملاً عن ظهر قلب.

بعد التحية جلسنا في غرفة الضيوف، بعد ذلك تم تقديم المشروبات الغازية وبعض المعجنات محلية الصنع؛ بدأوا بالسؤال عن مكان تواجدي في الفلبين. بدأ بدر الحديث قائلا: أنا أتابع منشوراتكم على موقعكم ويوتيوب. وقال الآخرون نفس الشيء. ولكن دعني أقول لك يا عمي؛ بعض آرائكم صادمة حقًا ومخالفة 180 درجة لبعض ما قرأناه وتعلمناه. الليلة، نريد أن نتساءل عن بعض هذه الآراء. بداية أود أن أسأل:

1. منهج **تدبُّر أيات القرآن**

كيف يختلف منهجك في دراسة القرآن عن منهج الآخرين قديما وحديثا؟

قلت هذا سؤال جيد جدا. كثير من الناس يتلون القرآن أو يحفظون سوراً من القرآن بغرض القراءة في الصلاة دون تدبر معاني الآيات. لا يشعر

البعض أن لـديهم المهـارات اللغويـة اللازمـة لفهم بعض النصـــوص، والبعض يركز على كلمات أو أجزاء من الآية ويصل إلى فهم خاطئ.

هناك آيات ومعلومات كونية عن الخلق الغيبي لا ينبغي للمسـلم العادي أن يتعمق في معنـاها. وهـذه المهمـة على عـاتق العلمـاء والبـاحثين لفهمهـا ومعرفة مضـامينها. ومع ذلك، يجب على جميع المسلمين أن يعرفوا كيفية الصلاة والصيام وإيتاء الزكاة والحج. عودة إلى السؤال:

كيف تتدبَّر نصوص القرآن؟

قلت: لكي تتدبَّر وتفهم الحقيقة، خذ بعين الاعتبار ما يلي:

• نزل القرآن بلسـان عربي مبين، وليس باللغة العربية الشـائعة الاستخدام. ففي اللسـان العربي، الكلمة لها مفهوم مجرد مشـتق من جذر الفعل، إلا أن لها معانٍ متعددة حسـب الاسـتخدام والسـياق. هناك كلمات لها نفس النطق من حيث البنية، وقد تشترك في المعنى جزئيًا، لكن لكل منها معنى خاصًا حسب الاستخدام وقصد المتكلم والسياق....

• لا ينبغي للمرء أن يحاول تفسير معنى كلمة دون فهم سياق أو موضـوع الآيات التي وردت فيها.

• القرآن يشـرح نفسـه. في بعض الأحيان تُعطي الآية قاعدة عامة، ويكون الشرح التفصيلي لها في آية أو سورة أخرى.

• الحمد لله الذي ألهم الإنسـان لإنشـاء شـبكة الإنترنت وأدوات البحث التي يمكن اســتخدامها الآن للمســاعدة في البحث عن كلمة أو آية في القرآن الكريم كاملاً في ثوان.

قال بدر: بالمناسـبة، بعض الباحثين المسـلمين يروجون لمنهج ما يُسـمى بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم. ما رأيكم في هذا المنهج؟

أجبتُ بنعم، لقد رأيتُ الكثيرين على مواقع التواصـــل الاجتماعي يتبنون هذا النهج. وقد أحسـن بعضـهم العمل وأشـاروا إلى نتائج مثيرة للاهتمام. ومع ذلك، يجب أن نتوخى الحذر في وصـــف هذه النتائج بالمعجزات. تذكروا:

- القرآن ليس كتاب علم، بل هو كتاب هداية للبشر لاستخدام العلم لدراسة الكون واكتشاف قدرة الله في سنّ قوانين دقيقة ودائمة تُحكم مخلوقاته. يُقدّم القرآن عبارات موجزة تُبيّن حقيقة خلقه، ويدعو البشـــر إلى اســـتخدام عقولهم واكتشاف تفاصيل كيفية عمل هذه القوانين. وقد أظهر العلماء أدلة تُؤيّد حقائق القرآن الأساسية، ويكتشفون المزيد والمزيد من الأدلة كل عام. وتؤكد هذه النتائج أن الإشـــارات الكونية في القرآن دليل على أنه لا يمكن لأي إنســـان التنبؤ بها قبل أكثر من ألف عام. ولا يمكن أن يكون مصـــدر القرآن إلا من الخالق الذي خلق هذا الكون العجيب.

- القرآن ليس كتاب رياضـــيات. ومع ذلك، وجد الباحثون خصـــائص في كلمات القرآن تُثبت استحالة أن يكون مصدرها من البشر. ويُطلقون على هذه الطريقة اسم "الإعجاز العددي في القرآن". على سبيل المثال:

- تم ذكر كلمة دنيا 115 مرة، وتم ذكر كلمة آخرة 115 مرة.
- تـم ذكـر كـلـمـة مـلائـكـة ومشـــتـقـاتـهـا 88 مـرة، وتـم ذكـر كلمة شياطين ومشتقاتها 88 مرة
- كلمــة عيســـى في القرآن تكررت 25 مرة، وكلمــة آدم في القرآن تكررت 25 مرة، مصـــداقا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَـــى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ﴾ آل عمران59
- كلمة (شهر) تتكرر (12) مرة بعدد اشهر السنة.
- كلمة (يوم) تتكرر 365 مرة بقدر ايام السنة.
- وهناك الكثير من الأمثال

تؤكد هذه النتائج مجددًا أن هذا الاتساق لا يمكن أن يكون من عمل بشري.

على أي حال، هذه النتائج مثيرة للاهتمام بالتأكيد، ولا يمكن أن تكون مصادفة. ولكن، حتى بدون هذه النتائج، فإن الآيات القرآنية الكونية وأخبار الغيب والأمم الماضية دليل كافٍ على أن القرآن وحي من الخالق لا من البشر.

تابع بدر قائلاً: كنت تقول في أغلب الأحيان أن علماء المسلمين الأوائل أخطأوا في فهم معنى بعض الكلمات. لماذا كان هناك الكثير من حالات سوء الفهم وسوء التفسير.؟

10.أسباب سوء فهم آيات القرآن الكريم

اجتمعنا اليوم على العشاء في منزل ابن أخي عدنان. وكالعادة واصلنا من حيث انتهينا إلى تناول السؤال: ما أسباب سوء فهم آيات القرآن.؟

فبدأت أقول: دعوني أحدثكم أولاً عن دراسة علمية عن تطور الدماغ البشري مع مرور الوقت. في دراسته التجريبية، اكتشف العالم السياسي جيمس فلين، الحائز على درجة الدكتوراه، من جامعة أوتاجو في نيوزيلندا، تلك المكاسب المذهلة في معدل الذكاء: فعلى مدى المائة عام الماضية، كان متوسط معدل الذكاء لدى الأمريكيين في ارتفاع بطيء ولكن ثابت. وبين عامي 1900 و2012، ارتفع بمعدل 30 نقطة تقريبًا، مما يعني أن الشخص العادي في عام 2012 كان لديه معدل ذكاء أعلى مما كان عليه 95% من السكان في عام 1900. وعليه، يمكنك أن تتخيل مدى ارتفاع معدل الذكاء البشري عما كان عليه قبل 1000 عام.

عندما نقول إن علماء الإسلام الأوائل أساءوا فهم معنى بعض المصطلحات في القرآن، فإننا لا نقلل من مساهمتهم، فلم يكن لديهم المعرفة التي لدينا اليوم من أدوات البحث وتكنولوجيا المعلومات والتقدم في العلوم والطب واكتشافات الكون. اللوم على علماء الإسلام الحاليين الذين يغلقون عقولهم ويعتبرون ما قيل منذ آلاف السنين مقدسا لا يمكن تحديثه أو مناقشته.

بالإضافة إلى ذلك كانت هناك عوامل داخلية وخارجية أخرى ساهمت في سوء الفهم مثل:

1. عدم التمييز بين اللسان العربي المبين وبين اللغة العربية الشائعة:

(أ) قواميس وقواعد النحو والصرف نتجت عن تصنيف الألفاظ التي تم جمعها حسب استعمال العرب لها. وهو جهد جبار، لكن لا يعني أنهم جمعوا كل استخدامات كل القبائل العربية داخل الجزيرة العربية وخارجها. ولذلك، فهو يعطي فقط معنى تاريخيا تقريبيا. القرآن نزل بلسان عربي مبين وليس بلغة عربية. ولذلك فإن هناك مفردات في القرآن لم تدخل في المعاجم، واستخدامات نحوية لا تدخل في قواعد سيبويه.

(ب) ينبغي فهم النص القرآني من القرآن نفسه. لفهم معنى مصطلح أو مفهوم، ينبغي للمرء أن يدرس جميع استخدامات هذه المصطلحات في جميع الآيات. فمثلاً: لكي تعرف ما هو موقف الإسلام من الطلاق عليك أن تفحص كل الآيات التي ذكرت الطلاق لأنها تكمل بعضها البعض. والحمد لله أن لدينا الأدوات التي تمكننا من القيام بذلك في دقائق وهو ما لم يكن متوفرا آنذاك.

2. حدثت إشكاليات كثيرة في فهم آيات الوحي الحكيم بسبب اعتقاد الفقهاء بوجود كلمات مترادفة في القرآن، واعتبروها تدل على نفس المعنى، مثل مصطلحات: (القرآن، الكتاب) ، الكتاب المبين، الإمام المبين، الذكر) ومصطلحات مثل (الوالد البيولوجي مقابل الوالد، الأم، الأب) وغيرها الكثير. وفي الواقع فإن معاني هذه الكلمات تتحدد حسب السياق وتختلف فيما بينها. وهذا له تأثير على استخلاص أحكام غير صحيحة.

3. نشأت مسألة النسخ نتيجة سوء فهم الآيات التي ظنوا أنها متناقضة في المعنى والحكم، بسبب تأثرهم بثقافة الوافدين الجدد إلى الإسلام من الحضارات الأخرى. ولحل هذه التناقضات زعموا أن بعض الآيات نسخت بعضها الآخر. فلا نسخ بين دفتي القرآن الكريم. ولكل آية مجال،

ولكل قاعدة مجال تعمل فيه. لكن القرآن ينسـخ بعض العقوبات في الكتب الإلهية القديمة وليس من آياته.

4. عدم التفريق بين مصـطلحي الحديث والسـنة (وبين أقوال الرسـول)، متناسين أن النبي صلى الله عليه وسلم بشر، وأنه أحياناً يتصرف أو يقول كإنسان وليس كنبي أو رسول .

5. اعتبار الروايات مصدراً للتشريع.

وبينما كان الحضـور يتدبرون ما قلناه بصـمت، قرع جرس الباب ثم دخل علينا ابن أختي عمر. قال بدر ممازحاً: أهلا بالمشـاغب، كثير الأسـئلة والشـكوك. لقد فاتك الكثير من النقاش. قال عمر: ما شـاء الله، أرى جميع الشـلة هنا. ثم أضـاف: ما دمتم تناقشـون الدكتور في مواضـيع دينية، أريد أن أسـال: ما هي حكاية تعبير "انشـاء الله" و " ما شـاء الله"، و "لو شـاء الله" الدارجة على كل لسان؟

في هذه الأثناء انضـمت إلى الجلسـة حفيدتي سـميرة التي تدرس في كلية الحقوق في عمان، وبادرتنا بالسـؤال: "سـيدو، إذا كان كل شـيء مقدّرًا، فهل نحن فعلاً أحرار؟ أم أن حياتنا مكتوبة مسبقًا؟"

ابتسمتُ وقلت:

11.القضاء والقدر، علم الله، مشيئة الله

"هذا من أقدم الأسئلة التي حيّرت العقول. وسؤالُك يا سميرة يدلّ على وعيٍ كبير. القرآن يجيب عن هذا السؤال بأوضح بيان: الإنسان مسؤول عن اختياراته، والله عدلٌ لا يُحاسب أحدًا على ما لم يختره".

ثم قرأت لهم: "وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ" البلد: 10
"فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ" الكهف: 29

"الله أعطانا عقلًا، وحرية اختيار بين طريق الخير وطريق الشر، وبيّن العواقب، وترك القرار لنا".

قال بدر : "لكن يا خال، أحيانًا أشعر أنني مجبر على أشياء"!
قلت له: "نعم، هناك أمور لا نتحكم بها: كالمكان الذي وُلدنا فيه، أو جنسنا، أو زمننا. لكنها ليست مجالًا للاختبار.

"الاختبار يكون في (ما نقدر عليه): أخلاقنا، قراراتنا، ردود أفعالنا. هنا يظهر الفرق بين من يختار طريق الخير، ومن يختار طريق الظلم أو الغفلة".

قالت سميرة: "لكن كيف نفهم القدر إذًا؟"
قلت لها: "القدر هو علم الله السابق بما سنفعل، وليس إجبارًا منه لنا".

"الله يعلم المستقبل كما نعلم الماضي. لكنه لا يُلغي إرادتنا، بل يُمهلنا لنختار، ثم يُحاسبنا على ما اخترنا". ثم استشهدت لهم:

"مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ، وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ" النساء: 79

"يعني: الخير من توفيق الله، والشر نتيجة اختياراتنا. والله لا يظلم أحدًا، ولو مثقال ذرة". وقلت لهم:
"الحرية ليست شعارًا فارغًا. في الإسلام، أنت حرّ في الإيمان أو الكفر، في الاختيار أو الرفض. لكن لكل خيار نتيجة. كما قال تعالى:

"إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ، إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا" الإنسان: 3

"الإسلام يحرر الإنسان من العبودية لغير الله، من الخوف، من التبعية العمياء، من التقاليد الظالمة، ومن الانقياد الأعمى. ويضعه في موضع (المسؤولية)".

قالت سميرة: "يعني نحن مسؤولون عن كل أفعالنا؟"
قلت: "بالضبط. ولهذا قال الله: "كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ" المدثر: 38

"خلاصة الأمر يا أحبّتي: الإنسان مكرّم بحرّيته، والله يحاسبه بعدل، ويدله على الطريق، لكنه لا يجرّه إليه. ومن استخدم حريته في الخير، كان من المفلحين".

قال عمر: دعونا ندخل في الفلسفة : ونتدبَّر التعابير التالية: مشيئة الله ومشيئة الانسان، إرادة الله وإرادة الإنسان وعلاقة ذللك بموضوع القضاء والقدَر.

قلت: حسنا عليكم بالصبر، فهذه المواضيع خاض فيها الكثير من الفلاسفة من مسلمين وغير مسلمين. سأتناولها من خلال تدبر آيات القرآن الكريم:

علم الله : علم الله كامل بكل الأحداث ، وقوله تعالى (لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ) (الروم 4) يوضح أن الله يعلم كافة الاحتمالات أمام زيد من الناس قبل اختياره احتمالاً ما، ويعلم ما اختار زيد فور اختياره، لكن لحظة الاختيار الآن تركها لزيد ليقررها، فيكون الله قَدّر الأسباب، وزيد قضى باختياره. وبعدها انتقل خياره من احتمال إلى واقع مسجل عليه ومسؤول عنه. "هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ " الجاثية 29.

فالمشيئة تعني الاحتمالية في الوجود ولا تعني شيء بعينه، بمعنى دائرة المشيئة يوجد في داخلها عدة احتمالات ممكنة الحصول ويوجد معطيات ترجح حصول أحدها

أراد الله: كلمة تدل التحديد والقصد للشيء بعينه. انظر قوله تعالى: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ }يس82، فالإرادة تعني حتمية الحصول.

القَدَر: هو الوجود الموضوعي للأشياء وظواهرها وقوانينها خارج الوعي الإنساني. التي لا تتبدل كالليل والنهار والموت والحياة ودوران الأرض وتعاقب الفصول ، ولكن يستطيع الإنسان بما أوتي من معرفة أن يقضي في الموجودات، فالله وضع قانون لهطول المطر (ينزل الغيث) لكن

الإنسان يستطيع أن يقلد تشكيل الغيوم ويستمطرها فوق مدينة ما، ولو كانت كمية المطر التي ستهطل فوق هذه المدينة محددة سلفاً لما استطاع الإنسان ذلك،.

مثال آخر: حدَّد الله بعلمه أسباب الموت، كالقتل، والقيادة في أحوال جوية سيئة، وارتفاع ضغط الدم، ومستوى الكوليسترول، ومستوى السكر في الدم، وغيرها. فإذا اجتمعت هذه العلامات الخطيرة على الإنسان، ترك الله له الخيار بين إهمالها والموت، أو مراجعة الطبيب الذي يصف له دواءً يشفيه. فالقضاء بيد الإنسان.

قدَّر الله أن كل نفس ستموت في نهاية المطاف، دون تحديد عمر أو وقت محدد لوفاة شخص بعينه .

كان الحضور ينظرون إلى بعضهم البعض محاولين فهم الفرق الواضح بين القضاء والقدر. قال بدر: إذًا، القدر لا يعني أن أموت في سن الخمسين: الساعة الخامسة مساءً، أو أن أكون مقدرًا لي أن أكون في الجنة أو النار.

قلتُ: لا، وإلا فلا معنى للحساب في الآخرة. فتدخَّل عمر قائلا: فكيف تفسرون عبارة "يهدي الله من يشاء ويضل من يشاء"؟ وعبارات مثل "يُسهِّل الله دخول الجنة على البعض ويُعسِّر دخولها على آخرين".

أجبتُ: هذا نتيجةٌ للخلط بين معنى القضاء والقدر.

إليكم معنى بعض الآيات المتعلقة بالموضوع.

إن عَلَيْنَا للهدى : الله بيّنَ للناس طريق الهدى من طريق الضلالة، ووضّح سبيل الرشد من سبيل الغي

فَسَنُيَسِّرُهُ لليسرى : فالذي اختار بنفسه طريق التقوى والصلاح، فليعلم أن الله قد وفَّر لجميع الناس أسباب ووسائل ذلك، وجعلها في متناوله. فمن

يتَّبع هذا الطريق تطمئن نفسه ويبذل جهده للبقاء على هذا الطريق إلى مصيره إلى الجنة.

فَسَنُيَسِّرُهُ للعسرى : الذي اختار بنفسه طريق الضلال، فليعلم أن الله قد وفَّر أسباب ووسائل ذلك وجعلها في متناول من يتَّبع هذا الطريق.
فالاختيار إذن للإنسان. الله لا يمنع الانسان من اتباع اختياراته، وإلا كان ذلك منافيًا لحرية الاختيار التي منحها الله. وإن لم يؤمن الإنسان بالمحاسبة في الآخرة، فسيستمر في أعماله السيئة التي تقوده إلى الجحيم.

اختتمتُ كلامي قائلًا: أرجو أن تكونوا قد فهمتم، فأعمال الإنسان هي التي تقوده إلى مصيره. لا شيء مكتوب مُسبقًا عن مصير الإنسان. استغفروا الله دائمًا. قد يغفر الله ذنوبًا لترك بعض أوامره، كترك صلاة أو صيام يوم. أما السيئات التي تصيب الآخرين، فلا بد من تسويتها بين الناس أولًا.

تذكروا أن الله رحيم، فعليك على كل سيئة درجة، ولك على كل حسنة عشر درجات.

الفصل الرابع:

حوار بحضور أساتذة الشريعة والتفسير

اليوم، تلقيت اتصالاً من ابن أخي بدر يدعو العائلة لتناول العشاء. وأضاف أننا سنواصل المناقشات حول مبادئ الإسلام. وتابع: وبما أننا نتعمق في النقاش، أود أن أدعو الدكتور أحمد مدرس مادة تفسير القرآن الكريم، والشيخ عبد الله الذي يدرس في كلية الشريعة بجامعة عمان. أجبتُ مُرحباً بمشاركتهم.

بعد العشاء بدأ الدكتور أحمد بالتعليق: دكتور عمر، نعلم أنك متخصص في تكنولوجيا المعلومات؛ لماذا تنشغل بالقضايا الدينية؟ اترك ذلك لأهل الاختصاص في الدين.

قلت: هل تقول أن الحديث في الدين حِكر على الحاصلين على شهادات في الدراسات الإسلامية؟ ألم تقرأ في القرآن كيف يخاطب الله الناس كافة قائلاً: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[محمد: 24]؟ ثم ألا يحاسب كل إنسان يوم القيامة على أعماله؟ ولا يستطيع حتى الأب أو الابن أن يحملا عبء بعضهما البعض. وهكذا فإن المطلوب من كل مسلم أن يتفكر؛ ومن لم يفهم شيئا وجب عليه أن يسأل من هو أعلم منه. ولم يحدد الله فئة معينة من الناس ليكونوا المتحدثين باسم الدين. في الواقع، يقول جميع علماء الإسلام أنه لا يوجد كهنوت في الإسلام. ومع ذلك، في العصر العباسي، جمع الخليفة المتوكل بعض علماء الإسلام (كثيرون منهم من المسلمين الجدد غير العرب) وشكل ما أصبح يعرف فيما بعد بأهل السنة والجماعة. وأصبحوا المتحدثين الرسميين للإسلام. وتدخل الشيخ عبد الله قائلا: لا أحد يقول لا تتدبر القرآن؛ لكنك لست مؤهلاً لنقد بعض الأساسيات التي وضعها العلماء الأوائل كأساس للإسلام.

قلت: إذا أردنا أن يكون هناك نقاش هادف، فلنتفق على أسس إدارة المناظرة:

أولاً: ليس النقاش أمراً شخصياً. إنها وجهة نظر مقابل وجهة نظر أخرى.

ثانياً: تعتمد درجة صحة الرأي أو خطئه على مدى قوة الأدلة الداعمة للرأي ومدى موثوقية وصحة مصدر الأدلة؟ هل توافق على هذا.

قالوا إنه عادل ومقبول.

إذاً، دعونا كأكاديميين أولًا نقرر درجة صحة وموثوقية مصادر المعلومات المختلفة. يجب أن تأتي المعلومات الموثوقة من مصادر موثوقة. وسيقدم المصدر الموثوق "نظرية وحجة شاملة ومبررة مبنية على أدلة قوية".

1. **مصادر المعلومات في التراث الإسلامي:**

المصدر الأول: التنزيل الحكيم، ويشمل آيات النبوة وآيات الرسالة. وقد أجمع المسلمون كافة، على اختلاف مذاهبهم، على أن هذا الوحي الحكيم هو من عند الله، أنزله على الرسول بواسطة الملك جبريل، بالصوت، بلسان عربي مبين. ووعد الله بحفظها إلى يوم القيامة. وصدق الله وعده. ومنذ أكثر من 1400 سنة، لا يزال المسلمون يتلونها بنفس الصورة التي نزلت بها، على الرغم من اختلاف لغات المسلمين.

المصدر الثاني: الطريقة الفعلية التي مارس بها النبي بعض الشعائر. وقد أمرنا الله بممارستها كما مارسها الرسول (ص)، فمثلاً: فرض الله الصلاة في وحيه الحكيم وأوضح معالمها العامة ومتطلباتها، ثم مارسها الرسول، وصلى معه المسلمون الأوائل، واستمر المسلمون يمارسونها بنفس الطريقة بعد وفاته. وجيل بعد جيل، لا يزال المسلمون في جميع أنحاء العالم يمارسونها بنفس الطريقة. وتفاصيل كيفية القيام وأين تضع اليدين وما يقال في الدعاء هي من صنع الإنسان، والاختلاف فيها لا يؤثر على صحة الصلاة. إذاً تعلمنا كيفية الصلاة عن طريق التتابع وليس عن طريق الروايات الشفوية. ونتساءل: ألم يكن المسلمون يُصلّون قبل صدور كتب البخاري ومسلم وغيرهم؟!

نفس الشـــيء بالنســبة للوضــوء. وقد ذكر القرآن متطلبات غســل اليدين والوجه والرأس والقدمين. هذه المتطلبات منطقية. فإذا كنت تخطط لمقابلة مسـؤول ما، فعادةً ما تقوم بتنظيف نفسـك وارتداء أحسـن ملابسـك قبل الاجتماع. فعندما تريد أن تصلي تكون مرتبطًا عاطفيًا بالله وملائكته؟ فمن الأفضل أن تكون نظيفاً. إلا أن العلماء الأوائل ألفوا كتباً في كيفية الوضوء بتفاصيل غامضة ومتشددة.

المصـــدر الثالث: الأحاديث النبوية المتواترة: وهي ما اتفق الرواة على لفظه ومعناه. وقد تكون الدلالة قطعية إذا كانت جميع الروايات تحمل معنى واحداً، وقد تكون الدلالة ظنية إذا كانت تحمل أكثر من معنى. وقد اختلف العلماء في عدد هذه الروايات. تتراوح التقديرات من 80 إلى 320 رواية. ولكن كُتِبت مجلدات في أحاديث يزعمون أن النبي (ص) قالها، ولو كان الراوي واحدا فقط.

المصدر الرابع: المخطوطات التي كتبها الثقات من الصحابة الذين رافقوا الرسـول (ص) ووصـلت سـليمة إلى الأجيال اللاحقة. ولسـوء الحظ أن معظم هذه الأمور لم تظهر أو اختفت خلال الجيل الأول بعد النبي.

المصدر الخامس: الروايات الشفوية

اختلفت المذاهب في درجة الاعتماد عليها فقالت:

• يؤخذ بالروايات التي لا تتعارض مع ما جاء في التنزيل الحكيم. مثل أحاديث القيم والأخلاق وحسن التعامل بين الناس والأخوة بين المسلمين.

• اختلفوا حول هل ينبغي أخذ الأحكام التشريعية من الروايات الشفوية أم لا؟ عِلماً أن الأحكام كلها وردت في آيات محكمات وموضحة ومفصلة في القرآن.

• هناك خوف من عدم دقة الروايات لاعتمادها على الذاكرة، وخشـية من تجميعها وتلفيقها لأغراض سياسية.

• هنـاك اختلافـات في نص الروايـة الواحـدة مرويـة عبر عـدة طرق من النقل.

• هنـاك عـدد كبير من الأحـاديـث التي تم جمعهـا ورَدهـا ولم تـدخـل في الصـــحيحين. البخاري جمع 600 ألف حديث. لم يكن في كتابه المخطوط سوى 7275 حديثا، وقد فقدت نسخته الأصلية، كما فقدت النسخة الأصلية لمسلم بن الحجاج. وما بين أيدينا ليس صحيح البخاري ولا صحيح مسلم، بل هو ما كتبه تلامذتهم بعد وفاتهم بأكثر من مائة عام، وتقديرا لهم نُشرت بأسماء البخاري ومسلم على الكتب باعتبارها أول كتبهم.

• اعتمد أهل السنة والجماعة في كثير من آرائهم واستنتاجاتهم في القضايا الإســلامية على الروايات الشـفهية على أســاس هوية الراوي دون فحص مضــمون هذه الروايات. اتهموا بعض العلماء الذين اختلفوا معهم بالزندقة واضــطهد وهم. وحتى البخاري والطبري تعرضــا للنفي والاضــطهاد بسبب مناقشة صحة بعض آراء الجماعة السنية الرسمية.

الخلاصة: المصدر الوحيد الثابت للأصالة المطلقة هو القرآن الكريم.

2. ما مدى صحة محتوى صحيح البخاري؟

وهنا ثار خلاف مع الدكتور أحمد والشـــيخ عبد الله فقالوا: هل تطعن في صحيح البخاري ومسلم كمصادر للتشريع؟ لقد أجمع علماء الإسلام قديماً وحتى الآن على اعتبارها مصـادر أساسية للتشـريع الإسـلامي. رددت قائلا: تقصـــد بالإجماع جماعة العلماء الذين اختارهم الخليفة المتوكل وأغدق عليهم بسخاء؟ نعم هناك منهم علماء مثل أبو الطيب الكسائي يقول: البخاري آية الله في بصيرته ونفاذ علمه. وقال رجاء الحافظ: فضل محمد بن إسماعيل على العلماء كفضل الرجال على النساء، وقال: البخاري آية من آيات الله يمشي على وجه الأرض.

ولكن من بين منتقدي رواية أو أكثر من روايات صـــحيح البخاري علماء معروفون باحترامهم للبخاري.

وفي دراستي لصحيح البخاري توصلت إلى أن جماعة ممن كانوا يعرفون بـ "أهل السنة والجماعة" فقط هم الذين اعتنقوا ما في الكتب حرفياً.

ومن المثير للدهشة أن أي شخص يقرأ الكتاب يمكن أن يمنحه هذا التقدير العالي. فكيف وهو يجد مئات الروايات مثل الأمثلة التالية:

1. في صـــحيح البخاري [الجزء 5 – 2048، يقول أبو هريرة؛ قال النبي صـلى الله عليه وسـلم: (... تقول المرأة: إما أن تطعمني أو طلقني، فيقول العبد: أطعمني واســتعملني، ويقول الابن: أطعمني حتى تتركني. قالوا: يا أبا هريرة هل فعلت؟) تسمع هذا من رسول الله؟ قال: لا، هذا من كيس أبي هريرة).

فكيف تصـدق صـحة مئات الروايات عن أبي هريرة وهو نفسـه اعترف بوضع هذا الحديث.

2. عن أبي هريرة أن رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم قال: «إذا نودي للصلاة صرف الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع الناس النداء...»

ما هذه الألفاظ البذيئة التي لا تتناسب مع خلق النبي صلى الله عليه وسلم!

3. حدثنا محمد بن عرعرة، قال: أخبرني عمر بن أبي زائدة، عن عون بن أبي جحيفة، عن أبيه، قال: رأيت بلالاً أخذ شاة وربطها. فخرج النبي صلى الله عليه وسلم في حلة حمراء مشمر اليدين. فصلى ركعتين أمام الماعز.

يا له من هراء! هل الماعز مقدس أم ماذا؟ وفي البخاري باب كامل عن العنزة.

4. وجدت مئات الأحاديث المنسوبة إلى النبي (ص) تُخبر عن أحداث مستقبلية غيبية؛ بينما جاء في القرآن على لسان النبي: " ﴿*قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ۚ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ*﴾» سورة الأعراف 188.

للمزيد راجع www.dromarstudies.com

كان البخاري مؤرخا، له عدة كتب منها: التاريخ الصغير، والتاريخ الكبير، وأدب الأفراد. وعليه ينبغي أن ننظر إلى صحيح البخاري على أنه كتاب آخر يُسجِّل ما سمعه من قصص عن أحداث معينة في حياة النبي، وليس مصدرا للتشريع الإسلامي.

ساد الصمت، ثم قال الدكتور أحمد: لم أقرأ صحيح البخاري كله. قلت: الأمر سهل، فقط اكتب بضع كلمات من الحديث في بحث جوجل، وستجده في ثوانٍ. قال الشيخ عبد الله: على أية حال، ما زلنا نعتبرهم مصدراً بجانب القرآن. آمل أن تتاح لنا فرصة أخرى لمناقشة هذه القضية بشكل أكبر.

قال بدر: مرحبًا بكم جميعًا مساء الغد. لذلك اتفقنا على اللقاء مرة أخرى.

3. هل كل أقوال الرسول (ص) من الوحي؟

التقينا في غرفة ضـــيوف بدر، بدأ الشـــيخ عبد الله النقاش قائلاً: آخر مرة رفضتم استخدام صحيح البخاري ومسلم كمصدرين للتشريع الإسلامي. لكن تعلم أن الإمام الشافعي قال: "الرسول صاحب الوحيين". قلت: طيب ما الدليل الذي بنى عليه ذلك؟

قال الشيخ عبد الله: بناء على ما جاء في القرآن في أول سورة النجم:

وما ينطق عن الهوى.

قلت حسناً. فلننظر إلى هذه السورة:

في قوله تعالى: (*وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَـــلَّ صَـــاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى* وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى*} النجم1- 4

يقول الشافعي وغيره أن سيدنا محمد (ص) صاحب الوحيين، مستشهدا بالآيات أعلاه. فالخطأ هنا يكمن في فهم دلالة كلمة ينطق والفرق بينها وبين كلمة يلفظ. لنلاحظ استخدام القرآن لهما:

- "*وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَـــهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ*" (21). فصلت.
- "*وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًـــا إِلَّا وُسْـــعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ*("62). المؤمنون.
- "*مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ*" سورة ق18

لقد فرق الله تعالى بين النطق الذي ليس الإنســان مصــدره ولا يتحكم فيه، والتلفظ الذي يتحكم فيه المخلوق. فالنبي لا ينطق من عنده بل ينطق بالذي "إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى" (هو) أي القرآن.

الخلاصـــة: الســـياق كله يدور حول القرآن، وليس حول شـــخص محمد (ص)..

أعقب ذلك لحظة صمت، ثم قال الدكتور أحمد حسنًا. ولدي دليل آخر: ما آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا

قلت نعم، استند القائلون بقدسية كل اقوال الرسول أيضا على جملة وردت في القرآن هي: مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا

وبالبحث في النص القرآني نجد أن هذه الجملة ليست آية!، وإنما هي جُزء مقتطع من آية، فما بالك إن قمت باقتطاع جملة من نص كامل له توجهه ومفهومه، نحو {فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ} ؟

بإرجاع هذه الجملة إلى سياقها الذي تنتمي إليه، وهو *{مَّا أَفَاء اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاء مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}* الحشر 7. والمناسبة في الواقع أنه كَانَتْ أَمْوَال بَنِي النَّضِير مِمَّا أَفَاءَ اللَّه إِلَى رَسُوله, فَكَانَتْ لِرَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَالِصَة، فحصل تساؤل بين المسلمين عن كيفية توزيع الغنائم، فجاءت هذه الآية تأمر المسلمين أن لا يعترضوا على القسمة وأن يقبلوا بحكمة الرسول في توزيع الغنائم. فالنص يتكلم عن نواحي مادية لا علاقة لها بأقوال الرسول.

استشهدوا أيضا بقوله تعالى: (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ)

فاقتطعوا هذا الجزء كعادتهم لتدعيم آرائهم وفصلوه عن سياقه، وبنوا مفهوماً خطيراً منه؛ ألا وهو أن الحديث النبوي مُبيّن للقرآن، بل وتجرؤوا فقالوا: ما أحوج القرآن للحديث، ولولا الحديث لهلك القرآن!،

إذا أرجعنا الجملة إلى سياقها في النص، نجد أن النص ذاته مرتبط بالنص الذي قبله، ولا يتم المعنى إلا بهما معاً. {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ} {بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ

وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} النحل43-44.

نجد في النص الأول "رجالا نوحي إليهم" أي موسى وعيسى عليهم السلام، وكلمة " أَهْلَ الذِّكْرِ" وهم أهل العلم في كل اختصاص ومنها العلم بالكتب الإلهية السابقة. وأتت كلمة "وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ" في النص الثاني لتدل على القرآن الذي نزل على محمد (ص) ، وبَيَّن سبب نزول القرآن بقوله: "لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ" ، فالناس هم أهل الكتاب الذي نُزِّل اليهم التوراة والإنجيل والذي قام أحبارهم ورهبانهم بكتمان بعضه وبتأليف العديد من الكتب حسب أهوائهم وطوائفهم. جاء القران ليصحح مفاهيمهم ويثبت حقيقة ما جاء في كتبهم وخاصة وحدانية الله الحي الصمد الذي لم يلد ولم يولد. فالتبيين موجه للكتب السابقة وليس للقرآن، لأن القرآن كتاب مُبين بذاته.

التبيين: هو ضد الكتمان كما في قوله تعالى: "وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ" أن كلمة الناس تشمل جميع النّاس. يا محمد (ص) أنزلنا إليك الذكر أي القرآن لتظهره للناس كافة ولا تكتمه، فذلك هو جوهر التبليغ المبين فإن لم تفعل فما بلغت رسالته. كما في قوله تعالى في سورة المائدة 67: [*أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ*]

المطلوب من النّاس كما أخبر به القرآن الكريم هو تدبر آياته. أنظر لقول الله تعالى في آية 29 سورة صاد: [كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ] والتدبر هو إعمال العقل والتفكير بعمق في الآيات سواء الآيات القرآنية أو آيات الله في الأفاق ولا يعني التفسير. فالآيات المحكمات ورد تفصيلها في القرآن نفسه.

واستند القائلون بقدسية كل اقوال الرسول (ص) إلى رواية تنسب إليه انه قال: (تركتُ فيكم أمرينِ؛ لن تَضلُّوا ما إن تمسَّكتُم بهما: كتابَ اللَّهِ وسُنَّتي، ولن يتفرَّقا حتَّى يردا عليَّ الحوضَ) وفي البحث عن هذه الرواية نجد أنه

لا يوجد أي حديث بهذا النص في الصـــحيحين المعتمدين من أهل الســـنة. بينما أجمع أهل الحديث على صحة الرواية عن جابر رضـي الله عنه، عن النبي صـــلى الله عليه وســـلم، أنه قال : (تركت فيكم ما إن تمســـكتم به لن تضـــلوا بعدي- كتاب الله.) وهذا الحديث ورد في صـــحيح مســـلم وغيره بألفاظ مقاربة.

الفصل الخامس: مكانة المرأة في الإسلام

1. حوار عائلي

وصل في هذا اليوم ابني وأحفادي من الرياض والتم شملنا في بيتنا في عمان.

اجتمعت الأسرة في المساء في صالة الجلوس، وكان الجو مليئًا بالراحة والهدوء. بادرت "جميلة" بالسؤال وهي تمسك كتابًا دراسيًا:
"سيدو، لماذا يتهم البعض الإسلام بأنه ظلم المرأة؟ زميلتي قالت لي إن المرأة في الإسلام نصف رجل"!

ابتسمتُ وقلت:
"يا جميلة، كثير من الناس يخلطون بين الدين الحقيقي، وبين ما ورثوه من عادات أو فهمٍ خاطئ. الإسلام لم يُنقص من قيمة المرأة، بل رفعها، وأعطاها مكانة لم تكن تحلم بها في المجتمعات القديمة".

قلت: في القرآن مساواة بينهم في الأصل والكرامة: "أول ما يؤكده أن المرأة والرجل خُلقا من نفس واحدة":يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ"... النساء: 1

"والله يقول: "مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً" النحل: 97

"يعني لا فرق في القيمة الإنسانية، ولا في الثواب، ولا في الحساب، بين الرجل والمرأة".

قالت "ندى:" كثيرًا ما يُقال إن المرأة ترث نصف ما يرث الرجل. أليس هذا ظلمًا؟"

قلت لها:
"السؤال في محله. لكن الحقيقة أن توزيع الميراث لا يقوم على التمييز،

بل على العدالة في المسؤوليات. في أغلب الحالات، الرجل مُلزَم بالإنفاق على الزوجة والأولاد، بينما المرأة لا تُلزم بالإنفاق حتى على نفسها".

ثم أضفت: "علينا أن نميز بين (العدالة) و(المساواة الحسابية). الإسلام يعطي كل طرف حقه بحسب موقعه ومسؤوليته". ثم ان القرآن أمر المسلم ان يقوم بعمل وصية قبل وفاته حيث يكون عالماً بأوضاعهم، يحدد فيها ما يحصل عليه كل فرد حسب ما يراه مناسباً وعدلاً. فاذا كان لديه أولاد أو بنات أنفق عليهم الكثير في تعليمهم الجامعي مثلا، ولديه ولد أو بنت لا زالوا صغاراً، وقد تقدم به العمر، يمكنه أن يوصي لهؤلاء الصغار مبالغ أكثر مما يوصي به للكبار. وربما كان أحدهم مصاباً بمرض لا يمكنه من تحصيل قوته، فيوصي له بمبلغ أكثر من اخوته. فالأصل في توزيع الميراث هو الوصية. وفي حالة الوفاة دون ترك وصية، أمر الله أن يوزع الميراث حسب النسب الواردة في آيات المواريث. لذلك نجد في آيات الميراث دائما يقول سبحانه " مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ "

قال حمزة: "طيب، هل المرأة كانت تُشارك في المجتمع؟"
قلت: "بل كانت فاعلة منذ أيام النبي صلى الله عليه وسلم.

- كانت تُبايع الرسول كما بايع الرجال.
- وكانت تبيع وتشتري، وتعلّم وتتعلم.
- وشاركت في المعارك مداواةً وتخطيطًا.
- وكان النبي يستشير زوجاته، مثلما استشار أم سلمة في صلح الحديبية.

"الإسلام لم يمنع المرأة من التعليم ولا من العمل، بل جعل لها شخصية مالية مستقلة، ولها حق التملك، والتصرف، والمشاركة، والاعتراض".

قالت سوزان بخجل:
"لكن يا سيدو، لماذا يُطلب من المرأة أن تتحجب؟ أليس هذا تقييدًا لحريتها؟"

قلت بلطف: "الحجاب ليس فرضاً ولا حبسًا، بل هو احترام للخصوصية والحياء، وخاصة أن الأقوام السابقة كانت تُعامل المرأة بقساوة وظلم.
وهو أمر من الله لحماية الكرامة، وليس لمنع المرأة من الحياة العامة وهي تقرر أن تلبس الحجاب أو لا تلبس حسب ظروف المجتمع. ولو قرأتِ الآيات، لوجدتِ أنها تخاطب الرجال أيضًا بغضّ البصر أولًا". ثم قرأت:
"قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ"...
"وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ"... النور: 30–31

ثم قلت:
"المشكلة ليست في الحجاب، بل فيمن جعلوه شعارًا للتدين الشكلي، دون ربطه بأخلاق الحياء، والاحترام، والتعامل النبيل".

سألت "ندى" بخجل:
"سيدو، كثير من البنات في الجامعة يقولن إن الزواج في الإسلام ظالم للمرأة، وإنه يُعاملها كأنها مملوكة. ما رأيك؟"

ابتسمتُ وقلت:
"هذا تصور خاطئ تمامًا يا ندى. الزواج في الإسلام ليس عقد ملكية، بل هو ميثاق غليظ، قائم على الرحمة والمودة والتكافؤ. القرآن قالها بوضوح:

"وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً"... الروم: 21

قالت "جميلة:"
"لكن يا سيدو، ألا يُقال إن الرجل هو القوّام؟ أليس ذلك تفوقًا عليه؟"

قالت سوزان بدهشة:
"هذه الصورة تختلف كثيرًا عما نراه أحيانًا في واقعنا"!
قلت: "لأننا أحيانًا نطبّق التقاليد، لا تعاليم الإسلام الحقيقية".

خلاصة الحديث: الإسلام كرّم المرأة إنسانةً، وأمًا، وزوجةً، وبنتًا، وشريكةً في بناء المجتمع. ولا يجوز أن نحكم على الإسلام من خلال ممارسات بعض المجتمعات أو العادات التي غطت على نوره".

وعلى كل حال فقد تمت دعوتي من قبل إحدى الجمعيات النسائية للتحدث والإجابة على الأسئلة حول مكانة المرأة في الإسلام، ويمكن أن ترافقاني حيث سنناقش موضوع المرأة في الإسلام بالتفصيل بما في ذلك مواضيع القوامة والزواج والطلاق.

2. حوار ومحاضرة في الجمعية النسائية

في صباح اليوم التالي ذهبت لمكان الاجتماع وقدمتني رئيسة الجمعية كباحث في مجال التراث الإسلامي. قالت: لقد كان موقف الإسلام من المرأة من أكثر جوانبه التي يتم تحريفها بشكل متكرر. ومن المفاهيم الخاطئة التي تحتاج إلى بحث ما يلي:

1. الرجال أفضل من النساء في الإسلام
2. هيمنة الرجال على النساء والسيطرة عليهم في الإسلام
3. النساء مذمومات: إنهن سبب "الخطيئة الأصلية".
4. الإسلام يأمر الرجال بضرب زوجاتهم
5. الطلاق كما يمارس غير عادل للمرأة
6. شهادة المرأة لا تعدل إلا نصف شهادة الرجل
7. قوانين الميراث تفضل الرجل على المرأة

8. الرجال المسلمون يضطهدون النساء من خلال تعدد الزوجات

فبدأت أقول: هذه كلها أسئلة وجيهة.

لقد قمت في بحثي بدراسة كل حالة من هذه الحالات وسوف أستعرض معكم ما توصَّلتُ إليه:

(a) **هل يسمح الإسلام بالعنف الأسري؟**

السؤال: أين جاءت فكرة إعطاء الرجل الحق في تأديب زوجته بضربها كلما فعلت شيئا لا يروق له؟

قلت: إن هذا مثال جيد على خطورة التصرف بناءً على سوء فهم كلمة ما، أو إخراجها من سياقها. تقول الآية 34 من سورة النساء:

﴿ ..... وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [سورة النساء: 34]

اضربوهن من الفعل (ضرب). وقد أخطأ الجمهور في تفسير معناها بالضرب واللكم. ولسوء الحظ، اتبع المترجمون مثل هذا التفسير.

إذا استخدمت برنامج البحث على هاتفك لسرد جميع الآيات التي فيها كلمة ضرب ومشتقاتها، سوف تحصل على قائمة تضم أكثر من 30 آية. وبعضها يعني الضرب الجسدي، كما حدث عندما دمر إبراهيم الأصنام. وهناك آيات كثيرة لها معنى منطقي يدل على الانفصال مثل الآية ﴿*يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ*﴾ [الحديد: 13]

فهل كلمة ضرب هنا تعني اللكم! إنها تعني الفصل بين طرفين وآيات كثيرة تقول: ضرب الله مثلا.

وللأسف فإن مفسرينا المسلمين اختاروا أن يأخذوا في الاعتبار معنى الضرب الجسدي بينما معنى المباعدة والفصل المؤقت حسب السياق هو المعنى الأنسب والمنطقي. خلال فترة الانفصال، يكون لدى الزوجين فرصة للتفكير وإيجاد طرق للتوفيق بين خلافاتهم.

قالت سيدة من الحضور: فكيف بأول الآية التي تقول: «الرجال قوامون على النساء؟»، وآية اخرى تقول "وليس الذكر كالأنثى"

أجبت: هذا مثال آخر على سوء الفهم بأن الإسلام يؤكد على فكرة هيمنة الرجل على المرأة. معظم المفاهيم الخاطئة المذكورة أعلاه نتجت عن سوء فهم بعض علماء المسلمين لمعنى الآية:

(b) فهم آية الرجال قوامون على النساء

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ۚ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ۚ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء: 34]

قوامون من الفعل قام. قام بالأمر، أي أحسن القيام به. فَهِمَ بعض علماء المسلمين بأنها صفة فطرية في الخلق، مما يعني أن جنس الرجال يتفوق بالفطرة على جنس المرأة. وهؤلاء يفهمون قوله تعالى: {بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ} أي لأن الله فضل الرجال على النساء بالعلم والدين والعقل والولاية. ولكن النص لم يقل: الذكور قوامون على الإناث. بل قال: (الرجال قوامون على النساء).

وبذلك يصبح المعنى الحقيقي: أن الله فضل بعض الرجال والنساء على بعض الرجال والنساء. وهذا واضح في قوله تعالى:

﴿ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾[الإسراء: 21]

وهذا ينفي تماما التفضيل في الشخصية المبنية على الذكورة والأنوثة، وتبقى الميزة هي في حسن الإدارة والحكمة ودرجة الثقافة والوعي، وهي أمور تختلف بين الناس، حيث أن بعض الرجال أفضل فيها من النساء والعكس صحيح.

أما البند الثاني من القوامة وهو البند المالي في قوله تعالى: {وبما أنفقوا من أموالهم}. يعني: صاحب المال له القوامة مهما كانت كفاءته ودرجة وعيه وثقافته. فصاحب أو صاحبة المصنع الذي حصل على تعليم ابتدائي، مثلا، يمكنه أن يعين مديرا يحمل شهادات عليا لإدارة مصنعه، ويخضع لأوامر المالك، لأنه يملك السيطرة على الإنفاق. وهذه القوة الاقتصادية واضحة تماما على مستوى الأفراد والأسر والدول، ولا علاقة لها بالذكورة والأنوثة. وبهذا نفهم أن القوامة لا تقتصر بين الزوج والزوجة ضمن حدود الأسرة كما حددها الفقهاء والمفسرون، بل تمتد لتشمل العمل والتجارة والصناعة والزراعة والإدارة، وتشمل التعليم والطب والصيدلة والرياضة. حتى في المجال الحكومي والمناصب العليا.

وأما عبارة {وليس الذكر كالأنثى}. فالحوار في الآية يدور بين مريم امرأة آل عمران المؤمنة وربها. فإن كانت هي التي قالت ذلك فهو قول قوي صادر من امرأة ضربها الله مثلا للذين آمنوا، وإذا كان الله هو القائل فهو أقوى. المشكلة أن جميع المفسرين اعتبروا الذَكَر في الآية أفضل من الأنثى، والعكس هو الصحيح. فالمشبه به هو الأفضل. فمثلاً عندما نقول: هذا الشخص شجاع كالأسد؛ فالمشبه به هنا الأسد أشجع من الإنسان.

(c) القوامة في بنية الأسرة

الأسرة، باعتبارها نواة المجتمع، تحتاج إلى ولي يتولى إدارة شؤونها، وتوجيه أفرادها، وتسيير حياتها. وللرجال درجات في الثروة والثقافة وحسن الخلق والقدرة على القيادة، وللنساء درجات في ذلك كله. لا شك أن مصلحة الأسرة والمجتمع تكمن في أن تكون القيادة في يد صاحب الجدارة سواء كان رجلاً أو امرأة، أو في يد كليهما يتشاوران في كافة

الأمور في حالة المســـاواة بينهما في الثقافة والإدارة. وهذا ما ذهبت إليه الآية عندما بدأت بولاية الرجال على النســـاء {الرجال قوامون على النساء..}،

ثم بينت الآية الصفات التي يجب أن تتصف بها المرأة الصالحة للولاية، مع ما حباها الله بها من مال أو ثقافة أو قدرة فكرية قيادية. فإذا اتصـــفت بذلك كانت صالحة للولاية. ولكن ماذا لو لم يكن لديها تلك الصفة؟

دكتور عمر أنا أتابعك بعناية شديدة. سؤالي هو ماذا نفعل إذا لم يكن لدى الشخص تلك المؤهلات، لكنه يعتقد أنه يمتلكها؟

مرة أخرى، هذا هو بالفعل السؤال الصحيح والانتقال المثالي. لننتقل إلى القرآن للحصول على الجواب. وعلى وجه الخصوص، دعونا نستكشف كلمة "النشـــوز" وعلاقتها بســـؤالك. لننظر إلى حالات الخروج عن دور الولاية (النشوز).

(d) مفهوم النشوز

في اللغة العربية "النشوز" تعني الانفصال والمباعدة بين الأشياء عموماً، كما جاء في قوله تعالى

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: 11]

الحالة الأولى: نشوز المرأة بصفتها صاحبة القوامة في الأسرة:

إذا خرجت المرأة عن متطلبات الولاية أصبح اسمها في الآية عاصية (ناشـــز). وهكذا تكون عبارة {والذين تخافون نشـــوزهم...} أي ابتعادهن عن صـــفات القيادة. ثم تمضـــي الآية لترشـــدنا إلى ما يجب فعله في هذه الحالة من الانحراف عن خصـــائص الولاية، لقوله: {... فعظوهن واهجروهن في مضاجعهن واضربوهن.} . وأما ما قاله بعض المفسرين

من أن المعصية هنا هي الخروج عن طاعة الزوج ومخالفته حصراً، فلا ينطبق هنا؛ لأن محور الآية يدور حول القوامة.

وقد تكون المرأة المسؤولة أماً تمارس الطغيان وعدم الصبر في بيتها وعلى أولادها، أو أختاً تمارس كل ذلك على إخوتها وأخواتها، أو جدةً تمارسه على أبنائها وأحفادها. وفي هذه الحالة فإن الحل لمثل هذا النشوز هو بالنصيحة، فإن لم تنفع يوصي بفصلهم مؤقتا عن بعض عسى أن يصطلحا بعد الفراق.

القرآن مهتم للغاية في تقديم الحلول لمنع الصراعات وحل النزاعات. وهذا مثال قوي على حل الصراعات في الزواج، سترى كيف أنه إذا تم اتباع العملية التي حددها القرآن، فسيكون ذلك مصدرًا لمنع الصراعات.

الآن، النقطة الأساسية في هذه المحادثة هي الإجابة على أسئلتك حول المساواة. فكما أن هناك عملية انحراف عند النساء، هناك أيضًا عملية انحراف عند الرجال. اسمحوا لي أن أشرح بمزيد من التفصيل:

الحالة الثانية: نشوز الرجل بصفته الولي في الأسرة:

فإذا كانت القيادة في يد الرجل، وكان طاغياً، ومستبداً، وعاصياً؛ كما في قول الله تعالى:

﴿ *وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا* ﴾[سورة النساء: 128]

لاحظوا الآية تقول: (وإذا خافت المرأة من بعلها) ولم يقل (من زوجها)؟ هناك فرق واضح بينهما. في اللغة العربية، بعل هو العائل، ومقدم الطعام. فإذا جمع ذلك كله مع الجنس، صار زوجاً. فالزوج بعل، ولكن ليس كل بعل زوج. وعلى وجه الدقة، نقول أن الزوج يعتبر بعلاً عندما يكون

الزوج في سن الشيخوخة بعد توقفه عن ممارسة الجنس وبالتالي يسمى الزوج بعلا.

وهنا يتبين لنا أن الآية 128 من سورة النساء هي الآية الخاصة بقوامة الرجل، وذكر البعل فيها يقودنا إلى أن الوحي يتحدث عن وضع أسري اجتماعي إنساني لا علاقة له بالجنس. ففي الحالة التي تخاف فيه الزوجة نشوزا من بعلها عن طريق:

أ - أن يصبح متكبراً متعالياً، ودكتاتوراً يجمع بين يديه كل السلطات، بحيث لا تستطيع زوجته أن تقوم بأي عمل صغيراً كان أو كبيراً إلا بموافقة صريحة مسبقة.

ب - الإعراض، وذلك بإهمال شؤون بيته وأولاده، وعدم السؤال عن شيء، وإدارة ظهره لكل شيء، وترك قارب العائلة تتقاذفه رياح الأيام، منشغلاً بأصحابه مثلاً، أو مع أمسياته، أو مع القراءة، أو غير ذلك.

فإذا حدث للمرأة ما تخافه من زوجها من عصيان أو هجر فليس أمامها إلا أحد خيارين:

1- قبول هذا الواقع. وهذا ما تفعله أغلب النساء في بعض الدول، تحت مسميات ومبررات وألقاب مختلفة. أما إذا لم تقبل هذه الحقيقة لقوله تعالى: {فلا جناح عليهم أن يصلحوا بينهم والصلح خير}؛ وهذا يقودنا إلى الأمر الثاني.

2- رفض هذا الواقع. وهذا ما يحدث عندما تتعب المرأة من تسلط زوجها أو إهماله لها ولأسرته. وفي هذه الحالة تحدد لها الآية ما يجب عليها فعله وهو المصالحة، أي التقارب في وجهات النظر، من خلال الحوار الهادئ السلمي، وهذا جيد.

ومع ذلك، قد يحدث موقف أثناء محاولة الإصلاح. وعبّر تعالى عن ذلك بقوله: (وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ) عندها يحتكر الإنسان كل الخير،

وينسب كل الإيجابيات لنفسه، وينكرها على الآخرين. ونحن نرى في الواقع، في محاولات تسوية الخلاف، أن كل طرف يلقي المسؤولية على الطرف الآخر، ويبرئ نفسه من كل عيب وتقصير، ويلقي اللوم على الطرف الآخر. كل هذا يجعل تحقيق المصالحة صعبا، إن لم يكن مستحيلا.

ثم يختم الله تعالى الآية بقوله: (وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) ونفهم من استخدام (إن) هنا الذي يدل على الاحتمال ولا يدل على الحتمية، أي أن هناك احتمالاً لعدم حدوث المصالحة وعدم تحقيقها. فإذا تم الوفاق ونجحت المصالحة، فإن الله كان ولا يزال غفورا رحيما يغفر للمقصر تقصيره. لكن إذا لم تنجح المصالحة، فسيحدث الانفصال حتماً. وهذا بالضبط ما نفهمه من قوله تعالى (وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا(130)

في حالة عدم الصلح، يحق للزوجة أن تطلب التفريق. فالانفصال هو طلاق، إذ قد لا يكون الزوجان أهلاً للقوامة، فتصبح العلاقة بينهما علاقة شقاق دائم، وهي العلاقة قبل الانفصال.

هتفت إحدى السيدات قائلة: قلت لكم الله رحيم، والله لا يصف النساء بالدونية، ومجرد متعة للرجال. وقد ذكر الله في آيات كثيرة النساء مثل مريم وامرأة فرعون على أنهن عفيفات وصالحات مؤمنات.

أومأت جميع النساء بالاتفاق. قفزت امرأة أخرى بحماس: "نعم. أنا موافق. كنت أعرف في قلبي أن الله خلقنا متساوين، وأنه لا بد أن هناك بعض الأشياء التي لا نفهمها بالكامل. لكن يجب أن أعترف أن القرآن يتجاوز توقعاتي. لم أكن أعلم أن للمرأة الحق في طلب الانفصال، أو أنه يمكنها طلب الولاية إذا أظهرت صفات معينة. نحن نقول دائما أن الإسلام كان ثورة للمرأة. أرى ذلك بوضوح أكثر فأكثر عندما أدرس القرآن أكثر. شكرا دكتور عمر. لا أستطيع الانتظار للعودة إلى المنزل ومشاركة هذه المعلومات الجديدة مع أطفالي.

(e) تعريف الرجال والنساء كمصطلحات وردت في القرآن:

دعونا نحدد بعض المصطلحات ذات الصلة بهذا الموضوع:

تعريف (الرجل – الرجال):

وكلمة (رجل - راجل) في اللغة العربية تدل على عضو الحركة والمشي والوقوف. ومن هذا المنطلق يطلق على مجموعة من الناس الذين يمشون على أقدامهم (رجل - راجل)، وكذلك المرأة التي تمشي على أقدامها تسمى (راجلة). ولذلك جاءت كلمة "رجل - راجل" في التنزيل الحكيم. أي المشي والحركة والنشاط للذكور والإناث على السواء، أي إشارة إلى صفة وليس اسم جنس. وعلى هذا نذكر آيات التنزيل الحكيم التي ورد فيها "الرجل - رجل أو رجال " للذكر والأنثى:

﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 239]

فهل تظنون أن من يصلي "رجالا" هم الذكور فقط،؟!!

﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [سورة الحج: 27]

والسؤال هنا: هل الحج للرجال فقط؟! تأتي النساء أيضًا سيرًا على الأقدام (رجالا). وهذا يعني أيضاً أن من يجب عليه الحج يجب أن يكون قادراً على المشي، أي الأصحاء والأقوياء.

"رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ سورة النور37

. هنا كلمة رجال تشمل الذكور والإناث.

وعندما يستخدم لفظ "رجال" بمعنى الذكور البالغين، و"النساء" بمعنى النساء البالغات، فلا بد من وجود سياق يدل عليه، مثال ذلك قوله تعالى:

"..... وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ ....." [سورة البقرة: 282]

"....*وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا* ﴾[سورة الفتح: 25]

تعريف النساء:

تستخدم كلمة النساء كجمع امرأة، وكثيرا ما تشير كلمة "نساء" إلى الأشياء العاقلة مثل المرأة وغير العاقلة كالأشياء المؤجلة التي تتبع لاحقا مثل (نسيء). كما يقول الله تعالى:

﴿ *إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ* ﴾[سورة التوبة: 37]

﴿ *يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا* ﴾[سورة النساء: 1]

قد فهم المفسرون الأوائل هذين المعنيين، حيث قالوا إن الله خلق آدم ثم خلق حواء من ضلعه، أي أن الأنثى ظهرت في الوجود متأخرة عن الذكر، ولهذا السبب سميت الإناث نساء،" أي أنهم تأخروا في الخلق" ، لكن في تفسيراتهم كانوا دائما يستخدمون النساء للدلالة على المرأة فقط . نعم جاءت كلمة النساء متأخرة، وهذا اللفظ ينطبق على كل ما جاء متأخرا. وهنا يعتبر معنى (نساء) الرغبة رقم واحد التي يرغب بها جميع الناس، وهي الممتلكات المتأخرة، "الأشياء"، أي ما يسمى في المصطلح الحديث "الموضة". يرغب الإنسان في أحدث صيحات الموضة في الملابس، وفي السيارات، وفي الأثاث، والستائر، وفي المنازل.

لحظة من فضلك يا دكتور عمر، تقفز إحدى الشابات بحماس، "أنا آسف جدًا لمقاطعتك. أنا فقط أجد صعوبة في فهم هذا. فإذا كان هناك معنيان فلماذا اختار العلماء واحدا فقط؟

"من فضلك، أريدك أن تقاطعني إذا كان الأمر غير واضح. لأنني أريدك أن تكوني قادرة على اتباع منطق تفكيري، وأنا منفتح على مناقشة الاستنتاج.

وأغتنم الفرصة لأشير مرة أخرى إلى أن قدرتنا على الوصول إلى المعلومات قد قفزت بشكل كبير في القرن الماضي، وبالتالي زادت أيضًا قدرتنا العقلية. لقد فسرها الأوائل بناء على المنطق المعلوماتي والفكري السائد في ذلك الوقت. أنا الآن أقوم بنفس العملية، وأخرج باستنتاجات مختلفة. وهذا ما أعتقد أنه معجزة القرآن. دائمًا ما يغوص كل جيل في السياق الذي ينطبق على حياتهم اليومية.

ثم تابعت الإجابة على سؤالها بمزيد من التفصيل.

(f) هل خلقت النساء من أجل متعة الرجل؟

هذا القول ناتج عن عدم فهم الآية:

﴿*زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ*﴾ [سورة آل عمران: 14]

والسؤال الآن هو: هل النساء المشار إليهن في هذه الآية هن(جمع امرأة) زوجات للرجال؟ وإذا كان الأمر كذلك، فلماذا قال: « زُيِّنَ لِلنَّاسِ» (آل عمران 14) والناس تشمل الذكور والإناث مجتمعين، ولم يقل «زين للذكور»؟ هذا من جهة، ومن جهة أخرى قال في آخر الآية: {ذلك متاع الحياة الدنيا} فإذا كان المقصود بالنساء المرأة، فهل هذا يعني أن المرأة

هي حاجة مثل طعام وشـــراب وبيت وســـيارة؟ وكيف يأتي ذكرها مع الماشية والخيل والبغال والحمير والبقر والغنم والمعز والإبل.؟

إن ســـوء الفهم البشـــع هذا هو الذي أتاح للفقهاء المســـلمين، والمســـلمين عمومًا، أن يعاملوا المرأة كالغنم والبقر وكأشياء.

وعندما نأتي إلى كلمة "نســـاء وبنين" في إحدى آيات الكتاب، فلا بد من النظر إلى سـياق الآية وفهم المعنى حسـب ما يقتضـيه العقل والموضـوع ومطابقة الحق. فمثلاً في قوله تعالى:

﴿نِسَـاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِـئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِـكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة البقرة: 223]

هذه الآية ليس لها علاقة بالعلاقات الجنســـية. وهنا (النســـاء) تأتي بمعنى محدثات تأتي فيما بعد، وقال عنها إنها "حرث لكم". وهو هنا اســـتخدم صيغة الجمع للإشارة إلى الذكور والإناث معًا لأنه في اللغة العربية يمكن أن يكون الخطاب موجهًا إلى الذكور والإناث معًا بصـيغة المذكر، كما في قوله: {أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ} فهنا المؤمنون. هم الذكور والإناث.

وهذه الأشـياء الجديدة (نِسَـاؤُكُمْ) كالتلفزيون والهاتف والإنترنت والطباعة وآلاف الأشـــياء الجديدة في الحياة، قال عنها إنها من محاصـــيل الناس، تشـبيها لها بالمحاصـيل التي يجنيها الفلاح بالحرث والزراعة، أي أنها من الأشـياء المادية التي يحب الناس جمعها وكسـبها. وقد أذن الله تعالى لنا أن نســـتخدمها متى نشـــاء وكيف نشـــاء في أي زمان ومكان. ولما كان هذا الحرث من متاع الدنيا قال: {و وَاتَّقُوا اللَّهَ} (البقرة 223)، أي يجب أن نتقي الله في اسـتعمال هذه الأشـياء ولا ننسـى حقوق الله فيها. ولا تنسـوا الآخرة.

قالت سيدة أخرى: بما أننا نناقش نظرة الإسلام إلى المرأة، يزعجني كيف يعتبر الرجال المســلمون أن المرأة أقل شـــأنا من الرجل عقلا ودينا، بينما نرى أن هناك الكثير من النســـاء حول العالم يترأســـن دولا، وشـــركات

تكنولوجيا المعلومات وما إلى ذلك. فهل يوجد في القرآن ما يعطي الرجال هذا الانطباع؟

الجواب: أولاً، لا يوجد في القرآن ما يشـــير إلى أن النســـاء أقل تديناً من الرجال. ومرة أخرى يأتي هذا المفهوم من سوء فهم معنى (أذى) في الآية 222 من سورة البقرة حيث تقول:

﴿*وَيَسْـأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَـاءَ فِي الْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ*﴾

فسـر بعض علماء الإسـلام الكلمة العربية (أذى) بأنها نجاسـة. والحيض ليس نجاســـة، بل هو حالة تكون فيها المرأة أقرب إلى المرض منها إلى الصـــحة. خلال هذه الفترة، يُطلب من الرجال فقط الامتناع عن الجماع. فإذا شـعرت المرأة بصـحة جيدة، يمكنها أن تصـلي وتصـوم وتقرأ القرآن وتتصرف بشكل طبيعي. الآية التالية توضح أن أذى تعني المرض.

"*ومن كان منكم مريضـا أو به أذى من الرأس [الحلق] فدية صـيام [ثلاثة أيام] أو صدقة أو نسك...."*

"يا الله"، صاحت إحدى النساء. "هذا مذهل حقًا. لدي مصحفي مفتوح وأنا أنظر إلى كل الآيات التي تتحدث عنها. أنا حقا أرى المنطق الخاص بك. ولكن هذا له آثار كبيرة جدا".

نعم، إنه كذلك بالفعل. لدي فكرة عن ذلك – ولكنني مهتم بسماع رأيك. لماذا تعتقدي أن لها آثار كبيرة؟ أجابت: أرى أن كثيرا من الأحكام والممارسات المبنية على سوء الفهم قد ظلمت المرأة.

قلت هذا صحيح، وسأضرب لكِ مثلا آخر له علاقة بزينة المرأة.

(g) زينة المرأة وغض البصر

الزينة عموماً ذكرت في القرآن في مواضع كثيرة:

أ- زينة الأشياء:

﴿ ۞ *يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ*﴾ [سورة الأعراف: 31]

﴿*قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ*﴾ [سورة الأعراف: 32]

﴿*إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ*﴾ [يونس: 24]

ب- زينة النساء

﴿ *وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ..*) [سورة النور: 31]

وعلى هذا فإن زينة المرأة نوعان:

- الزينة الظاهرة: هي ما ظهر من بدن المرأة بالخَلق، أي ما أظهره الله تعالى في خلقها، كالرأس، والبطن، والظهر، والرجلين، واليدين.

- الزينة غير الظاهرة: جزء من بدن المرأة يكون مخفياً في بنية المرأة وتصميمها. وهذا القسم المخفي هو الجيوب (الجيوب). وكلمة "جيب" في اللغة العربية هي ثقب في الشيء. وجيوب المرأة هي ما بين الثديين، وتحت الثديين، وتحت الإبط، والمهبل، والأرداف. هذه كلها جيوب. وهذه

الجيوب واجب على المرأة المؤمنة سترها، ولذلك قال الله تعالى: (وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ)

الخمار يأتي من الخمرة وهو الغطاء، والحجاب ليس حجاب الرأس فقط، بل هو أي غطاء للرأس أو لغيره، فأمر الله تعالى نساء المؤمنين أن يستروا جيوبهن ومنها الفرج والأليتين وما بين الثديين وما تحتهما وما تحت الإبط.

- وأما المهبل وما بين الأليتين (الدبر) و (الفرج) فلا يجوز أن ينظر إليه غير الزوج.

- وأما الثديان فلم يختلف أحد على أن ما بينهما وما تحتهما جيوب. بل إن جميع المفسرين ذهبوا قطعاً إلى أنها الجيوب الوحيدة المقصودة في الآية. وجاء هذا القيد من أن المرأة عندما نزلت الآية لم تفعل أكثر من إلقاء خمارها على جيب صدرها لتستر ثدييها، لأن المرأة العربية قبل الإسلام وفي عصر الرسول كانت تلبس ثوبا بسيطا مفتوح الصدر. وكان ذلك مناسباً لبيئتها الصحراوية البدوية.

- باقي الجيوب مثل تحت الإبط يتم تغطيتها بشكل طبيعي.

وقد ذكرت الجيوب في ثلاثة مواضع في التنزيل الحكيم، أحدها في الآية 31 من سورة النور التي ندرسها الآن. والمكانان الآخران هما:

﴿*اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ۖ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ*﴾ [سورة القصص: 32]

﴿*وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ۖ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ*﴾ [سورة النمل: 12]

ولو جمعنا بين هاتين الآيتين مع قوله تعالى: ﴿ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ﴾ [سورة طه: 22]

فالواجب على موسى أن يدخل يده إلى ما تحت إبطه من خلال صدر قميصه. فإنه لم يكن لموسى موضع إلا الإبط يضع فيه يده تنفيذاً لأمر ربه. وانظر كيف فسر الله تعالى ذلك بكلمة (الجناح). وذراع الإنسان كجناح الطير، وآخرها الكتف والإبط.

الرجال المحَرَّم على المرأة إظهار زينتها أمامهم:

الذين ذكروا في باب الزينة من المحارم سبعة: {الأب، والحمو، والابن، وابن الزوج، والأخ، وابن الأخ، وابن الأخت}. وهذا نصف محارم المرأة المحرمة من الزواج بهم. وأما الآخرون فيجوز لها الخلوة بهم، ولكن لا يجوز لها أن تظهر جميع زينتها المخفية أمامهم، وهم: العم، والخال، والابن من الرضاعة، والأخ من الرضاعة، زوج الأم، زوج الابنة، زوج الأخت.

- الذكور بدون رغبة جنسية:

إنهم رجال لا علاقة لنواياهم بالجنس. وليس المعتوه ولا المجنون، فإن الشهوة الجنسية لا تزول عند المجنون. فمثلاً عندما يريد الطبيب أن يولِّد امرأة، يرى فرجها، لكنه لا يهتم بذلك. وفي هذه الحالة يجب عليها أن تعتبره بمثابة والدها. وإذا أراد الطبيب فحص المرأة تحت الإبط أو باقي الجيوب ا فهو يعتبر في نفس وضع والدها.

- الأطفال الذين ما زالوا يجهلون عورة المرأة:

وهم الأطفال الذين لا يعرفون سبب شعور المرأة بالخجل من وضعية جلوس معينة أو من لباسها. والحقيقة أن الطفل حتى سن معينة لا يفهم معنى الحياء والخجل.

- وأخيراً تقول الآية: "*ولا يضربن بأرجلهن* ....."

خطأً فسر البعض هذه الفقرة على أنها الخلخال في القدم، بمعنى أنه لا ينبغي للمرأة أن تلبس خلخالا في قدمها وتضرب الأرض حتى لا يسمع صوت الخلخال، أو أن تلبس حذاء يصدر صوتا في المشي.

فالحديث هنا عن الزينة الخفية، وهي الجيوب، لأنها لا يمكن معرفتها إلا إذا أرادتها المرأة. وهذا يعني أن الله قد منع المرأة المؤمنة من العمل بما يظهر جيوبها أو بعضها. كالعمل كعارضة "التعري"، أو أداء رقصات تظهر فيها جيوبها بعضاً أو جميعها، لكنه لم يمنع الرقص مطلقاً. بل نهاها عن إظهار بعض أو كل جيوبها طوعاً، وهذا لا يكون إلا من أجل كسب المال أو على شاطئ البحر، ومن هنا نرى أن الله تعالى في حدوده لم يحرم على النساء إلا مهنتين: العري والدعارة. أما باقي المهن فيمكن للمرأة أن تمارسها دون حرج أو خوف، بحسب الظروف الاجتماعية التاريخية والجغرافية السائدة، والتي لا تحمل صفة الديمومة. وانتهاكها يعرض المرأة للوم الاجتماعي وليس للتحريم؟

غَضُّ البصر

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [سورة النور: 30]

﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ.....) [سورة النور: 31]

ولنشرح هذه الآيات:

(١) الغض من البصر. نلاحظ هنا استخدام كلمة "مِن" للإشارة إلى جزء من الكل. فأمرنا الله أن نغض من أبصارنا، ولم يأمرنا عدم النظر مطلقًا. ثم إنه جعل الأمر للمؤمنين للرجال والنساء على حد سواء، ولم يحدد إلى ماذا نغض البصر، وتُرك مفتوحًا حسب العادات "حسب الزمان والمكان" ومفتوحًا للمؤمنين والمؤمنات على حدٍ سواء. ثم استخدم الفعل "غض"

في اللغة العربية للدلالة على لطف الفعل، وليس على الوقاحة. ونعطي هنا المثال التالي:

فلو كان الرجل يغير ملابسه وهو في وضع لا يريد أن يراه أحد، ووقف حوله جماعة من الرجال ينظرون إليه، فإن ذلك يسبب له حرجاً. وكذلك المرأة إذا كانت في وضع لا تريد أن يراها أحد، حتى النساء، فإنها تشعر بالحرج إذا نظر إليها أحد، وهذا ما أراد الله منا نحن الرجال والنساء أن يكون النظر لطيفاً وأن لا يسبب الإحراج إلى الآخرين.

(2) الحفاظ على العورة، وقد جاء في كتاب الله ضرورة الحفاظ عليها في حالتين. الحالة الأولى: حماية من الزنا ومن كل علاقة جنسية غير مشروعة، وذلك في قوله تعالى: {والذين هم لفروجهم حافظون...} المؤمنون 5، 6، 7. هذا يدل لنا على أن المحافظة المطلوبة هنا هي الحماية من الزنا، كما يدل على ذلك قوله تعالى {إلا على أزواجهن}، وقد بينا في مواضع أخرى من هذا الكتاب أن الزوج الخارج عن وظيفة الجنس يصبح بعلاً ولا يبقى زوجا.

قالت السيدات يا له من ارتياح. حقّاً إن القرآن لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا وأخبرنا عنها. حقّاً فيه تفصيل لكل شيء. لم نكن ندرك ان القرآن بهذا الشمول يعالج كل مشكلات العصر. نعم، الإسلام رحمة ولا يمكن أن يكون قاسيا على المرأة كما أفهمونا.

شكرتني المتحدثة باسم الجمعية على هذا التنوير، وأضافت: هناك قضايا نسائية أخرى كثيرة يجب مناقشتها. وخاطبت المجموعة قائلة: هل يمكننا أن نلتقي غداً لنُكمل؟ أومأت السيدات بالاتفاق. قلت: حسناً سنلتقي غدًا في نفس الوقت ونفس المكان لمناقشة مفهومي الزواج والطلاق في القرآن.

الفصل السادس:

الزواج في الإسلام

في صباح اليوم التالي اجتمعنا جميعا مرة أخرى. لقد سررت للغاية عندما رأيت أن العديد من النساء أحضرن بناتهن معهن، بما في ذلك المتحدثة باسم النادي النسائي.

"مرحبا دكتور عمر. لقد خَطَبت ابنتي شمس مؤخراً. عندما كنت أخبرها عن عرضك التقديمي بالأمس، أصرت على الحضور معي اليوم. لذلك، وبدون مزيد من التأخير، وبعد إذنك، سننتقل مباشرة إلى المحادثة.

"هذا يبدو رائعا بالنسبة لي. سأستغل الوقت الإضافي لمناقشة دور الزواج ليس فقط في الإسلام، بل كمؤسسة اجتماعية منذ بداية الزمان.

1. مفهوم الزواج

الزواج مؤسسة اجتماعية قديمة قدم الجنس البشري نفسه. ويمكن تعريفها بأنها علاقة بين رجل وامرأة يعترف بها العرف أو القانون، وتتضمن حقوقا وواجبات معينة، سواء في حالة دخول الطرفين في الاتحاد، أو في حالة الأبناء المولودين منه. ومن ثم فإن الزواج يؤدي وظيفتين رئيسيتين: فهو الوسيلة التي يعتمدها المجتمع البشري لتنظيم العلاقات بين الجنسين؛ ويوفر الآلية التي يتم من خلالها تحديد علاقات الطفل بالمجتمع. والإسلام يعترف بهذه المؤسسة ويقبلها أساساً للمجتمع الإنساني بعد تطهيره من كل تلك الشرور التي تغلغلت فيه.

إن الإسلام لا يعتبر الزواج اتحاداً لإشباع الرغبة الجنسية فحسب، بل يعتبره عقداً اجتماعياً له مسؤوليات، وواجبات واسعة ومتنوعة. والسبب وراء ذلك هو أن المرأة، بحسب الإيمان الإلهي، ليست لعبة في يد الرجل. بل كائن روحي ومعنوي مؤتمن عليه وعلى العهد المقدس الذي شهد الله عليه. ولذلك لا يقصد الزواج توفير المتعة الحسية للذكر فقط، ولكن

التعاون معه بشـكل كامل في جعل حياة الأسـرة وفي نهاية المطاف حياة البشرية جمعاء ذات معنى كبير.

وقد ورد ذكر الزواج في الوحي الحكيم في موضوعين رئيسيين:

العلاقة الجنسية، كما في قوله تعالى في سورة المؤمنون:

"وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (5) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (6) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ

العلاقة الاجتماعية، كما في قوله تعالى: ﴿ *وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ۚ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ*﴾ [سورة النحل: 72]

﴿ *وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا* ﴾ [الفرقان: 54]

﴿ *وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ۚ أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا* ﴾ [سورة النساء: 20]

وقد أشـار القرآن الكريم في آيات كثيرة إلى المقاصـد المختلفة للزواج. وجاء في ذلك:

﴿ *وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ*﴾ [سورة الروم: 21]

﴿ ۞ *هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ ۖ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ*﴾ [الأعراف: 189]

لقد شدد القرآن الكريم على الناس أن الزواج هو الوسيلة الأكثر فعالية التي يمكن من خلالها أن يعيش الإنسـان حياة فاضـلة خالية من الفسـق والكبت

العاطفي. يقول القرآن الكريم: ﴿*أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ* ....﴾ (البقرة 187).

فالزوج والزوجة يدعمان بعضهما البعض، والراحة متبادلة، والحماية متبادلة، ويتناسبان مع بعضهما البعض كما تناسب الملابس لابسها.

قال أحد أصحاب النبي: لا أتزوج النساء؛ فقال قائل منهم: لا آكل لحما؛ وقال قائل منهم: لا أضطجع على السرير. فحمد الرسول (ص) الله وأثنى عليه، وقال: ما بال هؤلاء يقولون كذا وكذا، وأنا أصلي وأنام؛ أصوم وأتوقف عن الصيام؛ وأتزوج النساء أيضا؟ ومن رغب عن سنتي فليس بي من شيء.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له». [رواه مسلم].

عقد النكاح: فيه تقديم المهر وتأجيله، وتحويل العلاقة الجنسية من المحرم إلى المباح، وهو كغيره من العقود التي يبرمها الناس في المعاملات التجارية.

المهر/الصداق:

قال الله تعالى:. ﴿*وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا*﴾ [سورة النساء: 4]

والمهر للمرأة هبة، أي هبة بلا عوض ولا التزام. وقد يكون المهر خاتمًا من حديد، أو باقة ورد، أو عقدًا من ألماس، حسب قدرة الزوج، كما في قوله تعالى: ﴿*لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ۚ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا*﴾ [سورة الطلاق: 7]

أما جعل المهر أســـاس الزواج، وتقســـيمه إلى فوري ومؤجل، فهذه عادة اجتماعية تاريخية.

<u>ميثاق الزوجية:</u>

هي علاقة أصـــهار وقرابة بين رجل بالغ عاقل وامرأة بالغة عاقلة، هدفها تكوين أسـرة، وحياة مشـتركة مدى الحياة، وإنجاب النسـل. وأسـاس هذه العلاقة هو العرض والقبول والإصـرار على الاسـتمرار. وقد يتم التفريق بينهما بالطلاق بعد الزواج بشروط صعبة، نص الله تعالى عليها، ضمنت حق المرأة كاملا. وهذا العهد لا يعطيه إلا الزوج، وهو أن يرعاها في السراء والضراء، في الصحة والمرض، في الشباب والشيخوخة، وأن يحفظ مالها ولا يهينها. وفي المقابل تمنحه الســـعادة والرعاية والوفاء. ويجب أن يتم هذا الميثاق علناً بحضـــور أهل الزوج والزوجة وأكبر عدد من الناس (الحفل).

لوَّحت شمس بيدها وهي تحاول لفت انتباهي. "دكتور. قضيت أنا وزوجي عمر الكثير من الوقت في مناقشة عقد النكاح. كانت هناك مرات عديدة شعرت فيها بعدم الارتياح. فما الحكمة من العقد"

" دعني أطرح عليك هذا السؤال – ما هو شعورك تجاه زوجك الآن؟

بصراحة، أشعر وكأنني أعرفه حقًا. لقد أجرينا العديد من المحادثات الصعبة، لكننا تعرفنا على بعضنا البعض على مستوى حميم للغاية."

"نعم"، أجبت. سألت أطفالي نفس السؤال. لقد شعروا مثلك، وشعرت إحدى بناتي أن هذا أسلوب حكيم لمنع الصراع.

"هل يمكنني طرح سؤال آخر؟"

نعم بالطبع.

عندما عقدنا النكاح، كان لدي وكيل. فهل هذا يعني أنه غير صالح؟

بطبيعة الحال، إنه صحيح، لكنه ليس إلزاميا.

لقد جاء ميثاق الزواج في قوله تعالى:

﴿ *وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ۚ أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا* ﴾ ﴿ *وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا* ﴾[سورة النساء: 21]

والعهد هو عهد الله الذي يقسم عليه الانسان، كما في قوله تعالى:

﴿ *الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ* ﴾ [سورة الرعد: 20]

ومن هذا المنطلق فهي إحدى الوصايا العشر المذكورة في سورة الأنعام. قال تعالى:

﴿ *.....وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ* ﴾ [سورة الأنعام: 152]

ملحوظة: في عقد النكاح يوجد أصيل ووكيل. ومن العادات العربية التي تحولت إلى سنة نبوية وجود ولي للمرأة. أما العهد الزوجي (الميثاق) فلا يمكن أن يكون هناك أصل أو وكيل، ويجب على المرأة والرجل أن يأخذا الميثاق شخصيا بنفسيهما، وهذا يلغي مفهوم الوكالة ومفهوم الولي الذي هو عرف تاريخي.

سيدة أخرى ترفع يديها. هل هناك أي قيود عندما يتعلق الأمر بمن يختار الزواج؟

نعم. في ذلك الوقت، كانت هناك حالات كثيرة يتزوج فيها الأخ من أخته. ويمكن إرجاع ذلك إلى زمن الفراعنة.

2. أنواع النساء التي لا يجوز للمسلم الزواج بها

إن شريعة الإسلام تحدد بوضوح وحكمة النساء التي يجوز للمسلم أن يتزوجهن، كما تحدد النساء اللاتي لا يجوز نكاحهن.

﴿ وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ [سورة النساء: 22]

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾

[سورة النساء: 23]

المحرمة بسبب النسب هي:

• يحرم على الابن أن يتزوج زوجة أبيه بعد أن تركها. وهذا النهي يهدف إلى الحفاظ على مكانة الأبوة في نفوس الأبناء، فزوجة الأب مثل الأم، والزواج بها يتنافى مع كرامة الأب واحترامه. ولذلك وصفه القرآن بقوله: وكان فاحشاً مكروهاً وساء سبيلاً.

• تحريم زواج الأم: وهذا المنع يشمل الجدات أيضاً، ففطرة الإنسان السليمة لا تقبل وطأة أمه أو جدته.

• تحريم زواج البنات: ويشمل هذا المنع البنات المباشرات، وكذلك بنات الأبناء وبنات البنات، ولو من النسب. ومن يعاشر ابنته أو حفيدته مباشرة فهو حيوان خالي من كل المشاعر الإنسانية.

• تحريم الزواج بالأخوات: ويشمل هذا المنع الأخوات الشقيقات وغير الشقيقات. ولا يمكن أن يفكر إنسان ذو طبع سليم وعقل سليم في التقرب من أخته، فهي من جرائم سفاح القربى.

تحريم زواج العمات من جهة الأب أو الأم: أخوات الأب، سواء كن أماً وأباً أم لا. والخالة هي كل امرأة في نسب الأب، مهما كان نسبه أو أحدهما.

• تحريم الزواج من بنات الأخ وبنات الأخت.

محظورات الرضاعة الطبيعية:

• الأم المرضـــعة: هي كل امرأة أرضـــعتك، وكذلك كل امرأة ترتبط بتلك المرأة بالأمومة بالنسب، أو بالرضاع.

- الأخت بالرضاعة هي التي رضعت أنت وهي من نفس الثدي.

ممنوع بسبب الزواج المختلط

- أم الزوجة أو جدتها: مجرد التعاقد معها يحرمها. ولذلك قال الفقهاء مشهورين أن عقد البنات يحرم الأم، والدخول بالأم يحرم البنات.

- ابنة الزوجة من رجل آخر هي ربيبتك: وتســـمى ربيبة لأن الزوج على الأغلب يربيها في بيته ويحبها.

- زوجات الأبناء: لا يجوز للرجل أن يتزوج امرأة زوجة ابنه، ولو لم يجامعها.

- الجمع بين الأختين. وكذلك يحرم جمع المرأة مع خالتها، أو عمتها، أو ابنة أخيها، أو ابنة أختها.

نساء يحرم على المسلم الزواج منهن مؤقتا، وهن:

- المرأة المتزوجة لآخر والتي أشـــار إليها القرآن بقوله تعالى: والمحصنات.

- المرأة في عدة الطلاق أو الوفاة: ولا يجوز لأحد إلا من فارقها ما دامت في العدة.

- المرأة المطلقة طلقتين لمن طلقها: من طلق امرأته طلقتين فلا تحل له حتى تنكح رجلا آخر فيدخل بها، ثم يطلقها أو يموت عليها، و وتنتهي عدتها معه نهائيا دون شك أو ريب.

- المرأة الكافرة التي لا تؤمن أن لا إله إلا إله واحد، ولا تؤمن باليوم الآخر.

- المرأة التي فارقها زوجها بالقذف بالزنا وأنكرت ذلك، وترافعوا أمام المحكمة وقذفوا أمامها وأقسم كل منهم يميناً، فهي حرام على الرجل الذي قذفها بمجرد حكم القاضي أنه ينبغي فصلهما.

وقفت إحدى السيدات وقالت: لقد ذكرت أن هنالك فرق بين النكاح والزواج، ولا زلت اشعر بالحاجة إلى مزيد من التوضيح؟

قلت: هذا فعلا سؤال جيد يحتاج إلى مزيد من التوضيح:

النكاح في اللغة: هو الضم والجمع والتداخل. مثل القول: نَكَحَ المَطَرُ الأَرضَ: إذا اختلَط في ثَراهَا، وسُمِّيت الرغبة في التزوُّجُ نِكاحًا؛ لِمَا فيه مِن ضَمِّ أحدِ الطرفين إلى الآخَر،

مصطلح النكاح قد يدل على معنيين:

- الجماع الغير شرعي مثل الاغتصاب والزنى كقوله تعالى: (الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة) فالنكاح هنا هو الجماع.
- عقد النكاح: ويتم بين طرفين وهما طالب الزواج أو وكيله، وولي الزوجة. ولا بد فيه من إيجاب وقبول. ويتم فيه تحديد المهر سواء المعجل أو المؤجل، وأية شروط يتفق عليها الطرفان. قال تعالى: (..... وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ.....) سورة البقرة 235.
- بعد عقد النكاح، قد تتم إجراءات الزواج (الميثاق) فوراً لبدء العلاقة الزوجية. وقوام هذه العلاقة هو طلب الرجل للزواج والإيجاب والقبول من الزوجة، وهذا لا يكون إلّا علناً بحضور أهل الزوج والزوجة وأكبر عدد من الناس. كقوله تعالى: {وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً} (النساء 21).

وبذلك تصبح المرأة زوجة شرعية لها جميع الحقوق الشرعية. فإذا طلقها بعد الدخول فلا يحق لها الزواج إلا بعد انقضاء فترة العدة (ثلاثة شهور)، وتحتفظ بكامل المهر الذي تم قبضه عند عقد النكاح.

- بعد عقد النكاح، إذا اتفق الطرفان على تأجيل إتمام إجراءات الزواج (الميثاق) لمدة معينة، ففي خلال هذه المدة لا تعتبر المرأة زوجة ولا يجوز للرجل الدخول بها، وانما تكون ملتزمة بأن لا تتزوج من رجل آخر خلال هذه الفترة. وإذا تم فسخ عقد النكاح، يحق لها الاحتفاظ بنصف المهر، كما يحق لها الزواج دون انتظار، فليس عليها عدة. قال تعالى: (وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ) سورة البقرة 237.

قالت السيدة: شكراً على التوضيح، واسمح لي بسؤال آخر. لدي استفسار عن جزء من آية النساء (23) التي ذكرتها سابقا بالنسبة للمحرمات في الزواج والتي تقول: *وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ*. أرجو أن تشرح المقصود هنا ومثال واقعي يبين كيف تطبق في الحياة.

قلت: حقاً، هذه الفقرة بحاجة إلى مزيد من الشرح:

هنا لدينا حالة تتعلق بالنساء التي يحرم للرجل الزواج منهن، وهذه الحالة هي:

هناك امرأة غير متزوجة لديها ابنة من زواج سابق أو من عملية اغتصاب أو زنى. تقدّم لها رجل طالبا زواجها. فما الذي يحكم العلاقة بين الرجل وبين ابنة هذه المرأة (الربيبة)؟

(1) إذا تم الزواج والمباشرة الجنسية مع المرأة تصبح المرأة زوجة للرجل

- إذا كان عمر البنت أقل من سنتين، تصبح ابنة للرجل بالتبني، لأنها لا تعي أحدا غيره يتولى رعايتها. فلها جميع الحقوق كابنته من صلبه وترثه إذا تُوفي
- إذا كانت البنت بالغة عاقلة تعرف أن هذا الرجل ليس والدها البيولوجي، فإذا عاشت تحت رعاية زوج أمها أو عاشت منفصلة عنهما، لا نصيب لها في إرث الرجل بعد موته، ولكن تكون من المحرمات الأبدية عليه، كونها ابنة زوجته، ولو توفيت الزوجة أو تم طلاقها من الرجل، فإن ابنتها تبقى محرمة عليه في الزواج.

(2) إذا كان هناك عقد نكاح بين الرجل والمرأة ولم تتم المباشرة الجنسية بينهما، فلا تعتبر زوجته كما شرحنا سابقاً. فإذا فُسخ عقد النكاح تصبح غريبة عنه، وليس لها أية حقوق عليه، فهي لم تصبح زوجة له. فإذا كان لهذه المرأة ابنة بالغة، فلا تدخل في باب المحرمات عليه من الزواج من هذه الابنة.

بعد هذا الشرح قلت: آمل أن يكون هذا الشرح المطول قد وضَّح لكم الغموض الذي يدور حول هذا الموضوع.

قالت مسؤولة الجمعية تعقيبا على ذلك: سبحان الله الذي أوضح في هذا القرآن كل ما يدور في الخاطر من أسئلة. ونحن الآن نُدرك أنه لا يجوز الوصول إلى استنتاجات وأحكام من مجرد تفسير كلمة أو جزء من آية دون تدبر جميع الآيات المتعلقة بالموضوع. إن قوله تعالى هو الحق (ما فرَّطنا في هذا الكتاب من شيء).

(3) الوصية وقوانين الميراث

تعود جذور قانون الإرث التقليدي إلى المشـــهد الثقافي والســـياســـي في القرنين أو الثلاثة قرون الأولى من التاريخ الإسـلامي. وقد اتسـمت بهيمنة وجهات النظر المتمحورة حول الذكور، مما أدى إلى خلق قانون الميراث الأبوي، والذي غذى روح القبلية والإيديولوجية العشـائرية التي سـيطرت على طريقة توزيع الثروة بين مختلف شـرائح المجتمع العربي الإسـلامي. تمت صـياغة قوانين الميراث من خلال المزج المتعمد للحدود الصـارمة بين الأسـرة والدولة، مما أدى إلى وضـع تم فيه تأمين الخلافة السـياسـية (حكم الأســرة الحاكمة) من خلال صــياغة قوانين الميراث التي حافظت على المصــالح السـياسـية للعائلات الحاكمة (كما كان الحال مع الأسـرة الحاكمة من الأمويون والعباسيون والشيعة والزبيريون وغيرهم.

ومع ذلك، أمر الله بنظام توزيع الثروة الذي ينطبق عالميًا على الجميع في جميع أنحاء العالم. وحصة الفرد معطاة في تشريع الرسالة بعبارات عامة جدا وفقا لآية الميراث: (مثلا النصــف أو الثلث أو الســدس). ومن ناحية أخرى، شرع الله أيضًا وصايا يمكن للناس من خلالها تحديد توزيع ثروتهم بشــكل فردي، والتي تمكنهم من خلالها تحديد مقدار الأســهم الفردية بالضبط.

وقد حدّد الله توزيع الميراث بحسب نَسَب الدم ودرجات القرابة. ومع ذلك، بالنسـبة للوصــايا، لم يتم تحديد مثل هذا الارتباط بالقرابة. فالأمر متروك للموصـي لتحديد المستفيدين من إرثه، سواء كانوا أقارب أو معارف غير مرتبطين، أو مؤســســات الرعاية الاجتماعية، أو المنظمات الخيرية، أو المشاريع الثقافية، أو غيرها.

الوصية :

تنظم الوصية توزيع الأموال أو الممتلكات وفقًا لإرادة الموصي الذي يحدد مقدار كل سـهم سـيتم توريثه (الكمية) وكذلك طريقة التوزيع (الجودة). قد

يستفيد من الوصايا مجموعة كبيرة ومتنوعة من الأشخاص والمؤسسات المختلفة التي لا تنتمي إلى عائلة الموصي. وبما أن الوصايا ليست مقيدة بقواعد ثابتة، فإن الموصين يتمتعون بمرونة كبيرة، وبالتالي قد يوزعون ثروتهم بالتساوي أو بشكل غير متساو، ويأخذون بعين الاعتبار ورثة يشعرون بالالتزام الشخصي تجاههم. وبالتالي فإن الوصايا تعكس الظروف الشخصية للموصي بدقة.

إن التنزيل الحكيم يعطي قواعد الوصية مكانة أكثر أهمية من قوانين الميراث. نقرأ:

﴿ *كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ* ﴾ [سورة البقرة: 180]

تبدأ هذه الآية بنفس الصيغة ("كُتِبَ") التي استخدمها الله ثلاث آيات بعد هذه الآية، بطريقة موثوقة مماثلة للأمر بواجب الصيام:

"*يا أيها الذين آمنوا! (كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون)*. (البقرة:183)

هناك نفس الصيغة الإرشادية في أمره بالصيام والصلاة كما في أمره بالوصية.

تسرد الآية أعلاه من الوصية أيضًا المستفيدين المحتملين من إرادة الموصي. إنه يستخدم المصطلح العربي للوالدين والأقربين، والذي لسوء الحظ، كان يُفهم على نطاق واسع لفترة طويلة جدًا على أنه "للوالدين والأقرباء". هنا يعني الوالدين البيولوجيين. ولفظ "والأقربين" يدل على ست مجموعات مختلفة:

1. الأب مقدم الرعاية والأم المقدمة للرعاية
2. الأجداد – إلى أعلى درجة

3. الزوج (إذا كانت المتوفاة امرأة متزوجة) أو الزوجة (إذا كان المتوفى رجلا متزوجا)؛

4. أبناء وأحفاد المتوفى وأي فرع له إلى أي درجة أدناه؛

5. الإخوة والأخوات؛

6. الأعمام والعمات من جهة الأب أو الأم

إلا أن الآية التالية (النساء 4: 8) توسع هذه الدائرة بشكل كبير: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ ولم تحدد الآية ما إذا كان ينبغي توريث الأموال للأيتام أو المحتاجين فردياً أو جماعياً عن طريق التبرع بالأموال إلى الهيئات الخيرية، مثل دور الأيتام أو مخيمات اللاجئين أو منظمات الصليب الأحمر والهلال الأحمر.

وتضاف مجموعة أخرى في آية النساء 9: ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ عبارة ذُرِّيَّةً ضِعَافًا هي مصطلح واسع للدلالة على مجموعة واسعة من الأشخاص "العاجزين"، على سبيل المثال: الأطفال المعوقين، والزوجات المصابات بأمراض مزمنة، والبنات غير المتزوجات اللاتي يعشن حياة بائسة، مقارنة بأخواتهن المتزوجات الأكثر سعادة. ولا تسمح قوانين الميراث بمثل هذه التفضيلات الشخصية، لأنها تنظم توزيع أموال المتوفى وممتلكاته وفق صيغ ثابتة تتجاهل الظروف الشخصية للمتوفى والورثة. ومن الواجب الشرعي كتابة الوصية الأخيرة، سواء كانت الممتلكات صغيرة أو كبيرة. بعد وفاة الموصي، لا يجوز تغيير الوصية ، وإلا كان ذلك سبباً لغضب الله. إذا كان الموصي لا يزال على قيد الحياة، فيمكن للمرء أن يحتج ويطالب بحصة أعلى، ولكن إذا أصر الموصي على ذلك، فلا يمكن فعل أي شيء حيال ذلك. ولا يمكن للمحاكم التدخل في هذا الأمر.

قوانين الميراث

يشـــير المصـــطلح الفني "الميراث" إلى عملية تقســـيم أموال وممتلكات المتوفى بين الورثة. يجب دائمًا إعطاء الأفضـــلية لإرادة الوصـــية. وإذا كانت الوصية موجودة، فيجب على الجميع الالتزام بها حرفياً. التوزيع في جميع الأحوال بعد وفاء التركات والديون..." (النســـاء" 4: 11). أما إذا أهمل أحد هذا الواجب ولم يكتب وصـية، فإن الله حدد أنصـبة كل وارث، ويجب على الجميع الالتزام بها، ســـواء من حيث عدد الورثة المحدد أو مقدار الأنصبة الفردية.

ثلاث آيات من ســـورة النســـاء تحدد كيفية الميراث. ويمكن الاطلاع على تفاصيل الميراث في العديد من الكتب الإسلامية.

4. تعدد الزوجات

تعتبر قضية تعدد الزوجات من أهم موضوعات النقد والتساؤل المباشر بين المسلمين المؤمنين، وبين بقية ثقافات وحضارات الأرض. فما هي مشكلة تعدد الزوجات؟ وكيف تعامل معها الوحي الحكيم؟ وكيف تمت ممارسته خلال القرون التاريخية الماضية؟

الحقيقة التاريخية أن تعدد الزوجات كان شائعا، وكان أساس العلاقات الجنسية والاجتماعية، بدءا من الشعوب البدائية، إذ كان ظاهرة انتقلت من الحالة الحيوانية إلى الحالة الإنسانية.

بدأ المجتمع البشري أولاً بتحريم الزواج بالأم. كان هناك مجتمع أمومة، أي أن الأبناء يعرفون أمهاتهم ولا يتزوجونهن بعد البلوغ الجنسي، فالأم معروفة في الأسرة، وهي ربة هذه الأسرة، بغض النظر عن عدد الرجال الذين يتزوجونها. وظلت آثار هذه الظاهرة موجودة في المجتمع العربي في زمن البعثة النبوية، حيث جامعت المرأة أكثر من رجل. فإذا حملت ووضعت طفلها، فهي التي تحدد الأب. هذه بقايا قديمة جدًا لمجتمع غارق في العصور القديمة.

لقد ألغت الرسالة المحمدية هذه الظاهرة تماما.

ومع الانتقال إلى المجتمع الأبوي، ظهر تعدد الزوجات بين الذكور، وأصبحت الأسرة ذكورية، وكانت هذه الظاهرة شائعة خلال التطور التاريخي الإنساني بعد مرحلة المجتمع الأمومي. وتتجلى هذه الظاهرة بوضوح في المجتمع العربي خلال البعثة النبوية، فمن الانتقال إلى المجتمع الأبوي ظهر تعدد الزوجات بين الذكور، وأصبحت الأسرة ذكورية، وهذه الظاهرة عامة خلال التطور التاريخي الإنساني بعد مرحلة المجتمع الأمومي. وهذه الظاهرة تظهر بوضوح في المجتمع العربي أثناء البعثة النبوية وقبلها وبعدها. فعدد زوجات العشرة المبشرين بالجنة في حياتهم تسعون زوجة، أي بمعدل تسع زوجات لكل واحدة منهم.

وقد أكد القرآن أن تعدد الزوجات هو طريقة تاريخية قديمة في قوله تعالى: ﴿ *مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ ۖ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا* ﴾ [سورة الأحزاب: 38]

أي أن سنة الله فيمن مات من قبل كان العدد مفتوحا، وكان النبي يعامل على هذا الأساس. لقد كان تعدد الزوجات أمراً طبيعياً ومقبولاً اجتماعياً في عصر الصحابة. وهكذا عندما اقتصر العدد على أربع زوجات في نفس الوقت، اعتُبِر ذلك تقدما تاريخيا.

وهكذا تنتقل البشرية بتطورها التاريخي من التعدد الزوجي إلى الأحادية الزوجية.

العلاقة بين التعدد وآية ﴿ *وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ.....)*

إن مشكلة تعدد الزوجات - أو إن شئت إلغاء تعدد الزوجات - من المواضيع البارزة والمهمة التي اهتم بها الله تعالى اهتماما خاصا، فوضعها في بداية سورة النساء في القرآن. وقد ورد ذكر تعدد الزوجات في الآية الثالثة من السورة، وهو الموضع الوحيد في التنزيل الذي ورد فيه هذا الأمر. لكن المفسرين والفقهاء تجاهلوا السياق العام الذي ورد فيه، وأهملوا ربط مسألة تعدد الزوجات بالأرامل اللاتي لديهن أطفال يتامى.

بدأ الله تعالى سورة النساء بدعوة الناس إلى تقوى ربهم، واختتم بها سورة آل عمران السابقة، وبدعوتهم إلى صلة الرحم، التي انطلق فيها من رؤية إنسانية واسعة، وليس من رؤية عائلية أو قبلية ضيقة، تدل على أن أصل خلق الناس كان من نفس واحدة، فيقول في [سورة النساء: 1-3] : ﴿ *يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا* ﴾

﴿ *وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا* ﴾

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴾

ثم في الآية الرابعة، يتابع الله تعالى الحديث عن صدقات النساء ومهورهن، وفي الآية الخامسة ينهى الناس عن إعطاء الأموال للأيتام حتى يتمكنوا من إدارتها بشكل جيد. ثم تعود الآية مرة أخرى إلى الأيتام، فتقول:

﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ [سورة النساء: 5]

﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ [النساء: 6]

وعلى المتأمل المنصف الذي يريد أن ينظر في مسألة تعدد الزوجات في التنزيل الحكيم أن ينظر إلى هذه الآيات ويتفحص العلاقة السببية التي أوضحها الله تعالى بين مسألة تعدد الزوجات والأيتام ذكورا وإناثا، في هذا الإطار.

اليتيم في اللغة العربية وفي الوحي هو القاصر (ذكراً كان أو أنثى) الذي لم يبلغ سن البلوغ، الذي فقد أباه وأمه لا تزال على قيد الحياة. (١) أن يكون اليتيم صغيرا، جاء في قوله تعالى: {*وابتلوا اليتامى حتى يبلغوا الحلم*} النساء 6؛

(2) اليتيم هو من فَقد أباه حيث تم تعريفه صراحة في الآية 82 من سورة الكهف: ﴿ *وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ* ...﴾

وها نحن أمام الأيتام الذين فقدوا والدهم. إن الله تعالى يريدنا ويأمرنا أن نُحسِن إليهم، وأن ننصفهم، ونهتم بهم، وننمي أموالهم، ونعطيها لهم بعد بلوغهم سن الرشد.

كيف يمكن تحقيق ذلك؟ هل نأخذ الأيتام الصغار من أمهاتهم إلى بيوتنا ونبعدهم عنها؟ هل نزور بيوتهم ونوفر لهم احتياجاتهم؟ يبدو أنه من الممكن. ولكن يبقى الاحتمال أننا لن نتمكن من التنفيذ الكامل لأمر الله بأن نكون مسؤولين عن تربيتهم واستثمار أموالهم....الخ

وفي هذه الحالة {*وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى*}، جاءت الآية بالحل، أي بالزواج من أمهاتهم الأرامل {*فانكحوا ما شئتم من النساء*}. والكلام هنا موجه لمن له زوجة واحدة. ولا محل في التعدد أن يتزوج الواحد أرملة واحدة لها أولاد يتامى، إذ بدأت الآية باثنين وانتهت بأربع { *مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ* }.

إن الله تعالى لا يأذن بتعدد الزوجات فحسب، بل يأمر به في الآية، ولكنه يشترط لذلك شرطين: (1) الأول أن تكون الزوجة الثانية والثالثة والرابعة أرملة ولها أولاد، و(2) الثاني أن يتحقق الخوف من عدم إنصاف الأيتام. ومن الطبيعي أن يُلغى أمر تعدد الزوجات في حالة عدم حدوث تحقق من كلا الشرطين.

ونقف خاشعين أمام قوله تعالى: "ما طاب". فحتى في حالة الأرملة التي لديها أولاد، والتي فقدت قائد ومعيل أسرتها، وأصبحت مضطرة لقبول أي خاطب يتقدم لها، نرى الله يشير إلى طيب قلبها (القبول الطوعي)، إكرامًا لها ولمشاعرها، وتقديراً لمسألة الزواج من حيث المبدأ.

إلا أن هذا التوجه الإنساني في الآية قد يثير الحماسة لتنفيذ أوامر الله في نفوس بعض المؤمنين، فيبالغون في طلب رضوان الله عز وجل، وهو لا يملك الموارد المالية الكافية لإعالة أولاده من زوجته الأولى، بالإضافة إلى الوافدين الجدد (اليتامى)من الزوجة الثانية ، فيقع في براثن الفقر.

وبالتالي قد يؤدي به الوضـــع إلى عدم المســـاواة بين أولاده وبين أولاد المرأة الأرملة التي يريد أن يتزوجها. وجاء الحل في قوله تعالى: {*وإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم. ذلكم أرجح ألا تعدلوا.*} وهنا جاء الأمر الإلهي بعدم التعدد والاكتفاء بالزوجة الأولى في حالة الخوف من عدم القدرة المالية والوقوع في الظلم الذي ذكرناه.

وذهب البعض إلى أن قوله تعالى: {وإن خفتم ألا تعدلوا} يعني عدم العدل بين الزوجات في العلاقة الزوجية. لكن الســياق يتحدث عن التعددية بمعناها الاجتماعي الإنســاني وليس بمعناها الجنســي، وهي تدور حول الأيتام والإحسان إليهم والإنصاف معهم، ولأن الله تعالى بدأ أمره بالرضا بشيء واحد بمعنى واضح تماماً، وهو قوله: { *ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا* } أي أن الاكتفاء بالزوجة الأولى أقرب إلى تجنب الوقوع في عدم القدرة على المساواة في الانفاق.

التعدد بالزواج من الأرامل، ضــمن الشــروط المنصــوص عليها، يحل مشكلة خطيرة تجلبها الحروب للجماعات المتحاربة، من عدة جوانب:

- وجود الرجل بجانب الأرملة يحميها من الوقوع في الفاحشة.
- توفير مأوى آمن للأطفال الأيتام.
- ضــمان بقاء الأم الأرملة مســؤولة عن أطفالها الأيتام ورعايتهم. وهذا يشمل حماية الأطفال من التشرد والانحراف.

وفي حين قد تقوم بعض مؤســســات رعاية الأيتام بتوفير المأوى لهؤلاء الأيتام، ولكن يتم ذلك بعيداً عن أمهاتهم. لكن هذا لا ينفي ضــرورة وجود دور أيتام ومؤسسات في المجتمع ترعى الأيتام من دون أب أو أم (لقطاء)، وهنا يأتي دور التبني.

ومن الخطر على المجتمع من خلال العلاقات الأســرية أن يعزل قضــية التعددية اليوم عن الموضــوع الرئيســي الذي يقوم عليه الأمر الإلهي

بالتعددية، أي الأيتام؛ وجعلها قضية ترسخ الرجولة وتطلق للرجل حرية الزواج متى شاء، مثنى وثلاثة ورباع، في مجتمع غير متحارب. والأخطر من ذلك أن نخترع، كما يفعل بعض الفقهاء اليوم، مبررات للرجل تبرر زواجه بأربع زوجات تحت ألقاب تكون ضعيفة تارة، وتافهة تارة، وجائرة تارة أخرى. فقالوا إن عدم الإنجاب يبرر للرجل أن يتزوج مرة ثانية أو ثالثة، وكأن العقم من أمراض النساء التي لا تصيب الرجل. وقالوا إن الرغبة الجنسية عند الرجل تبرر تعدد الزوجات، وغفلوا عن تساوي الرجل والمرأة في هذا الأمر.

وقالوا إن عدم قدرة المرأة على القيام بدورها كزوجة بسبب مرض طويل أو مرض دائم، يبرر للرجل أن يتزوج مرة ثانية أو ثالثة، ونحن نتساءل: وماذا لو كان الرجل هو الرجل العاجز والمريض؟

ومن هنا نستنتج أن المجتمع هو الذي يقرر العمل بالتعددية من عدمه، معتبراً في قراره ما إذا كانت شروط التعددية المذكورة في الآية متوافرة أم لا. فعلى سبيل المثال، إذا قرر المشرع إقرار التعددية في بلد أودت فيه الحرب بحياة عدد كبير من الرجال، فإن القرار صحيح، وإذا قررت دولة إلغاء التعددية فإن الإلغاء صحيح أيضا. وفي كلتا الحالتين القرار ليس أبديا.

لو افترضنا أن دولة ما قررت إلغاء التعددية بسبب وجود مؤسسات لرعاية الأيتام، ثم خالف أحد أعضائها هذا القرار، فإن القانون يعاقبه بتغريمه لمخالفته قانونا مدنيا وقرارا اجتماعيا، لكنه لا يعتبر زانيا أو مرتكبا للفحشاء مطلقاً، لأن المسألة اجتماعية لا تتعلق بالحلال والحرام.

وهذا الالتباس يمكن أن ينجم عن عدم التمييز بين نوعين من الأوامر في القرآن وهما: الحلال و الحرام. فالحرام لا يمكن أن يتحول إلى حلال لأن أمره بيد الله. لكن الحلال يمكن تقييده ومنعه من سلطة التشريع.

الفصل السابع:

التبني في الإسلام

3. تعريف: الولد، الوالد، الأب، الوالدة

لإدراك هـذا المفهوم، لا بـد من التفريق بين الأب البيولوجي والأب بالرعاية، والأم البيولوجية والأم بالرعاية.

الولد: يطلق اللفظ في اللغة العربية على الطفلة (الابنة) أو الولد الذكر (الابن).

الأب البيولوجي (والد) هو صاحب النطفة التي بدونها لا يولد الجنين.

الأب المربي (أب): الذي يعتني بالطفل. فيمكن أن يكون الأب البيولوجي أو الأب بالتبني.

الأم البيولوجية (والدة): الأنثى التي تقدم البويضة للتخصيب.

الأم المربية (أم): التي تقوم بتربية المولود الجديد. يمكن أن تكون الأم البيولوجية أو الأم بالتبني.

فكلمة ولد في العادة تدل على وجود عملية إخصـــاب بين والد ووالدة تنتج عنها ولد، قد يكون ذَكراً أو أنثى.

ففي قوله تعالى: ﴿*قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ*﴾ [سورة آل عمران: 47]

انظر هنا إلى دهشة مريم بعد أن بشرها الله بكلمة منه اسمه المسيح. فهي تعرف أن الولادة عادة تأتي بعد الحمل، وأن الحمل يحتاج إلى حيوان منوي – وهو ما لم يحدث، فالحيوان المنوي يحتاج إلى إنســـان لإنتاجه. وهكذا تفاجأت بأنها حامل.

يخرج المولود إلى النور نتيجة الإخصـــاب والحمل والولادة. ولهذا قال الوحي أن المســـيح بار بأمه، أي أن البيضـــة كانت من مريم، وهي التي حملته وولدته كما في آيات أخرى.

﴿ *وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۚ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ* ﴾ [سورة العنكبوت: 8]

﴿ *وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ* ﴾ [سورة لقمان: 14]

وبما أن الوالد له مهمة واحدة وهي الإخصـاب، فالوالد هو الذي يخصـب، بغض النظر عن الطريقة ســواء بالزواج أو غيره، وبصــرف النظر عن مشــروعية الزواج (عقد نكاح) أو عدم شــرعيته (الزنا). فإذا قام بتربية المولود يصبح والداً وأباً للمولود.

أما الوالدة فهي صـاحبة البويضـة، ويتبعها الحمل والولادة بعد الإخصـاب، وإذا قامت بتربية المولود تصبح والدة وأماً للمولود.

وفي المقابل انظر إلى الآية: ﴿ *إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِــلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا* ﴾ [سورة نوح: 27]

لاحظ أن الولادة في الآيـة جـاءت بمعنى التنشــئـة والتكوين العقـائـدي والمذهبي في المجتمع، وأن الفعل "ولد" لا يعني إطلاقاً الولادة من الحمل والولادة والأمومة. لا يولد الإنســان كافراً فاســقاً، ولا يولد مؤمناً تقياً كما يتصـور البعض. بل يخرج من بطن أمه صـفحة بيضـاء نقية، بدليل قوله تعالى:

﴿ *وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَــيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّــمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ* ﴾ [سورة النحل: 78]

ولعل أفضل مثال للتمييز بين نوعي الوالدين هو ما نعرفه اليوم بالتبني.

يقول الله تعالى:

﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة يوسف: 21]

﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [سورة القصص: 9]

ومعلوم أن عزيز مصر والمرأة لم يكونا والدي يوسف، وأنهما أرادا الأبوة والتربية باتخاذه ولداً (التبني). تمامًا مثل فرعون وزوجته، لم يكونا واليا موسى، وأرادا أن يصبحا والديه من خلال اتخاذه ولداً (التبني).

والآن نقرأ قوله تعالى:

﴿ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [سورة يوسف: 38]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [سورة التوبة: 23]

وهنا نجد أننا أمام معنى مزدوج للآباء، مزيج من الأب والجد والجد الأكبر، والأب المربي عقيدة وثقافة. في الآية يذكر يوسف آباءه: أبوه يعقوب، وعمه إسحاق، وجده إبراهيم، لكنه يبدأ بالعد العكسي من جده إلى أبيه، لأن العقيدة والدين هو في الأساس دين جده ابراهيم. وهو ما يجعلنا نفهم أن النسب والانتماء للمعتقد والثقافة أهم من نسب الدم والبيولوجيا، إن لم تكن هي نفسها.

وفي ضوء ما ذكرناه سابقاً ننتقل الآن إلى قوله تعالى:

﴿ *مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا* ﴾ [سورة الأحزاب: 40]

الأبوة في الآية تعني الجانب العقائدي، كما في قوله تعالى: {.. *ملة أبيكم إبراهيم. هو سماكم المسلمين من قبل*..} الحج 78. فإبراهيم أبو المسلمين وآدم أبو البشر.

وانظر الآن إلى الآيات التالية:

﴿ *يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا* ﴾ [سورة النساء: 11]

نحن نفهم يقينًا أن الله تعالى بقوله وَلِأَبَوَيْهِ يقصد الوالدين على اختلاف أنواعهما، وليس الآباء البيولوجيين حصرًا، وإلا لقال لوالديه. ونفهم من قوله تعالى: {..آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب نفعا لكم..} أي الآباء والأجداد صاعدين، والأبناء والأحفاد نازلين، ذكر وأنثى. أي أن الحفيد يرث من جده لأبيه أو لأمه، ولو كان أبواه متوفين. وكذلك يرث الجد من أحفاده بعد وفاة الوالدين.

وهنا تتضح لنا المأساة من كل جوانبها، عندما نرى أن الخلط بين (الوالدين) و (الأبوين)، وعدم التمييز بينهما بدقة كما فعل التنزيل الحكيم، لا يقتصر على الشكليات السطحية المتمثلة في اسم والد إبراهيم عازر أم تارح، واسم زيد هو ابن حارثة أم ابن محمد؟ بل يمتد أثره ليشمل أمورا مختلفة: محظورات الزواج، وإظهار الزينة، والأحقية في الميراث.

التبني وأخذ الطفل

ولنبدأ بالأحوال التي يصبح فيها المتبني كالوالد من حيث سفاح المحارم (الزواج والزينة) ومن حيث الميراث. ونقرأ قوله تعالى:

﴿ *وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ* ﴾ [سورة لقمان: 14]

﴿ ۞ *وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا* ﴾ [سورة الإسراء: 23]

يحدد (الفصال/الانقطاع عن الرضاعة) في الحالة الأولى بعد سنتين من الولادة،

ونفهم من استخدام لفظة "الوالدين" هنا أن المولود قد نشأ معهم قبل الانفصال عن الرضاعة وبعده.

إن فهمنا للفطام من الرضاعة الطبيعية الذي يستمر لمدة عامين، صحيح من جانب واحد فقط. ولكن هناك عشرات الملايين من الأمهات اليوم لا يرضعن أطفالهن، ولا يستأجرن مرضعات، بل يطعمنهن بالحليب المُصنَّع، فكيف نفهم موضوع الفصام في هذه الحالة؟

الفراق/الفصام عن الرضاعة هو بداية مرحلة جديدة ونهاية مرحلة سابقة لجميع أطفال الأرض، سواء رضعوا من أمهاتهم أم لا. وهذه المرحلة الجديدة هي بداية تكوين ذاكرة الطفل عندما يصل إلى عمر السنتين، ولكن قبل ذلك لا تكون لديه ذاكرة على الإطلاق. نقصد بالذاكرة هنا المعلومات التي يتم تخزينها واسترجاعها لاحقًا. لا يتذكر أي إنسان حدثاً حدث له قبل عمر السنتين. كل الأحداث التي يتذكرها أطفال هذا العالم في ذاكرتهم بعد أن يكبروا، هي أحداث حدثت لهم بعد عمر السنتين. وهذا يؤكد معنى قوله

تعالى: «أشـــكر لي ولوالديك» لأن الأهل دخلوا دائرة وعي الطفل، وبدأ يعرفهم كوالدين وكأبوين أيضاً.

وهنا يتبين لنا أن التبني (أخذ طفل) له علاقة وثيقة بالانفصـال (الفصـام). أي أن الأمر يتعلق بـدائرة الوعي ومخزن المعلومـات في ذاكرة الطفـل المتبنى. فإذا تم التبني عند سـن سـنتين أو قبل ذلك، يكبر الطفل وليس في وعيه وحفظه حد سوى أبويه بالتبني، ولهما حكم أبويه الطبيعيين، حتى لو لم ينجبـاه. لأنهم الوحيـدين في وعيـه، ولا فرق بينهم وبين أبويـه البيولوجيين، من حيث البر والإحسان والحرمة وإظهار الزينة والميراث.

كقوله تعالى: {*حَرَمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ*} النساء 23، وأحكام إبداء الزينة في قوله تعالى: {... *ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء أزواجهن أو أبنائهم..*} النور 31، وأحكام الميراث في قول الله تعالى: {﴿*يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ* ...} النساء 11.

وقول الله تعالى في تعداد المحرمات في سـورة النسـاء 23 : {... *وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ* } يعني بالضـرورة أن هناك أبناء بالتبني ليسوا من ذريتك ، وهذا يعني أن زوجة الابن الذي من نسـله /صُـلبه محرمة عليه، في حين أن زوجة الابن المُتَبنى ليست محرمة على الأب

4. الحالات التي يجوز فيها التبني

وهنا نعدد الحالات التي نراها مستوفية لشروط التبني:

- فقدان الوالدين في حادث، وترك خلفهم أطفالاً تقل أعمارهم عن سنتين.

- الأطفال الذين تخلى عنهم والديهم بعد ولادتهم لأي سـبب من الأسـباب (الزنا، الفقر).

- بما أن الكوارث الطبيعية والحروب تترك الأطفال وراءهم، فيمكن تبني الأطفال الذين تقل أعمارهم عن عامين.

ونتوقف عند قوله تعالى: *وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ ۖ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾* الأحزاب 4،

ولمن يستدل بهذه الآية ويستشهد بحادثة النبي محمد مع زيد بن حارثة، وحادثة النبي يوسف على تحريم التبني في القرآن، نقول: لم يكن زيد ابن محمد بالتبني، بل بالرعاية لأن زيداً كان بالغا وليس طفلا لم يتجاوز عمره سنتين.

إن إبطال أبوة الرسول لزيد جاء بالوحي الأمين (الأحزاب 4، 5)، أما في حالة يوسف فإن البطلان جاء من أرض الواقع، ونقرأ قوله تعالى:

﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۚ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾[سورة يوسف:23 و 24]

وها نحن أمام شاب بلغ مرحلة النضج، يعي أهله وإخوته ووالديه، ويدرك تماما أن المرأة التي أمامه ليست أمه، وأن الرجل الذي كان صالحا إليه وآواه ليس أبوه. فلا ينطبق على هذه الحالات مصطلح التبني.

الفصل الثامن:

الطلاق في الاسلام

الطلاق: هو فعل يُؤدي الى وقف العلاقة الزوجية الاجتماعية بين الطرفين وانفصـــالهما التام عن بعضـــهما البعض فيما يتعلق بالحياة الزوجية والأســرية. ولكن لا مانع من أن تكون هناك علاقة بين الطرفين في أمور أخرى خارج الحياة الزوجية، مثل رعاية الأطفال، أو العمل الاقتصـــادي أو العلمي، ونحو ذلك.

ولما كان الطلاق مرتبطا بقطع علاقة اجتماعية تترتب عليها مصـــالح ومشاعر إنسانية، خاصة عند وجود أطفال بين الطرفين، فقد حدد القرآن عدة مراحل لتنفيذه، تاركا المجال لفرصـــة الصـــلح بين الطرفين بخلاف عقد الزواج الذي يتم في جلسة واحدة.

1. الحالات التي تنشأ عن العلاقة الزوجية:

(1) في حالة عدم الجماع:

﴿ *وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْـــتُمْ إِلَّا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ* ﴾ سورة البقرة: 237]:

والمعنى أن العدة ملغاة لعدم حصـــول الوطء، ولها الحق في الاحتفاظ بما اكتسبته خلال مدة العقد، ويجب أن يكون الإفراج عن طيب خاطر.

(2) في حالة الجماع يجب أن يكون الطلاق وفق شروط العدة:

﴿ *الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَـاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْـرِيحٌ بِإِحْسَـانٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَـــيْئًا إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ* ﴾ [سورة البقرة: 229]

وكلمة "مرتان" تدل على العدد وليس الفعل أو الزمن. فنقول: جئتك مرتين (إي في وقتين مختلفين). وهذا يعني أن جملة "الطلاق مرتين". ولا يعني اثنتين، بل يعني مرحلتين من الفعل وقعا منفصلين في الزمان، وبالتالي لا قيمة للتلفظ بكلمة "طلاق" في وقت واحد، مهما كثرت، حتى لو مليون مرة، فكلها ضمن الزمن الواحد الأول، وهذا الكلام يوصلنا إلى ضرورة معرفة الزمن الذي يفصل بين المراحل.

لندرس الآيات التالية:

﴿ *وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ* ﴾ [البقرة: 231]

﴿ *وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ* ﴾ [البقرة: 232]

﴿ *يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا* ﴾ [سورة الطلاق: 1]

ونلاحظ في الآيات أن الطلاق مرتبط بالعدّة، فلا طلاق إلا بعدة تأخذ مجراها مع مرور الوقت في كل مرة، وعدّة المطلقة هي الحيض. كما في سورة البقرة 228 :

﴿ *وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ*

بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

2. إجراءات الطلاق في القرآن

- إذا قرر الشخص طلاق زوجته، عليه أن يصبر وأن لا يقترب منها أو يجامعها لمدة (أربعة أشهر). وهذا ما يسميه القرآن [الإيلاء] لقوله تعالى:

﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[البقرة: 226] ﴿وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

ولم يُشرَّع الإيلاء إلا حفاظا على ميثاق الزواج وإمهال الزوج مدة أطول حتى يعدل عن رأيه ويمتنع عن الطلاق. ثم بعد أربعة أشهر، أي بعد [الإيلاء]، يتخذ الزوج أحد قرارين:

القرار الأول: المصالحة. أو

القرار الثاني: الطلاق.

- فإذا اتخذ القرار الأول وتصالح معها فقد حصل على ما أراد، لقوله تعالى: *﴿ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾* أي عادوا. فقد رجع الزوج عن نية الطلاق أصلاً ولم يعد يريد الطلاق.

أما إذا اتخذ القرار الثاني وأعلن (طلاقها) فيكون هذا هو الطلاق الأول ويترتب عليه إجراءان:

1. تصرفات الزوجة:

لها بعد الطلاق الحق أن تعتد في بيت زوجها لمدة ثلاثة أشهر، لقوله تعالى: *"يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ"*

2. إذا كانت المرأة حاملا في فترة العدة، فعليها أن تعلن عن الحمل ولا تخفيه، وللزوج إذا أراد الصلح أن يُرجِعها، لقوله تعالى: ﴿*وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ*﴾

وهذا التفضيل للرجال لا يكون إلا في حالة تبين أن مطلقته حامل ويريد إرجاعها وهي ترفض. وهنا يأتي تفضيل قرار الرجل على قرار زوجته؛ لأنه هو الذي أعلن الطلاق، وعلى القاضي أن يحكم له بمراجعتها.

تصرفات الزوج:

بعد أن يطلق زوجته المرة الأولى، يجب على الزوج (1) أن ينتظرها حتى تتم عدتها الثلاثة أشهر أو حتى تضع حملاً إذا حملت، (2) قبل انتهاء الأشهر الثلاثة، فيمكنه أن يقرر إرجاعها فتحل له، أو يطلقها بعد انتهاء الأشهر الثلاثة للمرة الثانية. وبذلك يحرم عليها الزواج منه حتى تتزوج زوجاً آخر. لقوله تعالى: ﴿*فإن طلقها فلا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره*﴾

والتشريع القرآني في هذه الآية واضح تماما من غير زيادة ولا نقص، ومن غير تحريف ولا تغيير، ومن غير اجتهاد عالم أو فتوى شيخ. وتتميز هذه الآية الإلهية بالوضوح، وتأتي مصداقاً لقوله تعالى: "*الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ* ".

3. **آثار ومسؤوليات الطلاق في القرآن**

- السكن واجب على الرجل بحسب قدرته، وتجنب الأذى والتحرش من أي طرف، وفي حالة الحمل فالنفقة على الرجل: أسكنهما أينما كنت، ولا تضايقها لتصعب عليها الأمر. فإن كانت حاملاً فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن.

- وعلى الرجل أجر الرضـــاعة: فإن أرضـــعن لكم فآتوهن أجورهن، وتعاملوا معروفا بينكم. وقوله: «أصـــلحوا بينكم» معناه أنه ينبغي الاتفاق على احتواء تربية الطفل في مثل هذه الحالة، وحالة الطلاق تســـتوجب التقيد بحدود الله على الطرفين.

وباختصار فإن الشجار والأذى من أي طرف هو تعدي على حدود الله.

- وفي حالة العسر، أي عدم قدرة المرأة على إرضاع الطفل لأي سبب من الأســـباب، يجب إيجاد امرأة أخرى لإرضـــاع الطفل، وتكون النفقة على الرجل، ومن كان قادرا على إعالتها فلينفق مما رزقه الله. لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها. سيجعل الله بعد عسر يسرا.

- النفقة تعتمد على قدرة الرجل المالية.

- فإذا وقع الطلاق وحصل الحمل قبل انتهاء العدة، فإن إخفاء الحمل تعدي على حدود الله، وفي هذه الحالة الأفضـــل للطرفين المصـــالحة بالاتفاق: وعلى المطلقة الانتظار حتى انتهاء العدة. ثلاث حيض لأنفسهن،

- إذا جاءت مدة الحيض، ولم يحدث الحيض، فهو إما: (1) بلغت المرأة حداً لا تحيض فيه، فعدتها ثلاثة أشـــهر فقط: (2) احتمال أن تكون المرأة حاملاً، فالحكم أن عليها الانتظار حتى تضع حملها.

4. حقوق الطفل في حالة الطلاق

لقد أولت الشـريعة الإسـلامية مرحلة الطفولة للإنسـان اهتمامًا كبيرًا، لما لهذه المرحلة من أهمية كبيرة في بناء شـــخصـــيته بكل جوانبها الإيجابية والسلبية، وذلك بناءً على أسلوب التنشئة والاهتمام الذي يلقاه هناك. ومن هنا فقد حدد الإســـلام للأبناء حقوقاً وواجبات لا يمكن التغاضـــي عنها أو إهمالها. وكان الإســـلام أول من فعل ذلك قبل أربعة عشـــر قرنا من قيام الدول الحديثة وجميع الأمم الإنسانية بوضع أي مواثيق بشأن حقوق الطفل والإنسان.

كفل الإســـلام للطفل العديد من الحقوق المختلفة، وفيما يلي توضـــيح لبعضها:

نسب الطفل الثابت والموثق:

وذلك بجعل الزواج هو الوســيلة الشــرعية الوحيدة للإنجاب، واشــتراط إثبات صحة الزواج. وبذلك يضمن الطفل حقه في معرفة الوثائق المتعلقة بوالديه.

حضــانة الطفل: كفل الإســلام للطفل أن يعيش في رعاية والديه ليعتنيا به صحياً ونفسياً واجتماعياً، ثم عهد إليهما بتربيته تربية صالحة.

حق الطفل في الحياة:

ويبدأ ذلك منذ أن يكون جنيناً في بطن أمه (وهذا ما يقرره خبراء الطب)؛ فيحرم قتله أو إجهاضـــه، كما توعد الله قتلة أبنائهم بالخلود في النار جزاءً بما فعلوا.

المساواة بين جميع الأطفال:

لقد جعل الله تعالى الناس متساوين، حيث حرم الإسلام التمييز بين الذكور والإناث. الله وحده هو واهب الأطفال. يهب لمن يشـــاء إناثا وذكورا لمن يشاء ويأمر الوالدين بالعدل بينهما.

تعليم الطفل:

هذا حق أساسي للأطفال في الإسلام، ومن واجب الوالدين التأكد من تعليم أطفالهم كل ما ينفعهم في أمور الدين والدنيا. لقد حرص رسـول الله (ص) على أن يتحمل كل فرد من أفراد الأمة مسؤوليته تجاه أسرته وأبنائه. قال: «كلكم راع وكلكم مسـؤول عن رعيته». وقال أيضـاً: «لأن يؤدب الرجل ولده خير له من أن يتصدق، فإنها قربة إلى الله».

اللعب المباح:

وهو من أبرز حقوق الطفل الشـــرعية، فلا يجوز منعه من ذلك. بل من قواعد التربية الإسلامية أن يداعب الوالدان أولادهما سبع سنين، ثم يعملا معهم سبع سنين، ثم يرافقوهم سبع سنين.

كان النبي (ص) يقبل حفيديه الحســن والحســين، فلما رآه رجل يفعل ذلك تعجب من فعله، وأخبره أن لـه عشـــرة من الأبنـاء، ولا يقبل أحدا منهم. فأجابه النبي: (من لا يَرحَم لا يُرحَم).

تربية الطفل على الأخلاق الحميدة:

الإيمان والأخلاق الحميدة حق مميز في الشـــريعة الإســـلامية. وتقع هذه المسؤولية بالدرجة الأولى على عاتق الوالدين، وأول ما يجب أن يعلموهما إياه هو خُلق الصـــدق في القول والعمل. لقد أمرنا الله أن نحمي أنفســـنا وأولادنا من النار يوم القيامة، فقال الله تعالى:

﴿*يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ*﴾ [سورة التحريم: 6]

الرضاعة: من أمه، أو من مرضع آخر.

وقد أوجب الإسلام على الأم ذلك، وأمر الأب أن ينفق عليها بحسب طاقته.

كان مطلوبًا من الأم أن ترضـع طفلها (أو بأي طريقة مشـابهة مثل زجاجة حليب الأطفال) لمدة عامين كاملين، وأصـبح هذا حقًا للطفل. قال الله تعالى في سورة البقرة: الآية 233:

﴿ ۞ *وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفۡسٌ إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوۡلُودٞ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ وَعَلَى ٱلۡوَارِثِ مِثۡلُ ذَٰلِكَۗ فَإِنۡ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٖ مِّنۡهُمَا وَتَشَاوُرٖ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَاۗ وَإِنۡ أَرَدتُّمۡ أَن*

﴿ تَسۡتَرۡضِعُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا سَلَّمۡتُم مَّآ ءَاتَيۡتُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾ [البقرة: 233]

حق الطفل في إعالته:

أوجبت الشريعة الإسلامية على الأب النفقة على أولاده، وتشمل تلك النفقة جميع ما يحتاجون إليه من جوانب، كالطعام والشراب والملبس والدراسة والتعليم ونحو ذلك، ويستمر ذلك حتى وصول الطفل إلى عمر يسمح له بكسب المال والإنفاق على نفسه. وألزم الإسلام الأب بنفقة أم الجنين. قال الله تعالى: ﴿أَسۡكِنُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ سَكَنتُم مِّن وُجۡدِكُمۡ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيۡهِنَّۚ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ فَإِنۡ أَرۡضَعۡنَ لَكُمۡ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۖ وَأۡتَمِرُواْ بَيۡنَكُم بِمَعۡرُوفٖۖ وَإِن تَعَاسَرۡتُمۡ فَسَتُرۡضِعُ لَهُۥٓ أُخۡرَىٰ﴾ [سورة الطلاق: 6]

رعاية الأطفال الأيتام:

أولت الشريعة الإسلامية الأيتام رعاية خاصة، وأمرت المسلمين برعايتهم. لقد أمر الإسلام بحفظ أموال الأيتام وعدم أكلها ظلما.

الفصل التاسع

المحرمات في الإسلام

بينما كنا نتناول الغداء في أحد المطاعم، قرأت سوزان قائمة الطعام ثم قالت:
"سيدو، لماذا كل شيء حرام في الإسلام؟ بعض أصدقائي يقولون إن الدين مليء بالقيود"!

ضحكتُ بلطف وقلت:
"يا سوزان، هذه فكرة شائعة لكنها غير صحيحة. الإسلام لا يُحرّم كل شيء، بل يُبيح الأصل، ويُقيّد القليل، حفاظًا على الصحة، والنفس، والكرامة".

الأصل في الأشياء الإباحة. "في الإسلام، كل ما في الكون مباح ما لم يأتِ نصٌّ يحرّمه. والتحريم يكون لحماية الإنسان من الضرر".

المشكلة في من يزيد الحرام بلا دليل. الإسلام يُحرّم ما ثبت ضرره، لا ما يخالف العادات أو الأذواق.

"قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ"...الأعراف: 32

"فلا يحق لأحد أن يُحرّم شيئًا من تلقاء نفسه، أو يُضيّق على الناس باسم الدين".

قالت ندى: "يعني الإسلام لا يدعو للزهد والتقشّف دائمًا؟"
أجبتها: "بل الإسلام دين التوازن. لا رهبانية فيه. الله لا يحب من يُحرّم الطيبات، ولا من يُطلق الشهوات بلا ضوابط".

خلاصة الحديث: الحلال والحرام في الإسلام ليسا قيودًا، بل إشارات مرورية لحمايتنا من الضرر. الإسلام يريد لنا السعادة في الدنيا والآخرة، لا الشقاء ولا الحرمان".

أنا مدعو غداً لإلقاء محاضـرة للصـف الحادي عشـر في مدرسـة اللغة الإنجليزيـة في عمـان حول المحرمـات (الحلال والحرام) في الإسـلام وسوف أعطيكم نسخة من المحاضرة وفيها تفصيلات أكثر.

ذهبت في الصباح إلى المدرسة لإلقاء المحاضرة. بعد المقدمة التي قدمتها المعلمة جين، تناولت الكلمة وقلت: قبل إلقاء المحاضـرة، أريد أن أطلب منكم أن تخبروني: ما هي الأسـئلة التي تتبادر إلى أذهانكم بخصـوص موضوع المحرمات؟ تحمس الطلاب وبدأوا في طرح الأسئلة:

هل الغناء وسماع الموسيقى ومشاهدة التلفاز حرام؟

هل ممارسة الرياضة والتنافس مع المدارس الأخرى حرام؟

هل الذهاب إلى مدرسة فيها فصول فيها بنات وأولاد معاً حرام؟

هل الصلاة وأنت تلبس الحذاء حرام؟

في هـذه المرحلـة، لا زال الكثيرون يرفعون الأيـدي لطرح المزيـد من الأسئلة؛ فقلت حسناً، سأشرح لكم المحرمات كما وردت في القرآن الكريم:

1. المحرمات الدائمة:

مرة أخرى، لا يترك الله شيئًا أساسيًا للتخمين. فالمحرمات التسعة الأولى من القائمة أدناه وردت في الآية 151-152 من سورة الأنعام:

قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم:

1. لا تشرك به شيئًا،

2. حسن المعاملة إلى الوالدين

3. لا تقتلوا أولادكم خشية الفقر؛ 4. ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن. 5. ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق. هذا وقد أوصـاكم أن تسـتخدموا العقل. 6. ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسـن حتى يبلغ أشده. 7. إعطاء الكيل والوزن بالعدل. ولا نكلف نفسا إلا وسعها. 8. وإذا

شـــهدتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى. 9.الوفاء بعهد الله. "ذلكم وصّـــاكم به لعلكم تتذكرون".

10- المحرمات الجنسية، كما جاء في الآيتين 23 و 24 من سورة النساء: ""*حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ*..... الآية"

11 - *حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به وما قتل خنقا*....." سورة المائدة 3

"12" "... *وأحل الله البيع وحرم الربا*....." البقرة 275

13. *"قل إن ربي حرّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا"*

14 وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون

نلاحظ أن آيات االتحريم لا تبدأ بقوله: "يا أيها الذين آمنوا"، فهي عامة للناس كافة، وليس فقط لأتباع النبي محمد. وقد بين الله تفاصـــيل كل آية ، فلا داعي للاجتهاد فيها. وتســـلط هذه المحظورات الضـــوء على القيم الإنسـانية غير القابلة للتصـرف كما وردت في الوصـايا العشـر التاريخية وصولاً إلى العصر الحديث في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

المشـكلة أن الفقهاء أدخلوا في التراث أكثر من 100 حالة من المحرمات، متجـاهلين أن الله تعـالى قـد رفع عن أمـة محمـد الكثير من العقوبـات والأغلال التي فرضت على أهل الكتب السابقة.

قلـت للطلاب: لاحظوا أن أيـاً من الأســئلـة التي طرحتموهـا في بـدايـة المحاضرة ليس حراماً.

2. تعاريف: الحلال، المباح، الأمر، النهي

ثانياً: الحلال: كل ما عدا ذلك فهو حلال إلا الدم، فإن الأصـــل تحريم الدم إلا ما أحل الله كما في الآية التالية:

«*يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود. أحل لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم .....*" آية 1 سـورة المائدة. وآية 3 ذكرت سـابقا في النقطة 11 من المحرمات.

وبـالإضـــافة إلى ذلك، وخلافاً لما يقولـه البعض عن طعام أهل الكتب السماوية، يقول الله تعالى:

﴿ *الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ۖ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ* ....." الآية 5 من سورة المائدة.

ثالثاً: الأمر: الأصـل في لفظ الأمر أنه يدل على (١) وجوب فعل المأمور. مثل قولـه تعالى: {*وَأَقِيمُوا الصَّـــلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ*} (البقرة:43)، و(2) قد يأتي الأمر بمعنى المســـموح. كما في الآية: {*فإذا قضـيت الصـلاة فانتشـروا في الأرض وابتغوا من فضـل الله*} (الجمعة: 10).

رابعا: الإباحة: القاعدة تقول: أصل الأشياء الإباحة، إلا إذا ورد نص على تحريمها أو النهي عنها. فكل نهي فهو حرام، وليس كل حلال او مباح مقبول. ومع أن المباح مفتوح، إلا أن المباح الاجتماعي لا ينفذ إلا بتنظيم من الدولة.

ومما ســبق يتبين أن صــيغة الأمر في القرآن الكريم لا تحمل دائماً معنى الوجوب. بل ينبغي للمرء أن يتأمل الســياق الذي ورد فيه ليعرف المعنى المقصود منه.

خامساً: النهي: الطلب من المرء الامتناع عن فعل شيء ما:

المشـكلة أن الفقهاء اختلفوا في تعريفات هذه المصـطلحات، مما أدى إلى اعتبارهم أشـياء وأفعالا كثيرة محرمة، مثل تحريم اسـتعمال اختراعات

جديدة لم تكن شائعة في العصر الأول للإسلام كالملابس، وحلق اللحية. والموسيقى ومئات الأشياء المشابهة.

السيئة: هي كل عمل يؤدي إلى ضرر للغير، سواء كان كثيرا أو قليلا. والسيئة ليست في حق الله عز وجل، فإنه لا يُحسن إليه ولا يُساء إليه. كما فيقوله تعالى: {*من عمل صالحا فلنفسه ومن عمل سوءا فعليها ثم إلى ربكم ترجعون* . } (الجاثية 15). وكمثال للسيئات: السرقة، أو القذف، أو الغش في الكيل والميزان.

الذنب: هو كل عمل غير صالح يرتكبه الإنسان بفعل نواهي الله تعالى، أو بعدم امتثال أوامره. ويمكن أن تكون المعصية بارتكاب بعض المحرمات والمحظورات التي لا تؤذي الناس، مثل: الشرك بالله، وارتكاب الفواحش، أو بارتكاب فعل ليس في حق الله فقط بل بحق الناس ، وقد يكون بحق الله وبحق الناس ايضاً، بارتكاب المحرمات التي تتضمن الإساءة إلى العباد. وغيرها كعقوق الوالدين والسرقة ....

يُصَحح الذنب بالاستغفار والتوبة، أما السيئات فتصحح بمصالحة من وقع عليه الضرر وتعويض ما أصابه من ضرر.

والعقوبات في الإسلام مناسبة للجرائم التي تقتضيها. وعلى القضاء المستقل تقدير العقوبة ومحاكمة من يستحقها، بعد ثبوت مسؤوليته عن ارتكاب الجريمة.

وبينما كنا على وشك الانتهاء، قال أحد الطلاب لدي سؤال من فضلك. قلت: حسنا. تفضل. قال: فكيف توسع بعض علماء الإسلام في التحريم؟ على سبيل المثال: هل يوجد دليل في القرآن على أن الموسيقى والرقص والتقاط الصور وصنع النحت والأعمال الفنية محرمة في الإسلام كما هو مكتوب في الكتب الإسلامية؟

قلت: المشكلة أن الفقهاء اختلفوا في تعريفات هذه المصطلحات، مما أدى إلى تحريم كثير من الأشياء والأفعال، مثل تحريم استعمال اختراعات

جديدة لم تكن شائعة في العصر الأول للإسلام كالملابس وحلق اللحية والموسيقى ومئات الأشياء المشابهة.

اسمحوا لي أن أعطي مثالا على سوء الفهم بالنظر إلى الكلمة دون النظر إلى السياق. كما حدث في تفسير الآية 6 من سورة لقمان:

"*ومن الناس من يشتري لهو القول ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذه هزوا أولئك لهم عذاب مهين*".

أعطى الفقهاء الإسلاميين معاني مختلفة لكلمات شراء التسلية. فمنهم من قال فيه تحريم الغناء، وقال آخرون شراء آلات الغناء، وقال بعضهم: الشراء هو الاختيار.

إذا نظرنا إلى المواضع الأخرى في القرآن حيث تم استخدام كلمة شراء (يشتري). ومن خلال البحث في الإنترنت نجد العديد من الآيات التي تستخدم فيها الكلمة في سياق الأشياء غير المادية بمعنى الاختيار، أو تبادل المثل؛ كما في قوله تعالى:

"*أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت معاملتهم وما كانوا مهتدين*". سورة البقرة 16

﴿*أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ*﴾ [سورة البقرة: 86]

سياق الآية التي يشيرون إليها لا علاقة له بالغناء أو الرقص. والمعنى أن أولئك الذين يختارون الاستماع إلى الناس وهم يقولون عبارات غير صحيحة عن القرآن أو يمزحون حول بعض الآيات، بأنهم سوف يعاقبون يوم القيامة.

وبالمثل فإن العديد من الاستنتاجات حول الحرام كانت نتيجة عدم فهم المعنى الصحيح لبعض المصطلحات وعدم مراعاة المعاني المنطقية بناءً على السياق.

الفصل العاشر: حوار مع أطباء

العلم والدين

إحدى بنات أخي، غادة، التي حضرت مناقشتنا سابقًا، كانت طبيبة نفسية متخصصة. اتصلت بها وسألتها عما إذا كان من الممكن ترتيب لقاء مع بعض الأطباء من معارفها لمناقشة كيف تساعدنا الاكتشافات العلمية على فهم بعض الإشارات الكونية في القرآن. وفي اليوم التالي أبلغتني أنها دعت ثلاثة من أصدقائها لتناول العشاء في منزلها، وأخبرتهم باهتمامي: د. رمزي، (دكتور في الطب)؛ دكتور مازن طبيب أعصاب ; الدكتور زياد طبيب القلب والدكتور ماجد مهندس الاتصالات.

في اليوم التالي، بعد تناول العشاء، اجتمعنا في غرفة الضيوف. بدأت بمقدمة عن بحثي في الأدب الإسلامي وفي محاولتي لفهم آيات القرآن الكريم.

بعد التعارف، افتتحت الجلسة بالقول: القرآن هدى للإنسان كافة في جميع جوانب الحياة. أما الجزء التشريعي من الرسالة (آيات محاكمات) فكان دقيقاً ومفصلاً وكاملاً، أما في المسائل المتعلقة بالكون والحقائق العلمية (آيات متشابهات) فقد قدمت في بيانات إعلامية موجزة بطريقة يمكن فهمها في وقت الوحي، ولكن منفتحة ومرنة لاستيعاب المزيد من المعلومات والمعاني مع تقدم مستوى المعرفة الإنسانية. على سبيل المثال: الآية 189 في سورة البقرة:

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ "

والجواب فيه شرح يفهمونه ويتعاملون به، لكنه لم يغلق القول أنه للحج فقط. لاحظ العبارة: فهي مقياس للوقت بالنسبة للناس. والقرآن عندما يستخدم كلمة الناس فهو يخاطب البشرية جمعاء في كل وقت. وبذلك يكون الموضوع مفتوحاً لمزيد من الاحتمالات، ويترك للإنسان أن يفكر فيه ويستكشفه. فلا عجب لماذا يُكثِر القرآن من العبارات التي تدعو إلى التفكر

واستخدام العقل مثل: "أفلا يتذكرون" (13) مرة، "أفلا يعقلون" (22) مرة، "أولو الألباب" (16) مرة أو "أفلم يروا" (12) مرة؟ ويستخدم القرآن أيضًا مصطلحات رمزية لتشجيع الناس على التفكير، فقد صادفت بعض المصطلحات في القرآن والتي أعتقد أن علماء الإسلام الأوائل قد أساءوا فهمها، بسبب نقص / أو محدودية المعرفة في العلوم في ذلك الوقت. قالوا: أعطنا الأمثلة. فقلت مثل:

1. **الصدر والقلب في القرآن:**

آيات كثيرة تذكر أن القرآن نزل على (قلب) النبي (ص) مثل:

"نزله الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين" سورة الشعراء 194

"*ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم*". البقرة 7

"*﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾*". سورة الحج 46

ففسروه بالقلب العضوي وترجموه كذلك.

وهل القلب - العضو الذي في الصدر الذي يضخ الدم - هو متلقي العلم وناقله؟ قالوا بالطبع لا. فكيف نفسر هذا؟ أقول: الكلمة تشير إلى وظيفة تقليب الأشياء أي وظيفة تحليل المعلومات ومقارنتها بغيرها من المعلومات. دكتور مازن طبيب الأعصاب قال هذه وظيفة المخ. وأضاف: الدماغ هو أهم جزء في جسم الإنسان. إنه شبكة عصبية من الخلايا الحية (مليارات الخلايا العصبية) التي تتواصل من خلال نبضات كهروكيميائية، وتراقب جميع وظائف الجسم، وتخزن المعلومات وتحللها لتحديد الإجراءات التي يجب القيام بها. في الواقع كان علماء الكمبيوتر يقلدون وظائف الدماغ في تصميمهم. يمكن للخلايا تخزين كميات كبيرة من

المعلومات أكثر مما يمكن لشـــبكة مكونة من مئات من أجهزة الكمبيوتر العملاقة تخزينها.

قلت شكرا دكتور مازن لقد أكدت على الطريقة التي فهمتها. فكلمة قلب قد تعني العضو الذي يضخ الدم أو يمكن أن تعني وظيفة الدماغ حسب السياق الذي تستخدم فيه.

هنا تدخَّلت الدكتورة غادة قائلة: ولكن القرآن يذكر القلوب التي في الصدور فكيف تفسِّر قولك أن القلب عملية تجري في الدماغ؟

قلت حسناً. دعونا ننظر معنى الصدور :

ورد في المعاجم العربية صَدْرُ: أعْلَى مُقَدَّمِ كُلِّ شيءٍ وأولُه ، وكلُّ ما واجَهَكَ. وذات الصدور: أسرار النفوس وخباياها.

ومن هذه التعاريف ندرك أن أعلى مقدم جسم الإنسان هو الرأس، وأبرز ما في الرأس هو الجمجمة، وأول ما يُواجهنا منها هو الوجه. ولكي نتعرف على الإنسان حين نقابله، ننظر إلى مكان الصدارة فيه وهو الرأس فنتعرف عليه من شعره، وجبهته ووجهه وعينيه .

ففي قوله تعالى: {*فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور*} (الحج 46). فهنا الصدور لا تعني صدر الإنسان الذي يحتوي على العضلة القلبية، وإنما تعني رأس الإنسان. والكثير من الآيات تذكر الصدور في سياق الكلام عن التفكر والتذكر كقوله {*بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم*} (العنكبوت 49) وقوله: {*أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوبٍ أقفالها*} (محمد (ص) 24) .

يتضح مما سبق أن القلوب تعنى الدماغ الموجود في موقع الصدارة في الرأس، والذي فيه أجزاء وظيفتها التعقل والتفكير وتخزين المشاعر والأحاسيس، وليس القلب الذي وظيفته ضخّ الدم الموجود في الصدر أسفل العنق .

لقد ورد في القرآن ذِكر لأعضاء الإنسان: اليدين والأرجل والجلود والحناجر والأذن والعين واللسان والشفة والأمعاء والقلب، فكيف لم يذكر الدماغ وهو أنبل الأعضاء قاطبة؟ الجواب: لأنه ذكر القلب(الذي يُقلِّب المُدركات) وهذه وظيفة من وظائف الدماغ والمخ.

إن فهم تركيبة الدماغ ووظائفه تساعد في الفهم الصحيح لكثير من الآيات المتعلقة بكيفية نُزول الوحي، معنى الروح والنفس، معنى الموت والوفاة، وكيف تتوفى الملائكة الأنفس وغير ذلك.

قلت حسنا. اسمحوا لي أن أقدم لكم مثالاً آخر على الارتباك الذي اعتدت أن أواجهه. كيف أوصل الملاك جبريل الوحي إلى عقل النبي محمد (ص) وليس إلى قلبه كما اتفقنا؟ والمفهوم الشائع أنها نزلت بلسان عربي مبين أي بالصوت، وقرأها النبي على الناس بصوت. لكن هناك الكثير ممن يطرحون السؤال: بما أن محمد (ص) لم يكن يعرف الكتابة، فمن الذي أمر النساخ الذين يكتبون الوحي أن يكتبوا الصلاة أحيانًا بالألف وأحيانًا بالواو كما نجدها في مصحف عثمان الأصلي ؛ وكلمة رحمة، أحيانا بالتاء المفتوحة وأحيانا بالتاء المربوطة؟ هناك العشرات من هذه الاختلافات في الكتابة. فمنهم من يقول إنها أخطاء من النساخ، ومنهم من يقول أن الله ألهمهم أن يكتبوا بهذه الطريقة، ومنهم من يقول أن النبي كان يملي عليهم ويأمرهم بكيفية كتابتها. وهذا الخلط يعطي الكفار والمشككين سببا لانتقاد ألوهية القرآن.

لاحظت أن الحاضرين يهزوا رؤوسهم موافقين، وأضافوا أنه لا يزال هذا السؤال عن كيفية اتصال الوحي بالنبي (ص) محَيّراً للباحثين ولم تتم الإجابة عليه بشكل صحيح ومنطقي وعلمي. فما هو رأيك في ذلك دكتور عمر.

فقلت: اسمع، لقد كان هذا يضايقني ليلاً ونهاراً، شهراً بعد شهر؛ حتى خطرت على بالي فكرة. اسمحوا لي أن أشارككم فيها وأرى ردود أفعالكم كعلماء مسلمين.

2. نزول الوحي إلى دماغ النبي

الملائكة مخلوقة من نور كما ذكر في القرآن. كيف يتواصلون مع الملائكة الآخرين؟ ربما من خلال موجات ضوئية (والله أعلم). وكيف يتواصلون مع الأنبياء؟ (الله أعلم).

اليكم نظريتي (قد تكون خاطئة أو قد تكون منطقية وقريبة من الصواب)

حسنًا، بما أن دماغ الإنسان يحتوي على تلك الخلايا العصبية (خلايا الدماغ الحية) التي تتواصل من خلال نبضات كهروكيميائية (مثل الموجات)، فإن الملاك جبريل ينقل الوحي من خلال موجات تحمل الصوت والصورة إلى دماغ النبي، حيث يتم تخزينها هناك. لتسترجعها الروح (الأوامر الإلهية) المثبتة في أدمغة البشر بنفخة من روح الله كما ورد في خلق آدم.

آيات النبوة في القرآن (المستمدة من اللوح المحفوظ والأرشيف التاريخي للإنسانية من الإمام المبين) تم نقلها مرة واحدة في ليلة القدر) وتخزينها في الذاكرة طويلة المدى لدماغ النبي. الآيات التي تتناول أحداث حياة النبي تنتقل إلى الذاكرة فور وقوعها؛ وفي نفس الوقت يتم تسجيلها في كتاب الإمام المبين كجزء من الأرشيف البشري. يقوم جبريل بتفعيل مركز القيادة (الروح) ليتمكن النبي من رؤية تلك السجلات، وقراءة أجزاء منها في أوقات وفواصل معينة على مدى 23 سنة من نبوته. وبالتالي لا يوجد ارتباك. فيتلو ما أمره جبريل أن يبلغه، فيرى صور الكلمات مخزنة في ذاكرته باللغة العربية المبينة. فكان يأمر الكتبة أن يكتبوا الكلمات كما نقلها له جبريل في الأصل صوتاً وصورة. وهذا حقاً برهان على قدسية القرآن الذي تكفَّل الله بحفظه صوتاً وكتابة.

فصاح الحضور: واو! هذه طريقة جديدة حقًا للنظر إلى الأمر. دعونا نفكر في هذا ونلتقي غدًا لنرى إلى أين تتجه بهذا المفهوم.

وفي الختام قلت: هذا رأي، وأنا بشـر ورأيي قد يكون صـحيحا وقد يكون خطأ. والوحيد الذي يعرف الحقيقة كاملة هو الله نفسه. ولكنني أرى أن هذا التفسير أقرب إلى المعقول والمنطق، ويدل على صحة أن القرآن كلام الله المنزل على لسان رسوله جبريل.

على أية حال، سنواصل غدًا الحديث عن الروح والنفس ونرى كيف تفسر هذه النظرية الآيات المتعلقة بالحياة والموت.

3. مفهوم الروح والنفس في القرآن

أنها ليلة هادئة، جلسنا جميعًا في الشرفة نُطالع السماء الصافية. ثم قالت "جميلة" بصوت خافت:
"سيدو... ماذا يحدث بعد الموت؟ وهل سنرى أحبّاءنا مرة أخرى؟"

نظرت إليها بودّ وقلت:
"سؤال كل إنسان يا جميلة. وقد أجاب القرآن عن هذا السؤال بوضوح. فالحياة لا تنتهي بالموت، بل تبدأ مرحلة جديدة تُسمّى (الآخرة)".

لماذا نؤمن بالآخرة؟

"الإيمان باليوم الآخر ركن أساسي من أركان الإيمان، لأنه يُعطي لحياتنا معنى، ولأعمالنا مسؤولية. فمن دون حساب، لا عدل. ومن دون بعث، لا قيمة للحق".

قلت لهم:
"الله عادل، وهناك مظلومون في الدنيا لم ينالوا حقهم، ومجرمون لم يُحاسَبوا. فكيف نتصور عدالة من دون آخرة؟"!

قال حمزة:
"ماذا يحدث بعد أن نموت؟"
قلت: "يمر الإنسان بعدة مراحل، تبدأ بالبرزخ، ثم البعث، فالحساب، ثم الجنة أو النار".

.1**البرزخ :وهي المرحلة بين الموت والبعث. يكون فيها الإنسان إمّا في راحة، أو ضيق، حسب عمله.
.2**البعث :حين يُعيد الله الخلق يوم القيامة، وتُعرض الأعمال.
.3**الحساب :ميزان دقيق، لا يُظلم فيه أحد.
.4**الجزاء :جنة عرضها السماوات والأرض، أو نار توعّد الله بها من كفر وظلم".

ثم قرأت لهم: "وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا" الأنبياء: 47

قالت ندى:
"لكن الجنة... هل هي حقيقية؟ أم مجرد رمز؟"
أجبتها: "بل هي حق. والله وعد بها المؤمنين وعدًا صادقًا". فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

قالت سوزان بخوف: "والنار؟ هل هي أبدية؟"
قلت بلطف: "النار ليست انتقامًا، بل جزء من منظومة العدل. والله لا يُدخل النار إلا من استحقها عن علم وجُرم، وبعد قيام الحجة عليه".

"والله لا يُعذّب عباده بلا سبب. بل يفتح أبواب التوبة طول العمر، ويؤخّر العقوبة، ويضاعف الأجر لمن عاد إليه". ثم قرأت لهم":قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ"...الزمر: 53

"الله يريد منّا التوبة، لا الهلاك. والآخرة ليست للفصل بين الناس فقط، بل لتحقيق كمال العدل، وتمام الرحمة".

خلاصة الحديث: الإيمان باليوم الآخر يزرع فينا الرجاء والمسؤولية. يردع الظالم، ويُطمئن المظلوم، ويمنحنا معنى للحياة. فمن آمن بلقاء الله، استقام في دنياه، واطمأن لرحمته في أخراه".

فيما بعد، وبينما كنا نشاهد فيلمًا وثائقيًا عن نهاية العالم، سألتني "جميلة" وهي متأثرة: "سيدو، لماذا يخوّفنا القرآن من النار؟ ألم يكن الله رحيمًا؟"

قلت لها وأنا أربت على يدها:
"سؤالك جميل جدًا. والجواب في القرآن نفسه. نعم، الله شديد العقاب، لكنه أرحم الراحمين. الرحمة هي الأصل، والعقوبة استثناء لمن أصرّ على الإفساد والتكذيب".

الرحمة أولًا... دائمًا

"لو نظرتِ يا جميلة في القرآن، لوجدتِ أن كل سـورة – ما عدا واحدة – تبدأ بـ:

"بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ"

"وحتى الأوامر والنواهي، مبنيـة على الرحمـة. فـالعبـادات تزكّي النفس، والنواهي تحمينا من الأذى. والله لا يسـتفيد شـيئًا من عبادتنا، بل نحن من نرتقي بها".

"العقوبة في القرآن ليست انتقامًا، بل تحذيرًا وإنذارًا للرجوع

قال حمزة:
"لكن أحيانًا نسمع خطبًا فيها كثير من التهديد"!
قلت: "لأن بعض الدعاة يركّزون على الترهيب ويهملون الترغيب، وهذا خلل".

"**النبي صلى الله عليه وسلم علّمنا التوازن. قال:

"بشّروا ولا تُنفّروا، ويسّروا ولا تُعسّروا".
وكان يقول: "لو يعلم المؤمن ما عند الله من الرحمة ما ييأس، ولو يعلم الكافر ما عند الله من العذاب ما يطمئن**".

"التربية بالحب أعمق من التربية بالخوف، والخوف وحده لا يصنع إنسانًا صالحًا، لكنه يُعين حين يضعف الوازع".

قلت لهم:
"من أسماء الله: الغفور، التواب، الرحيم، العفو، اللطيف، الحليم، الرؤوف...
ومن أسمائه أيضًا: العزيز، الجبار، شديد العقاب".

لكن لاحظوا: كل اسم فيه رحمة ذُكر عشرات المرات في القرآن، وكل اسم فيه عقوبة نادر. مثلاً:

"الرحمن" ذُكر 57 مرة،
"الغفور" أكثر من 90 مرة،
"شديد العقاب" بضع مرات فقط**.

"وهذا التوازن ليس صدفة، بل تربية روحية راقية: أن تحب الله وتخشاه، لكن لا تيأس من رحمته، ولا تتساهل في معصيته".

القرآن مثل الأب الرحيم: يُحبك، ويعفو عنك، وينذرك حين تقترب من الخطر، لا لأنه غاضب، بل لأنه لا يريدك أن تؤذي نفسك".

قالت ندى:
"إذًا، العقوبة وسيلة تربوية، وليست دليل قسوة؟"
فأجبتها: "بالضبط، وأنتِ عبّرتِ عنها بأجمل عبارة".

خلاصة الحديث: القرآن نهر رحمة، لكنه يُنذر حتى لا نغرق. والله لا يريد أن يعذّب عباده، بل يريد أن يطهّرهم، ويهديهم، ويُدخلهم جناته. فمن عرف الله حقًا، عبده حبًا وخشية، لا خوفًا فقط".

وعلى كل حال، لدي غداً موعد مع الأطباء لاستكمال نقاشنا عن دور العلم والعقل في فهم القرآن. وسيكون موضوع النفس والوفاة ضمن هذا الحوار.

لقد حضَّرت دراسة لمناقشتها، سأعطيكم نسخة عنها، وسأجيب على أسئلتكم بعد قراءتها.

التقيت مرة أخرى مع مجموعة الأطباء. قالت الدكتورة غادة: بعد التأمل فيما ناقشناه الليلة الماضية، أعتقد أن نظريتك قد يكون لها بعض الفائدة في تفسير بعض آيات القرآن. وقال الدكتور ماجد: هناك آيات كثيرة في القرآن تتحدث عن الحياة والموت في الدنيا والحياة في الآخرة. دعونا نرى كيف تفسر نظريتك مثل هذه الآيات.

قلت: حسناً. اسمحوا لي مرة أخرى أن أتناول بعض التعريفات:

ما ورد في مثل هذه المواضيع في القرآن يدخل في باب الآيات المتشابهة التي يمكن تفسيرها بالاستفادة مما وصل إليه العلم والعقل والمنطق. وقد قدم بعض الباحثين الذين درسوا آيات القرآن الكريم تفسيرات منطقية لمفهوم الموت والحياة. وأعرض هنا ما توصلت إليه من فهم وأعتقد أنه على درجة جيدة من الصحة.

4. مفهوم الحياة والموت في القرآن

الموت الجسدي: هو التوقف التام لحياة الشيء وفعاليته دون تدخل الإنسان. كما في قوله تعالى: ﴿*كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ*﴾ ﴿*وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ*﴾ سورة الرحمن 26

الموت المعنوي: الإنسان الذي فقد فعاليته وأصبح عاجزاً عن التفكير والإحساس، ولكنه حي في جسده.

الحياة المادية: تتعلق بصلاحية الشيء وفعاليته.

الحياة الأخلاقية: ترتبط بالنشاط الإنساني ثقافياً وإنتاجياً بشكل جيد وإيجابي.

موت الإنسان : هو خروج نفسه من جسده، ولذلك فإن للميت جنازتان:

أولاً: يخرج الناس ويحملون الجثة إلى المقبرة (المقبرة الترابية) لدفنها في التراب، ثم تتحلل الجثة إلى عناصـــرها الترابية الأولى، من تراب إلى تراب. كما في الآية 55 من سورة طه: ﴿ *مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ*﴾

ثانيا: تحمل الملائكة النفس وتذهب بها إلى مقبرة (مســتودع النفس) وهي محفوظة إلى يوم القيامة. تقول الآية 93 من ســورة الأنعام: "..... *وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِـــطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَـــكُمُ ۖ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ*﴾

يمر الوجود الإنساني بعدة مراحل:

• مرحلة الحياة الدنيا: وهي مرحلة الخلافة والاختبار.

• مرحلة الموت: وهي هلاك الجســد، وخروج النفس من هذه الحياة الدنيا إلى مرحلة الانتظار والسبات.

• الروح (أوامر الله) تتوقف عن العمل.

• مرحلة البعث والحساب: وهي مرحلة عودة النفس إلى أجساد جديدة (لا يعلم شكلها ومادتها إلا الله) لتعود الحياة الواعية النشطة إلى كل نفس ويبدأ الحساب.

• المرحلة الرابعة والأخيرة: هي مرحلة الثواب والعقاب المتمثلة في الجنة أو النار.

قلت: الآن دعوني أستعرض معكم مفهومي لمصطلح الروح والنفس على ضوء ما ورد في القرآن.

مفهوم النفس

النفس عند فلاسفة الإغريق

كان سقراط مقتنعًا أنه بالإضافة إلى أجسادنا المادية ، يمتلك كل شخص نفسا خالدة تعيش بعد موت الجسد. فَهِم أرسطو النفس على أنها مبدأ الحياة في كائن حي. فهي كل ما يجعلك حيا لا ميتا. ويرى أفلاطون أن نفسك تُمَثل حياتك الداخلية فيما يتعلق بتجربتك الخاصة: عقلك وقلبك وإرادتك وخيالك. وتتضمن أيضًا أفكارك ورغباتك وشغفك وأحلامك.

رأي أطباء أعصاب الدماغ

يرى أطباء أعصاب الدماغ أن النفس هي المكان الذي تكمن فيه العاطفة والدافع ، حيث يحدث النشاط العقلي ، وتُدرك الأحاسيس ، وتخزن الذكريات ، ويحدث التفكير واتخاذ القرارات. هناك عضو يؤدي بالفعل هذه الوظائف: الدماغ.

النفس عند فلاسفة الإسلام

القرآن الكريم يفيض بالآيات التي تتحدث عن الروح في خلودها وثوابها وعقابها، كما يفيض بالظواهر التي تتفق مع العلم الروحي الحديث، ومثله الأحاديث النبوية الشريفة المتواترة...

- حاول الفارابي التوفيق بين تعريف كل من أفلاطون وأرسطو للنفس. فهو يقول كأفلاطون أن النفس العاقلة هي جوهر الإنسان عند التحقيق وأنها لا تفنى بفناء البدن، وأن المعرفة الحقة هي سبيل الصعود إلى العالم العلوي...

الخلاصة: النفس هي المعلومات المخزنة في الذاكرة طويلة المدى. فهي أرشيف الحياة للإنسان محفوظا على شكل نبضات كهروكيمائية لحياة الإنسان/ يمثل شخصيته بما يحوي من مشاعره وأحاسيسه وعواطفه وأفعاله طيلة حياته.

مفهوم الروح في القرآن

قال تعالى: {وَيَسْـأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً } (الإسراء 85).

هذا سـؤالٌ صـريحٌ، وجوابٌ كافٍ شـافٍ، ليس فيه نهي عن الخوض في مادَّة السّـؤال، ولا هو سر غيبي لا يمكن أن يعلمه أحد. لاحظ أنه سبحانه أنهى الجواب بقولـه{ وَمَـا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً} إشـارة إلى طلب الاسـتمرار في رحلة التّعلم والدّراسـة؛ لكشـف أمر الرّب في الأشـياء والأحداث .

لاحظ كيف أن النّص أتى بصيغة من أمر الرّب، و(من) دلالتها التبعيض، وبقية أمر الرّب هو الجانب المادّي للأمر الإلهي؛ فيكون المقصـود من السّـؤال{وَيَسْـأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ } سـؤال عن الجانب المخفي، الذي يحكم الأحداث والأشـياء، فكان الجواب {مِنْ أَمْرِ رَبِّي} ، المُرتبط بالوُجُود المادّي، فإذا درسـنا هذا الجانب المادّي نصـل إلى الرّوح الذي يتحكم في حركة المادَّة وبُنيتها، فتكتمل الصّورة للشّيء المدروس، مادَّة وروحاً.

الروح: هي المعرفة والأوامر والتشـريعات التي تحكم حياة الإنسـان. بدأ الأمر بنفخ الروح لآدم بتعليمه الأسـماء. كما قال تعالى في الآية 29 من سورة الحجر: ﴿ *فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ*﴾

ولهذا سـمي الوحي روحاً في قوله: {*وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا*} (الشـورى 52) لأنـه نزَّل العلم والأوامر. وبنـاء على ذلك فإن الجنس البشري يمثل الوجود المادي الموضوعي للإنسان. أما المعرفة والتشريع فيمثلان وعي الإنسـان، ويتم التعبير عنه باللغة، لأن اللغة هي الناقلة للفكر.

والآن دعونا ننظر ماذا يحصل في الحالات التالية:

ماذا يحدث عندما يكون الإنسان حياً ومستيقظاً؟

1. يتلقى الدماغ المعلومات عن طريق الحواس من الفص الجبهي ويحولها إلى إشارات كهروكيميائية.

2. يتم نقل المعلومات إلى الذاكرة طويلة المدى لاستخدامها لاحقًا من خلال التواصل مع الخلايا العصبية لتحليلها، ومن ثم تحديد الفعل والسلوك. ويستمر هذا يومًا بعد يوم طوال الحياة. يتم تسجيل وتخزين المعلومات المتعلقة بالأفعال البشرية لحظة حدوثها.

وهذا ما أشار إليه تعالى:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾ ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ [سورة ق: 16-18]

الْمُتَلَقِّيَانِ رمز لخلايا الدماغ على الجانبين الأيمن والأيسر. وبالتالي فإن الدماغ هو خزان لجميع تصرفات ومشاعر الفرد، وبالتالي يتم تخزين هذا الملف (أرشيف الحياة/النفس) في الخلايا العصبية التي تمثل شخصية هذا الفرد بأكملها. فهذه النفس هي التي تخضع للحساب. وهو جزء من أرشيف الحياة، الذي يسجل أفعال النفس. أما (الروح) فهي المسيطرة على الإنسان تُراجع وتِعرض ما فعلته النفس، وتقارن تلك الأفعال بما لديها من الأوامر الإلهية في الحلال والحرام وفي طاعة الله. ثم تتوصل إلى تقييم النفس هل هي راضية مطمئنة، أم مائلة إلى الشر، أم مضطربة ولوامة.

ماذا يحدث عندما يكون الإنسان حياً نائماً:

يستمر الدماغ داخلياً في العمل على ترتيب المعلومات وتنظيفها من الشوائب. الأحلام والأفكار والتخيلات التي يراها الإنسان أثناء النوم لا تسجل في كتاب الحساب.

الموت والوفاة

إذا جاء وقت الموت حدث ثلاثة أفعال:

- (خروج الروح): تتوقف الأوامر عن العمل لأن الأعضـــاء التي تحمل الأوامر ميتة.

- (موت الجسد) يتحول الجسد إلى جثة توضع في القبر وتتحلل إلى تراب كما بدأت. كما في قوله تعالى: "" *منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى*" طه 55.

- (حال النفس): الملائكة هي التي تأخذ النفس بإذن الله، كما في قوله تعالى في آيات كثيرة: ﴿ *وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا ۙ الْمَلَائِكَةُ يَضْـــرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ*﴾ " الأنفال 50.

تدخلت الدكتورة غادة مرة أخرى قائلة: عذراً، لا أريد أن أقاطع تسلسل أفكارك. ولكن، إذا كانت النفس في الخلايا العصـــبية للدماغ، فكيف تستخرجها الملائكة؟

حسناً. هذا ما كنت سأشرحه.

نحن نعلم أن الملائكة مخلوقات من طاقة نورانية لا نراها، ولا نعرف طبيعتها أو كيفية تواصـــلها مع الإنســـان. ونؤمن بقدرتها على التكيف والتواصـــل مع الإنســـان، كما أخبرنا تعالى في آيات كثيرة عن الوحي للأنبياء، وعندما خاطب الملاك السـيدة مريم، ووحي الملاك لأم موســى بالصبر.

5. كيف تموت نفس الإنسان؟

- تأتي ملائكة الموت لمن انتهى أجله.

- يســتخرج الملاك الخلية العصــبية في الدماغ المخزّن فبها أرشــيف أعمال الإنسان ، ويُعرضها للمحتضر بطريقة لا يعلمها إلا الله.

- إذا شعر المحتضر أن نتيجة أفعاله إيجابية فإنه يشعر بالاطمئنان. كما في قوله تعالى : ﴿*يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي*" سورة الفجر 27-30

- وإذا شعر المحتضر أن نتيجة أفعاله سلبية فإنه يشعر بالضيق والحزن ويحاول مجادلة الملائكة والتماس الأعذار.

ولننظر في قوله تعالى: ﴿*فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ*﴾ سورة محمد 27-28

تُصور لنا هذه الآية حالة نفس الكافر عندما تأخذ الملائكة نفسه، فهو يرى صورة أرشيف حياته (نفسه) فيدرك أن مصيره إلى النار بعد يوم الحساب.

هذه الآيات تُبين لنا أن هناك ثواب وعقاب معنوي للنفس (ليس للجسد في القبر) قبل يوم الحساب. وفي يوم الحساب يتم الثواب أو العقاب الحقيقي الفعلي للإنسان (بهيكليته الجديدة التي تستقبل نفسه التي كانت في حالة الانتظار) بالدخول إلى الجنة أو بالدخول إلى النار.

وهذا يساعدنا على فهم قوله تعالى: ﴿*النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ*﴾ غافر: 46

ذكرنا سابقاً أنه أثناء خروج النفس يدرك الانسان ما في أرشيف حياته المخزن في الخلايا العصبية للدماغ ، وهذا ينطبق على جميع الناس، وقد خصَّ سبحانه آل فرعون بالذكر لكون فرعون طغى في الأرض وادّعى الألوهية.

وفي قوله تعالى: *حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّا ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ۖ وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ* سورة المؤمنون 99-100

هنا نرى كيف أن الكافر يستجدي تأخير أجله لكي يصلح ما قام به من معاصي أثناء حياته. فكان الجواب حاداً : كلا. وفي النهاية أخبرنا سبحانه عن حياة البرزخ.

- تستخرج الملائكة أرشيف الحياة المخزن على شكل نبضات كهروكيميائية في خلايا الدماغ التي تمثل شخصية الإنسان، وتعيده إلى حيث يبقى محفوظاً إلى يوم القيامة والحساب.

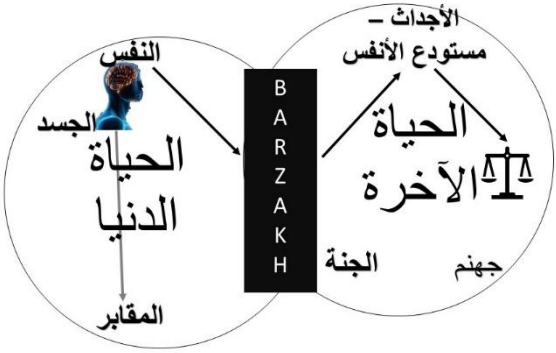

---

6 مفهوم البرزخ:

البرزخ هو الحاجز والحد بين شيئين أو مرحلتين.

لكي نفهم معنى البرزخ ننظر في كيف استعمل القرآن هذا المصطلح. ففي قوله تعالى: *وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا*53 سورة الفرقان، وقوله تعالى: " *مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ*19 *بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ*20 سورة الرحمن.

فمياه النهر العذبة عندما تصب في البحر لا تختلط كلية في مياه البحر المالحة فتفقد عذوبتها، بل بقدرة الله تعالى تتكون منطقة فاصلة بينهما.

هذه المنطقة الفاصلة جانبها من ناحية النهر لايزال فيه اتصال بماء النهر وفيه شيء من العذوبة أقل من الأصل. كما أن جانبها من ناحية البحر فيه شيء من الملوحة بدرجة أقل من ملوحة ماء البحر. فكأنها تُمثل مرحلة الانتقال التدريجي من مرحلة إلى أخرى مع بقاء الشيء متصلا بكلا المرحلتين.

وإذا نظرنا في قوله تعالى *وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ* نفهم أن حياة النفس في البرزخ هي الحالة الفاصلة بين حياة الإنسان قي الدنيا وبين حياته الثانية يوم القيامة والحساب. وبنفس مفهوم البرزخ بين البحرين، فإن النفس عندما غادرت الجسد تبقى متصلة جزئياً بالعالم الدنيوي ومتصلة بما سيحصل لها حسب كتاب أرشيفها الذي سيعرض عليها بعد يوم القيامة.

فالنفس بعد الوفاة تبقى حية وتبقى متصلة بعالمها في الحياة الدنيا. ودرجة تواصلها تختلف من نفس لأخرى حسب ما قدمت من أعمال صالحة. فالنفس الصالحة يكون تواصلها أكثر قوة.

ومن هذا المفهوم ندرك معنى الآية: {ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون} (آل عمران:169) *فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ170*

هؤلاء ماتت أجسامهم ولكن أنفسهم لا زالت حية وقوية الاتصال بعالمها السابق نتيجة للتضحية التي قدَّمتها أثناء حياتها.

7. **يوم القيامة والحساب**:

وفي ذلك اليوم يأمر الله عز وجل بتوقيف فاعلية القوانين المتحكمة في الكون. وبالتالي لا يوجد قانون للجاذبية، ولا قانون يتحكم في النظام الشمسي، ولا قوانين تتحكم في البشر. الكون يصبح في حالة من الفوضى. الشمس، النجوم سوف تتحطم، الأرض سوف تنشق، الجبال ستختفي.

سيخلق الله خلقاً جديداً كما بدأ الخليقة الأولى. ولكنها ستكون من مواد مختلفة كما في الآية 48 من سورة إبراهيم

﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ ۖ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾

في يوم القيامة يأمر سبحانه وتعالى بإنشاء الجنة والنار. وسيتم إنشاء شكل جديد من البشر حيث لن تتحلل الأجساد أو تموت. سيتم تثبيت نفس كل إنسان المحفوظة في مستودع الانتظار، في كل جسد جديد خاص به. وهكذا سيكون لكل فرد سجل أعماله المتاح له. وسيكون الحكم وفق هذا السجل الذي يحدد الوجهة إما إلى الجنة أو إلى النار.

قال الدكتور مازن: أستطيع أن أرى كيف تستخدم العلم لتفسير بعض آيات القرآن. انها مثيرة للاهتمام حقا. وأعتقد أن المزيد من الاكتشافات العلمية في المستقبل سوف تنيرنا أكثر. لقد اتفقنا جميعا على أن هذا هو أفضل ما يمكن أن يفعله العقل البشري، ولكن الحقيقة المطلقة هي عند الله الذي خلق كل شيء وهو القادر على إعادة خلقه مرة أخرى.

بالفعل يا دكتور مازن أجبت. شاركت معكم جزءًا ألهمني للتعمق أكثر. والجزء الآخر الذي أثار فضولي هو ادعاؤنا بأن الإسلام هو أسلوب حياة يؤثر على جميع أنشطتنا اليومية. إذا كان هذا تأكيدًا حقيقيًا، فما الذي يكمن في القرآن ليزودنا بالإطار للقيام بذلك. أود أن أترك معكم جميعاً البنية الاجتماعية كما هي مبينة في مبادئ القرآن. أعتقد أنه يمكننا بالفعل تقديم تفاصيل ليتم دمجها في المؤسسات التي صنعها الإنسان والتي لا تمثل توجيهًا مباشرًا من الإله فحسب، ولكنها موجودة بشكل فطري في نظام الحياة لدينا.

وقبل أن أخوض في التفاصيل حول الإطار والبنية الفعليين، أقدم ملخصًا رئيسيًا للميزات البارزة في القرآن. كما أنني أشارك الأخلاق والقيم الإنسانية المبنية على القيم القرآنية. يوفر هذان العنصران حجر الزاوية لكيفية تطبيق مبادئنا وقيمنا في حياتنا اليومية.

الفصل الحادي عشر

مميزات القرآن الكريم

الإسلام دين شامل لكل شؤون الحياة، والقرآن كتاب جامع لكل شؤون الحياة، كما قال ربنا: "*وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ*﴾ (النحل: 89).

يمكن تصنيف المواضيع التي تناولها القرآن إلى خمسة مواضيع رئيسية:

(أ) الإيمان: وتشمل الإيمان بإله واحد، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر.

(ب) التاريخ: الدروس المستفادة من قصص الأنبياء والأمم السابقة

(ج) الأخلاق: وتشمل الصدق والعفة والصبر والمواساة، الخ. وهناك نوعان من الأخلاق: أخلاق أُمِر بها - وهي الأخلاق الفاضلة والحسنة - وأخلاق نُهِي عنها وهي أخلاق سيئة ومذمومة.

(د) العبادة: العبادة قسم كبير يمثل أسس أصول الوجوب، مثل: الصلاة، والزكاة، والحج، وقراءة القرآن، والذكر، والطواف وباقي الأوامر الإلهية.

(هـ) المعاملات، ويشمل أنواع المعاملات التي تتم بين الناس، مثل: البيع، والشراء، والرهن، والهبة، والميراث، والزواج، والطلاق، والحرب، والسلم، والمهادنة، والصلح، وغيرها من شؤون الحياة الدنيا.

خصائص القرآن

1. الطريقة الوحيدة لفهم النص في القرآن هي من خلال التحليل العقلاني. ونقصد بالتحليل العقلاني دراسة النص الذي تتوافق نتائجه مع الواقع الموضوعي من حولنا. فما نراه من أرض وسماء وشمس وبحار وغيرها من الموجودات تمثل كلمات الله ، وقد كانت هيأتها في عِلمه ثم اصبحت حقيقة وواقعاً بقدرته وأمره سبحانه كما ورد في النص: ﴿*إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ*

شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾.سورة يس. وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ .سورة غافر 68.

والقرآن كان في عِلم الله وعندما أنزله إلى النبي محمد (ص) أصبح حقيقة وواقعا يمثل كلام الله. كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: 6] وقوله:

﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾[النساء: 87]

فالوجود الموضوعي (كلمات الله) حق، والقرآن (كلمات/حديث الله) حق، فلا بد أن يتوافق القرآن مع الوجود الموضوعي. فأي تفسير يخالف الواقع فهو غير معقول، ويخل بمقصد الوحي الذي أنزله الله ليفهم الناس.

2. إن حقيقة النص لا تكمن في جماله الفني أو البلاغي فقط، بل في جوهر وصدق محتواه.

3. يُمثِّل القرآن مستوىً جديدا من التطور اللغوي باعتماده اللسان العربي. وقد استخدم مصطلحات لم يعرفها العرب الجاهليون من قبل. يحتوي على مفردات ذات أصول غير عربية ولكن بأصوات ولسان عربي لم يستخدمها الشعر.

4. يؤكد القرآن على التطابق التام بين محتواه وحقيقة وجودنا، بما في ذلك قوانين الطبيعة والكون وكذلك الفطرة البشرية. إن الوحي الإلهي، بحكم تعريفه، دائمًا ما يكون ذا أهمية قصوى بالنسبة للبشر ولا يمكن أن يفقد أهميته أبدًا، بغض النظر عن الظروف التي يُنظر إليه فيها. القرآن مؤلف بِدقَّة فائقة؛ لا يوجد مقطع أو حرف فيه زائدة عن الحاجة أو غير ذات أهمية.

5. تتجلى جودته في ثبات النص أبديا، من حيث شـــكله اللغوي والمرئي والصـوتي لن يتغير أبدا. ولا يستطيع أحد أن يفهم المعنى الحقيقي المطلق لبعض آيات القرآن، لأن هذا يعني الشراكة مع الله في كيانه المكتفي بذاته. وبدلاً من ذلك، فإننا نتعرف تدريجياً على محتواه من خلال النمو التدريجي والتوســـع في معرفتنـا. نحن نؤمن بـأن نص القرآن ثـابـت، لكن المعنى يتحرك ويُظهِر مرونة الحياة اليومية التي تتغير باستمرار.

6. القرآن هدى للبشرية جمعاء ونعمة للعالمين. فهو ذو طابع عالمي وليس مجرد تعبير عن الفكر العربي. ومعيار الأصـالة ينطبق على العالم أجمع، وليس على بعض المجتمعات العربية فقط. ويجب أن يحمل هذا المعيار على مدى الزمان والتاريخ، وليس على فترة النبوة وزمن الصـــحابة فقط. وبالإضافة إلى ذلك، فإن القرآن له صفتان أخريان:

أ. فهم القرآن لا يتعارض مع العقل.

ب. نصوصه لا تتناقض مع الواقع.

7. أساس حياة الإنسان هو الحرية. فالحرية هي المثل الأعلى للبشرية. إن مفهوم الدين يقوم على الإيمان بأن عبادة الله اساسها الحرية التي يتمتع بها الإنسـان. إنه شكل من أشكال الوجود أو (كلمات الله) التي كانت في عِلمه حتى قبل أن يُخلق هذا العالم. وكان الغرض من خلق الله هو اسـتمرار هذا الشكل من الوجود وتحرير خلقه.

8. يجب تنفيذ أحكام القرآن ضـــمن الحدود التي وضـــعها الله (حدود الله)؛ كما جاء في الآيتين 13 و14 من سـورة النسـاء: "*تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (13) وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُـــولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ*"

9. كل أمر تشريعي، سواء نزل سابقًا أو لاحقًا، يُمثِّل نصّا بنفس القدر من الثبات والأهمية . فليس هناك نسخ بين آيات القرآن. لقد ولدت فِكرة النسخ

من مبررات واهية للإلغاء تعكس الأيديولوجيات والمصالح السياسية الخاصة للفترات التاريخية التي طالب فيها الحكام السياسيون بالتخلص من بعض الآيات التي تتحدى أخلاقهم غير الإسلامية ووجهات نظرهم العالمية .

10. معيار الاجتهاد الشرعي هو مدى توافق نتيجته مع الواقع الاجتماعي. ويكون الاجتهاد صحيحا ومقبولا إذا جعل النص المقدس منسجما مع الواقع الموضوعي. ولأن الواقع الموضوعي يتغير باستمرار، فإن نتيجة اجتهاداتنا سوف تتغير باستمرار أيضًا.

11. إن الإجماع على الشريعة، يتم تنفيذه بشكل جماعي من قبل الأحياء، وليس من قبل الفقهاء الأموات. ويمكن للمرء أن يجادل في الأوامر العامة، مثل الحلال والحرام، ولكن لا ينبغي للمرء أن يمس المحرمات المطلقة.

12. إن إجراء القياس، المتمثل في إجراء قياسات بين حالتين قانونيتين أو أكثر، يجب أن يتم على أساس الأدلة التجريبية والبرهان العلمي المقدم من علماء الاجتماع والاقتصاديين وعلماء الرياضيات وعلماء الطبيعة.

13. أسس النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) دولة مركزية في شبه الجزيرة العربية، والتي كانت في ذلك الوقت، وعلى مستوى الجزيرة العربية القديمة، نقلة نوعية هائلة. وفي هذا الدور، كان محمد (صلى الله عليه وسلم) قائدًا عمليًا حقًا وحاملًا مقنعًا للغاية لرسالة عالمية جديدة. نحن لا نعقد مقارنة بين القرارات التي نواجهها في عالمنا المعاصر وبين القرارات التي اتخذت في القرن السابع. والاجتهاد اليوم ينبغي أن يجعل أحكام القرآن متوافقة مع الواقع الموضوعي الذي نواجهه اليوم، وبما يتوافق مع النماذج المعرفية التي نمتلكها الآن.

14. سنة الرسول تتكون من أفعال محمد (ص) التي كانت، وما زالت، خلال حياته وبعد وفاته مباشرة، تعتبر جديرة بالتقليد. وهذه هي الفرائض التي يتميز بها أتباع محمد (ص) عن سائر الجماعات التابعة لسائر

الرسل. إن شكل هذه الالتزامات الطقسية (على سبيل المثال، فعل الصلاة في حد ذاته) ثابت مرة واحدة وإلى الأبد، ولكن محتواها يتغير (على سبيل المثال، كيفية الصلاة بالضبط عند المرض). وينتقل محتوى الطقوس من جيل إلى جيل من خلال الأداء الفعلي، وليس من خلال الروايات الشفوية.

15. يجب أن نفرق بين الشريعة الإسلامية والفقه الإسلامي. تحتوي الشريعة الإسلامية على تلك الآيات الشرعية من القرآن، في حين يمثل الفقه الإسلامي الطبيعة العرضية للتفاعل البشري مع التشريع الإلهي وفهمه في زمان ومكان محددين في تاريخ البشرية. وبما أن الشريعة الإسلامية إلهية المصدر، فإن الفقه الإسلامي إنساني المصدر.

16. لقد تبين أن معاملة الفقهاء العشوائية للجهاد والقتال غير كافية. هناك عدد كبير من الأنشطة التي تندرج تحت مفهوم الجهاد، على سبيل المثال طلب العلم، وتوفير الرزق، والنضال السلمي من أجل الحرية والعدالة والمساواة.

17. القتال هو أحد أنواع الجهاد، أي نوع من القتال يتضمن العنف وينطوي على قدر كبير من القوة. إنه الملاذ الأخير في أي نوع من المواجهة بين الجانبين، ويتم تجربته أو تنفيذه عندما يفشل كل شيء آخر.

18. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أقوى أعمال الجهاد في سبيل الله. إذا تم تنفيذ هذا النشاط بالروح الصحيحة للقرآن (أي بدون استخدام القوة والعنف)، فإنه يساعد على نشر السلام والرخاء والسعادة في الأمة.

19. تم استخدام مفهوم "الولاء" كأداة مناسبة لإسكات المعارضة السياسية.

الفصل الثاني عشر:

الأخلاق والقيم الإنسانية في القرآن

هناك آيات كثيرة في القرآن الكريم والعديد من الروايات المنسوبة إلى عهد النبي صلى الله عليه وسلم تصف القيم المتأصلة في العقيدة الإسلامية. ويشار إلى هذه القيم أحيانًا باسم الفرقان، والصراط المستقيم، والوصايا العشر. وسأذكر هنا بعض آيات القرآن والروايات مصنفة حسب الموضوع. فهي تشرح نفسها بنفسها. وتشمل هذه القيم ما يلي:

القيم الإنسانية كما نزلت في الآيات 151-153 من سورة الأنعام: تنطبق على كل إنسان. والحقيقة أن معظم التشريعات في الدول المتحضرة تنفذها. لا يوجد دستور أو قانون اليوم يتعارض مع أوامر: لا خالق إلا واحد، وبر الوالدين، ولا تقتلوا أولادكم من الفقر، ولا تقربوا الفواحش، ولا تقتلوا النفس التي أنعم الله بها، ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده، وأوفوا الكيل والميزان بالقسط، وإذا شهدتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى، وأوفوا بالعقود والالتزامات تجاه الله والناس، ولا تنسب إلى الله ما لم يأمر به بشكل واضح.

العلاقات بين الوالدين والأبناء كما ظهرت في العديد من الآيات مثل: الأحقاف 15، لقمان 14، 15، 17، 18:

آداب التواصل بين الناس: هناك الكثير من الآيات التي ترشدنا في هذا المجال، وهي واضحة بحد ذاتها لا تحتاج إلى تفسير مثل ما ورد في سورة الحجرات::

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾

﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: 29]

وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً [الإسراء: 26-27].

" وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً [الفرقان:67].

﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا " (الإنسان: 8]

﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [سورة فصلت: 34]

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً فَاكْتُبُوهُ " [البقرة:282].

كما أن هناك روايات كثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم تدعو إلى حسن الخلق:

- «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك».

- «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه».

- "لن يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه".

- "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره."

- "اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن".

- « إذا لم تستحي فاصنع ما شئت».

- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما زال جبريل يوصيني بجاري حتى ظننت أنه سيورثه).

الجزء الثاني

رحلة مع البنية الاجتماعية العربية والإسلامية

الفصل الأول

مؤسسات المجتمع العربي قبل الإسلام

اليوم، تمت دعوتي من قبل صديق قديم، مدير المدرسة الثانوية الأمريكية في عمان. كنا نتذكر حياتنا في المدرسة الثانوية. كنت أشتكي من تدهور مستوى التعليم عما كان عليه في عصرنا في الستينات. وكان الموضوع عن معرفة التاريخ. أتذكَّر عندما كان لدينا كتاب "تاريخ العرب والمسلمين" للدكتور محمد علي. كنت مهتماً جداً بالتاريخ بشكل عام وبالتاريخ العربي الإسلامي بشكل خاص. أصبحت مواد التاريخ التي تدرس في العالم العربي اليوم ضحلة في محتواها، وتقتصر على بعض الأحداث المحلية لكل بلد. كنا في أيامنا الثانوية ندرس التاريخ بغرض التعلم من تجارب الأمم المختلفة، وليس فقط لحفظ الأحداث والتواريخ. وفي التاريخ العالمي كنا ملمين بتاريخ أوروبا، وإفريقيا، والثورة الفرنسية، والثورة الأمريكية، بالإضافة إلى التاريخ العربي الإسلامي. قلت: إذا ذكرت أي مصطلحات مثل حصار الباستيل، أو حرب الوردتين، أو نهرو لأي طالب في المدرسة الثانوية اليوم، فسوف يتساءل عما تقصد.

قال المدير لماذا لا تعطي محاضرة عن التاريخ العربي والإسلامي غدا خلال فترة حصة التاريخ. قلت: سيكون من دواعي سروري. وسأركز على تطور المجتمع في فترة ما قبل الإسلام حتى الخلفاء الأربعة.

وفيما يلي المادة التي قمت بإعدادها:

1. المجتمع المدني في مكة

كانت العديد من الخدمات العامة تحكمها هياكل مدنية تسمى "القبائل". وكان النظام الإداري الذي يتم من خلاله التنسيق بين هذه القبائل أشبه بمؤسسة مجتمع مدني وليس حكومة قانونية. كان شعب قريش يتألف من عدد من القبائل المعروفة.

كانت القبيلة أكثر من مجرد عائلة ممتدة، لأنه كان من الممكن أن يتم قبول شـخص ما في القبيلة أو منعه منها. لقد كان أشـبه بمنظمة مدنية لا تعتمد بشكل كامل، ولكن بشكل أساسي على علاقة الدم والنَسَب.

يتم تنفيذ جميع الخدمات العامة من قبل القبائل التي تفتخر بالقيام بمثل هذه المهمات. اعتادت القبائل على اكتسـاب الهيبة من خلال تقديم الخدمات العامة. وكانت قبائل قريش في منافسـة سـياسـية واقتصـادية مع بعضـها البعض. اكتسبت تلك التي تضـم عددًا أكبر من الأعضـاء، أو لديها شـبكة تجارية أكبر، أو لديها سـجل جيد في الخدمات العامة، سـمعة واسـعة الانتشار، مما فتح لها فُرَصًا جديدة لشراكات سياسية وتجارية أكبر.

كـان المركز المـدني لمكـة هو المبنى المسـمى "دار النـدوة". جميع الاجتماعات المهمة عقدت هناك. تم اتخاذ القرارات العامة بشـأن الأنشطة التجارية وتنظيم الحج من خلال الاقتراع التداولي.

الشؤون الخارجية

كانت هناك قوتان عظميان في العالم في زمن محمد (ص). إحداهما كانت الإمبراطورية الرومانية والأخرى الإمبراطورية السـاسـانية. وكانت شـبه الجزيرة العربية في الغالب منطقة صراع سياسي بين هاتين القوتين نظرا لموقعها. كانت شـؤون مكة الخارجية تعتمد بشـكل أسـاسـي على معاهدة تجارية تسـمى "الإيلاف". والكلمة تعني "التعارف" وقد بدأها لأول مرة الجد الأكبر لمحمد هاشـم بن عبد مناف. وكان أهل قريش يخرجون في العام رحلتين تجاريتين كبيرتين. تم تنظيم إحداهما إلى سوريا في الصيف والأخرى إلى اليمن في الشتاء.

تسوية المنازعات

لم يكن في مكة محاكم شرعية أو قضاة أو مؤسسة لتنفيذ الأحكام القضائية. كان التحكيم هو الأسلوب التقليدي الشائع لحل النزاعات.

التحكيم هو عملية يتم فيها تقديم النزاع، باتفاق جميع المتأثرين بالنزاع، إلى فرد أو أكثر يتمتعون بسلطة أخلاقية ويكون قرارهم ملزمًا. في هذه الحالة، كانت السلطة الأخلاقية بيد زعيم القبيلة اعتمادًا على مستوى الصراع.

الإيرادات العامة : كانت الإيرادات العامة لقريش تتكون من مساهمة سنوية تسمى "الرفادة"، ومن بعض الضرائب التجارية المفروضة على التجار الأجانب على أساس المعاملة بالمثل.

وبما أن مكة لم تكن دولة، لم يكن هناك إنفاق حكومي، فيتم تمويل جميع الخدمات العامة من قبل الأفراد المسؤولين.

الجيش

لم يكن في مكة جيش، إذ لم تكن هناك دولة. ومع ذلك، كان هناك بعض الأشخاص الذين يتحملون مسؤولية القيادة في حالات الطوارئ. لقد كان التزامًا أخلاقيًا وضرورة للبقاء قبول دعوة هؤلاء الرجال في هذه الأوقات. وكان من الممكن أيضًا مساعدة الجيش ماليًا عن طريق إرسال المرتزقة بدلاً من الانضمام شخصيًا. اعتادت النساء على تولي مسؤولية خدمات الدعم أو تقديم الدعم المالي بدلاً من ذلك.

الشؤون الدينية

كانت الشؤون الدينية ذات أهمية خاصة لأن مكة كانت تستضيف حرمًا استثنائيًا، وهو الكعبة. كانت رفاهية قريش تعتمد بشكل أساسي على السياحة الدينية. لذا فإن صيانة الكعبة وتنظيم محيطها، كان واجباً ذا أهمية عالية ومكانة كبيرة. ويعتقد المسلمون أن إبراهيم إسماعيل هما من قاما ببناء الكعبة. كانت لقبيلة قريش تتمتع بمكانة كبيرة في المنطقة لأنها أعادت بناء الكعبة قبل الإسلام.

وكانت هناك مجموعة أخرى من الأعمال الدينية والممارسات الخرافية مثل القمار الخيري والعرافة. وكان القمار الخيري يسمى الميسر. وعادة ما تكون مادة الرهان واحد أو أكثر من الحيوانات من الإبل والماشية. وكان على الخاسر أن يضحي بالحيوانات الموجودة في الرهان وترك لحومها للفقراء. وكان للكهنة (العرّافين)أيضًا ممارسة شائعة جدًا في حياة الناس ُيطلِقون عليها "أزلام" (السهام)، وحتى أهم القرارات العامة مثل الدخول في حرب مع قبيلة ما، لا يمكن اتخاذها دون استشارة العرافين. ويشير القرآن إلى هذه الممارسات من الميسر والأزلام في العديد من الآيات.

التكافل الاجتماعي

وفقًا للقانون العرفي في مكة، كانت عقوبة جريمة القتل بالقصاص أو الدِيّة اعتمادًا على اختيار الطرف المتضرر. وكانت عقوبة القتل غير العمد هي الدية. وكان مقدار الدية 100 من الإبل أو ما يعادل 4000 درهم. ونظرًا لأنه كان التزامًا ثقيلًا في مثل هذا المجتمع، فقد كان يتم الاضطلاع بهذا الالتزام عادةً من قبل القبيلة بأكملها. ووفقاً لتقاليد مكة، فإن مثل هذه الجريمة تؤدي إلى الحاق سمعة سيئة بالمجرم وقبيلته أيضاً.

وبسبب غياب وسيلو قانونية لانتخاب ممثلين عن فئات المجتمع، كان على النخب العربية تمكين مهاراتهم الخطابية من أجل إقناع الناس بأفكارهم. وهذا ما أدى إلى ظهور فنون الخطابة والشعر في مكة. وكانت هناك معارض مشهورة في جميع أنحاء شبه الجزيرة العربية. وإلى جانب النشاط التجاري الضخم الذي يدور حولها، كانت المعارض أيضًا أماكن للشعراء والسحرة وفناني الشوارع لإظهار قدراتهم في مختلف المسابقات. وسمحت المسابقات التي نظمها بعض الأشخاص للآخرين بالمراهنة أو التسابق للفوز بالجوائز.

نزول الوحي على النبي محمد (ص)

خلال السنوات الثلاث الأولى من نبوته، كان محمد (صلى الله عليه وسلم) يبشر بالإسلام بشكل خاص، وخاصة بين أقربائه ومعارفه المقربين. ووفقاً للأدب الإسلامي، فإن خديجة زوجة محمد كانت أول من آمن بأنه نبي. وتبعها ابن عم محمد البالغ من العمر عشر سنوات علي بن أبي طالب، والصديق المقرب أبو بكر، وابنه بالرعاية زيد. وفقًا للعقيدة الإسلامية، في السنة الرابعة من نبوة محمد، حوالي عام 613، أمره الله بنشر هذا الدين التوحيدي. تميزت تعاليم محمد الأولى بإصراره على وحدانية الله، وإدانة الشرك، والإيمان باليوم الآخر والثواب والعقاب، والعدالة الاجتماعية والاقتصادية.

المعارضة في مكة

بدأت المعارضة في مكة عندما بدأ محمد (ص) بالوعظ العلني. فمع انتشار الإسلام، هدد محمد القبائل المحلية وحكام مكة لأن ثرواتهم تعتمد على الكعبة. كان وعظ محمد مُهينًا بشكل خاص لقبيلته من قريش لأنهم كانوا يحرسون الكعبة ويستمدون قوَّتهم السياسية والدينية من زوارها المشركين.

نظرت القبائل الحاكمة في مكة إلى محمد باعتباره خطرًا قد يسبب توترات مشابهة للتنافس بين اليهود والعرب في يثرب. لقد حاول التجار الأقوياء في مكة إقناع محمد بالتخلي عن دعوته لكن محمد رفض كل العروض.

في البداية، اقتصرت المعارضة على السخرية ، لكنها تحولت فيما بعد إلى اضطهاد أجبر قسمًا من المتحولين الجدد على الهجرة إلى الحبشة المجاورة (إثيوبيا حاليًا). منزعجة من معدل اكتساب محمد لأتباع جدد، اقترحت قريش على النبي (ص) اعتماد شكل مشترك للعبادة، وهو ما استنكره القرآن ورفضه النبي.

كان محمد نفسه محميًا من الأذى الجسدي كونه ينتمي إلى عشيرة بني هاشم، لكن أتباعه لم يحالفهم مثل هذا الحظ.

وفاة خديجة وأبي طالب عام 619 م

توفيت زوجة محمد خديجة وعمه أبو طالب في عام 619 م، وهو العام الذي أصبح يعرف باسم "عام الحُزن". وبوفاة أبي طالب، تولى أبو لهب قيادة بني هاشم. وبعد فترة وجيزة، سحب أبو لهب حماية العشيرة عن محمد، مما عرضه وأتباعه للخطر. فبدأ النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) يبحث عن موطن جديد له ولأتباعه.

2. المجتمع المدني في يثرب

على الرغم من أن المدينة المنورة لم تتمتع بأي تميز كبير حتى ظهور الإسلام، إلا أنها احتلت دائمًا مكانة مهمة في التجارة والزراعة بسبب موقعها في منطقة الحجاز الخصبة.

تختلف خصائص أهل يثرب (المدينة المنورة) عن أهل مكة اجتماعيًا واقتصاديًا وسياسيًا ودينيًا. سكان المدينة المنورة هم اجتماعيا مجموعتان من الناس (المهاجرين) من أصول وتقاليد مختلفة. المجموعة الأولى من القادمين من الشمال كانوا اليهود. وفي المقابل فإن المجموعة الثانية من أبناء الجنوب هم أبناء القبائل العربية. هناك قبيلتان عربيتان كبيرتان في المدينة المنورة، الأوس والخزرج. كلتا المجموعتين في المدينة المنورة، القبائل اليهودية والعربية، كانتا دائمًا معاديتين لبعضهما البعض. ومع ذلك، فإن القبائل العربية، وخاصة الأوس والخزرج، انخرطت أيضًا في صراع مستمر. وسيطر اليهود بشكل عام على الأراضي الخصبة.

المدينة المنورة مجتمع تعددي متعدد الأعراق والمُعتقدات الدينية. ومثل المدن الأخرى في شبه الجزيرة العربية، لم يكن لأهل المدينة المنورة حاكم واحد يمكنه ضمان السلام المشترك. وكان الموقف اليهودي في المدينة المنورة يعتبر العرب عدوا، لكن في الوقت نفسه كان الدور

اليهودي يتوسط أحيانا في الصراع بين القبائل العربية الأوس والخزرج. وهيمنت الطائفة اليهودية على الحياة الاقتصادية بالمدينة المنورة، وخاصة في مجال الزراعة.

إن الواقع الاجتماعي للمدينة المنورة، بما فيه من صراعات سياسية، أفاد بشكل كبير موقف النبي محمد في القيام بدور في عملية المصالحة بين أهل يثرب. كان الصراع الذي طال أمده في يثرب حافزًا لبعض أهل مدينة يثرب للاهتمام بالمعلومات حول موقف النبي محمد الذي بنى مجتمعًا دينيًا جديدًا في مكة، كما أن أهل يثرب يعرفون جيدًا شخصية وأمانة محمد. ولذلك عندما وصلتهم أنباء دعوته، بادر بعض سكان يثرب التفكير بلقاء النبي محمد والاستماع إلى ما يدعو إليه.

في نفس الوقت، وبسبب ازدياد مشركي قريش في اضطهاد وتعذيب المسلمين، كان النبي يستعد للهجرة بالبحث عن قبيلة مناسبة ترحب به وبالمسلمين. وبعد عدة محاولات فاشلة، التقى بستة شباب من قبيلة الخزرج مستعدين لقبوله وقبول رسالته. كانت دوافعهم تعود لعدة أسباب:

1- علموا من اليهود في المدينة المنورة أن هذا زمن خاتم الأنبياء.

2- استنزفتهم الحرب التي دارت بين قبيلتهم وقبيلة الأوس، فأصبحوا مستعدين لقبول التغيير.

3 - وفاة بعض زعماء القبيلتين العنيدين، أفسحت المجال لجيل جديد منفتح يرحب بوجهة نظر جديدة.

كان ذلك في السنة العاشرة بعد الوحي عندما التقى الشباب بالنبي، وشرح لهم مبادئ دعوته وأعلنوا اسلامهم وأخبروه أنهم سيذهبون إلى المدينة على أن يعودوا في العام المقبل ومعهم ممثلون عن الأوس، بعد أن يبلغوهم هذه الرسالة.

بيعة العقبة الأولى.

كان ذلك في السنة الحادية عشرة من نزول الوحي، عندما قدم وفد من المدينة المنورة مكون من اثني عشر رجلاً إلى مكة، وبايعهم النبي، البيعة المعروفة ببيعة العقبة الأولى: وكانت البيعة:

- ألا يعبدوا إلا الله وحده، ولا يُمارسوا الزنى، ولا يسرقوا مال أحد،

- أن لا يقتلوا أولادهم أبداً، وأن لا يتهموا أحداً زوراً، وأن يطيعوا في الخير دائماً.

أرسل معهم النبي مصعب بن عمير ليكون أول سفير في الإسلام يمثل النبي ليعلمهم مبادئ الإسلام.

بيعة العقبة الثانية

وفي السنة الثانية عشرة من نزول الوحي، عاد مصعب بن عمير إلى مكة في وفد من 75 شخصًا يمثلون مسلمي المدينة المنورة. وقد حاول النبي استغلال ذلك الموسم على الرغم من أنه وقت عبادة الكفار. وهكذا حولها إلى فرصة. أراد النبي أن يلتقي بتلك المجموعة الشجاعة من الناس الذين آمنوا به دون رؤيته، والذين كانوا يخاطرون بكل شيء من أجل مقابلته. وفي الاجتماع طلب منهم التعهد بخمس قضايا رئيسية:

- طاعته الكاملة، وإنفاق المال في السراء والضراء، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، - والدفاع عن الإسلام ، وحمايته إذا جاءهم كما يحمون نساءهم وأطفالهم.

فكان جوابهم: وماذا لنا في المقابل إذا وَعدناك بذلك؟ فنظر إليهم النبي وقال كلمة واحدة: "الجنة!".

بحلول ذلك الوقت كان كل شيء واضحًا، وأدرك المندوبون تمامًا ما كانوا مقبلين عليه. فجاهدوا للوصـول إلى يد النبي قائلين: «إنها صـفقة ناجحة، [لأن الجنة تستحق ذلك] صفقة ناجحة! لن ننسحب مهما كان الأمر".

وطلب منهم النبي أن يرشـــحوا منهم اثني عشـــر زعيما لإدارة المدينة. وعليه، فقد بدأ النبي يحكم المدينة بطريقة ديمقراطية حتى قبل أن يذهب إلى هناك فعلياً، وذلك من خلال إجراء الانتخابات فعلياً.

الهجرة إلى المدينة المنورة

وعلى الرغم من أنه هو نفســـه كان في خطر كبير، إلا أن النبي لم يهاجر حتى تأكد من هجرة جميع المسـلمين آمنين. في عام 622 م، غادر محمد وحوالي 70 من المهـاجرين المكيين مكـة إلى ملاذ آمن في يثرب، وهو الحدث الذي غيّر المشـهد الديني والسـياسـي للمدينة بالكامل، فتضـاءلت العداوة الطويلة الأمد بين قبائل الأوس والخزرج مع اعتناق العديد من أفراد القبيلة وبعض اليهود المحليين الإسلام.

كان تكوين ســـكان المدينة المنورة في ذلك الوقت يتكون من مجموعتين كبيرتين من القبائل العربية المحلية، الأوس والخزرج، مع ثماني عشـــائر و33 مجموعة أصـــغر أخرى تابعة لهم. وفي الوقت نفســـه، كانت القبائل اليهودية تتألف على الأقل من حوالي 20 مجموعة، من بينها قبائل قينقاع والنذير وقريظة الأكثر شهرة.

3. ميثاق/دستور المدينة المنورة

بعد الهجرة إلى المدينة المنورة، صاغ محمد (ص) الدستور، "وأسس نوعًا من التحالف أو الاتحاد" بين قبائل المدينة الثماني الكبرى والمهاجرين المسلمين من مكة؛ وقام بتحديد حقوق وواجبات جميع المواطنين بما في ذلك اليهود وغيرهم من "أهل الكتاب".

والحقيقة التي أقرها الباحثون أنه لا يستطيع أحد أن يراجع هذه الوثيقة دون أن يتأثر بالعبقرية السياسية التي يتمتع بها كاتبها. فهي عهد من عقل حكيم وفتح جديد. لم يهاجم النبي استقلال القبائل القائمة علنًا، لكنه ضربه في الواقع بنقل مركز السلطة من زعماء القبائل إلى أيدي الناس من خلال إدخال مفهوم الانتخابات.

ومن أهم ملامح دستور المدينة ما يلي:

1. إنهاء مرحلة القبلية وبدء مرحلة الأمة والدولة.

2. التكافل الاجتماعي بين فصائل الدولة: فذكر المهاجرين، وبني عوف، وبني ساعدة، وبني جشم، وأوس، يتفاعلون فيما بينهم "يدفعون الدية"، وكل فئة تفدي صابيها بالإحسان، "" أي تطلق رقابها وتؤدي فداءهم "" والقسط بين المؤمنين "" أي العدل بينهم"."

3. حماية الأقليات غير المسلمة: نصت الوثيقة على أنه "ومن تبعنا من اليهود فهو له الحماية. وأن الدولة يجب أن تدعمهم وتدافع عنهم ضد من يعتدي عليهم ظلما من داخل الدولة أو من خارجها.

4. الضمان الاجتماعي وكفالة الدِّية: يضمن دستور الدولة الدية لأسرة المتوفى. أبطل هذا عادة الانتقام بين قبائل العرب التي كانت تمزقهم قبل الإسلام. وألزم الدستور الجديد جميع المسلمين بالوقوف ضد المعتدي الظالم حتى يحكم عليه القاضي وفق الشريعة. كل ذلك أدى إلى استتباب الأمن والاستقرار في المجتمع أمنياً واقتصادياً.

5. المرجعية القانونية للدولة هي الشـــريعة الإســـلامية: وجاء في نص الوثيقة أن المرجعية في أي نزاع أو خلاف بينهما هي الشريعة الإسلامية. وهو قانون حي مرن متكامل لا يعرف محاباة لأحد لأنه من الله وحده.

6. دعم الدولة في حالة العدوان الخارجي: جاء في دســـتور المدينة أن المدينة وطن للجميع وعليهم جميعا أن يتحملوا الأعباء المالية للدفاع عنها، بما في ذلك اليهود، إذا وقع عليها عدوان خارجي.

7. الاســتقلال المالي لكل طائفة: جاء في دســتور المدينة أن "على اليهود أن يعولوا أنفســهم وعلى المســلمين أن يعولوا أنفســهم". وبذلك ترســيخ الملكية الفردية والحرية الاقتصـادية التي جاء بها الإسـلام، وشـروطها أن تكون حلالا وتؤتى زكاتها.

8. العلاقة بين المسلمين واليهود: النصيحة والبر والتعاون والخير هي

أساس العلاقة بين طوائف الدولة الجديدة ومكوناتها هو التواصل والتعاون والمشورة لصالح الدولة والمجتمع والصلاح بينهما.

9. وجوب نصـــرة المظلوم: ينطبق على أي مواطن في الـدولـة، بغض النظر عن دينه أو قبيلته. جاء ذلك في جملة "والســـتر للمظلوم". والظلم مرفوض من الجميع ضد أحد، بغض النظر عن دينه أو عرقه أو قبيلته.

10. الحق في الأمن والأمـان لمواطني الـدولـة: بغض النظر عن دينهم وعرقهم وقبيلتهم. وجاء في الدســـتور: «من خرج» أي من المدينة «فهو آمن، ومن بقي في المدينة فهو آمن، إلا من ظلم وأثم».

11. واجب الدفاع المشترك ضد العدوان الخارجي :

وقد جاء ذلك في فقرة "وأن كلا منهم يؤيد الآخر على من يعتدي على يثرب"، وأن كلهم يؤيدون بعضـــهم بعضـــا على من قاتل أهل هذه الوثيقة البند 21..

الخروج من المعاهدة

كان بنو قينقاع أول القبائل اليهودية الثلاث التي طُردت من المدينة المنورة بسبب خيانتهم بعد معركة بدر. وكان بنو النضير ثاني قبيلة يهودية تنتهك معاهدتها. حدثت هذه الحادثة في الســـنة الرابعة من الهجرة. فمع انتهاء غزوة أحد، كشفوا عن شجاعتهم في خيانة المسلمين. فقد تآمر بنو النضير سراً مع كفار مكة لهزيمة المسلمين حتى في خطة قتل النبي محمد. أما بنو قريظة، فكانوا آخر قبيلة يهودية في المدينة المنورة، ينقضـــون معاهدتهم أثناء التحضير لمعركة الخندق.

الفصل الثاني:

تطور الفكر الإداري الإسلامي

لما كان محمد (ص) هو النبي والرسول وقائد الجيش، كانت السلطات كلها في يده. إلا أنه استخدم مبادئ الشورى في اتخاذ القرارات. ولما أصبحت شبه الجزيرة العربية بأكملها خاضعة للحكومة الإسلامية، عين النبي ولاة وقضاة على جميع مدنهم ومنافذهم، مثل أبو العلاء الحضرمي على البحرين، ومعاذ بن جبل على اليمن.

وعلى الرغم من البساطة التي اتسمت بها الإدارة الإسلامية في عهد رسول الله، إلا أنها وضعت للمجتمع الإسلامي نواة التنظيم الإداري الذي سار عليه الخلفاء الراشدون. وأضافوا إلى هذا التنظيم ما وجدوه ضروريا، وما أملته عليه ظروف حياتهم، وما اجتهدوا في القيام به من أجل مصلحة الأمة.

لقد عين الصديق رضي الله عنه ولاة على المناطق والبلدان داخل الجزيرة العربية وخارجها. وفصل الخليفة عمر السلطة التنفيذية عن السلطة التشريعية وأكد على استقلال القضاء. كما اهتم بشؤون المناطق، وعزز العلاقة بين العاصمة المركزية والمحافظات والعاملين في مناطق الدولة الإسلامية.

واشتهر تنظيم الدولة الإسلامية بممارسة الشورى (الديمقراطية) في الإدارة والحكم. وتم اختيار الخلفاء الراشدين بالانتخاب. وقد جعل الإسلام الشورى أمراً واجباً على الحاكم، ويجب عليه الالتزام به.

وللأسف فإن كثيرا من المبادئ التي وضعها الرسول والخلفاء من بعده هُجِرت مع قيام الدولة الأموية واستمرت قرونا عديدة. والأهم من ذلك أن انتقال السلطة أصبح وراثيا، وتم التخلي عن الانتخابات والشورى، وتم تعيين القضاة من قبل الحكومة ووقعوا تحت تأثير الحاكم.

ومنذ ذلك الوقت وحتى الآن ظل علماء المسلمين يناقشون ما إذا كان من الممكن إقامة دولة مدنية حقيقية في أي بلد إسلامي؛ حيث تتناغم تشريعات الله مع مفاهيم الحرية والانتخابات والشورى.

اكتشفت اليوم أن أحد زملائي في الجامعة الأمريكية في بيروت هو رئيس تحرير الجريدة الأردنية. توقفت عند مكتبه في زيارة غير رسمية وتذاكرنا بعض ذكرياتنا في الكلية. وكالعادة، لا يمكن الحديث مع أحد دون أن نكون جزءاً من قضايا السياسة في الشرق الأوسط. وخاصة في هذه الأيام حيث كان العدوان الإسرائيلي على غزة مدمرا للغاية حيث قتل الآلاف من الرجال والنساء والأطفال. لقد تم تدمير مناطق ومخيمات لاجئين بأكملها في غزة بسبب القصف المتواصل من السماء ومن الدبابات المدرعة. وأصبح مفهوم الجهاد والقتال محورا للمناقشة. قال صديقي: بما أنك تقوم بالبحث في الأدب والتراث الإسلامي؛ لماذا لا تكتب مقالاً ينشر في صحيفتنا، تشرح فيه الموقف الحقيقي للإسلام والقرآن من الجهاد والقتال. قلت أنه سيكون من دواعي سروري.

وبعد يومين قدمت المقال التالي:

1. مفهوم الجهاد والقتال

في مساء هذا اليوم، دار نقاشٌ حاد في الأخبار حول الحروب باسم الدين. فقال "حمزة" وقد بدت عليه الحيرة:
"سيدو، لماذا يتحدث الناس عن الجهاد وكأنه قتل؟ أليس الجهاد يعني الحرب؟"

قلت له بهدوء:
"سؤال مهم جدًا يا حمزة. الجهاد في الإسلام لا يعني القتل أو الاعتداء، بل يعني *الجهد المبذول في سبيل الخير والحق* .والجهاد درجات، أعلاها جهاد النفس، وأوسعها جهاد العلم، وأشرفها جهاد دفع الظلم، وليس الاعتداء".

قالت ندى:
"لكن هناك آيات تأمر بالقتال"!
قلت: "نعم، القتال في الإسلام مشروع، لكنه مقيَّد، وليس مطلقًا".

"القرآن لم يشرع القتال إلا لرد العدوان، أو لرفع الظلم، أو حماية الضعفاء. قال تعالى: "وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا"... البقرة: 190

قالت سوزان:
"لكننا نرى جماعات تقتل الأبرياء باسم الجهاد"!
قلت: "وهنا الكارثة يا سوزان. هؤلاء لم يفهموا الجهاد، ولا التزموا بشروطه".

"**النبي صلى الله عليه وسلم قال بوضوح:

"لا تقتلوا شيخًا فانيًا، ولا طفلًا، ولا امرأة، ولا راهبًا في صومعته". وكان ينهى عن تخريب البيوت، أو قطع الأشجار، أو تعذيب الأسرى**".

"بل إن الإسلام قدّم أول تشريع لأخلاق الحرب في التاريخ، قبل اتفاقيات جنيف بألف سنة"!

قلت لهم:
"في هذا العصر، الجهاد لا يقتصر على السلاح. بل أشرف الجهاد الآن هو:

- جهاد الكلمة، لمواجهة الكذب والتضليل.
- جهاد التعليم، لبناء العقول.
- جهاد الإصلاح، لرفع الظلم الاجتماعي والاقتصادي.
- جهاد النفس، لمقاومة الشهوات والكسل والأنانية".

خلاصة القول: الجهاد في الإسلام هو أداة إصلاح، لا وسيلة دمار. هدفه حماية الإنسان، لا هدمه. وهو جزء من منظومة أخلاقية كاملة، لا فعلًا منفصلًا عن الرحمة والعدل".

للمزيد في هذا الموضوع اقرأوا مقالتي الي نُشرت صباح اليوم في الجريدة، وأدناه نسخة عن المنشور:

تعريف الجهاد:

الجهاد في اللغة العربية مشـــتق من الفعل الرباعي (جاهد). "الجهاد" في قاموس المعاني الشـــامل يعني عمومًا "الاجتهاد" أو "الجهد الدؤوب". يتم اسـتخدام الكلمة في كثير من الأحيان بمعاني مختلفة حسـب السـياق. مثل قوله (اجتهد) التلميذ معناه بذل قصـــارى جهده في الدراســة، إلا أن علماء الإســـلام الأوائل أخذوا معنى واحدا (القتال)، بغض النظر عن الســـياق، فحولوا الجهاد إلى فتح والقتال إلى قتل. غير أن أفصـح تعريف للجهاد هو كما عرفه النبي صـلى الله عليه وسلم في حديث رواه صـاحب كنز العمال حيث قال لأصـــحابه: إنكم الآن تنتقلون من مرحلة الجهاد الأصـــغر إلى الجهاد الأكبر، قالوا: وما أعظم الجهاد؟ قال: أن يُجاهِد الإنســـان هواه (انظر كنز العمال ج4 ص116 حديث رقم 17799).

تعريف القتال

القتال مشـــتق من الفعل الرباعي (قاتل) وله عدة معان: تجادلوا وتنازعوا وتشـاطروا وبايعوا. القتال هو حالة مواجهة تتسم بالعنف بين طرفين، بين فرد وفرد أو بين جماعة وجماعة. ولعل أبلغ وصـــف للقتال في التنزيل الحكيم ما ورد في قوله تعالى: (*كتب عليكم القتال وهو كره لكم...*) البقرة 216. وهو مكروه بسبب كونه الحل الأخير في تسوية النزاعات ولا يمكن اللجوء إليها إلا عند الضرورة.

2. مشروعية القتال

والســـؤال الآن: هل هناك هدف لهذا القتال يبرر القيام به رغم كراهيته؟ الجواب: نعم، لا شك أن هناك أهدافاً نجدها في التنزيل الحكيم:

- وقوع الظلم: لقوله تعالى: (*أُذِن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا.....ا*). الحج 39.

- وقوع إخراج الناس من ديارهم: لقوله تعالى: "*الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِظُلْمٍ*....." الحج 40.

- حدوث اعتداء خارجي أو داخلي على الأرواح أو الممتلكات أو الشـرف أو الحريات بمختلف أنواعها (حرية العمل والكسب والتجارة والتنقل/حرية التعبير/حرية المعتقد/حرية الشـــعائر الدينية) وفقاً لأحكام الشـــريعة الإســـلامية. قوله تعالى: {*فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين*} البقرة 194.

ومن تأمل هذه الأســـباب الثلاثة لاحظ أن أولها وأهمها هو الظلم، فما هو الظلم؟

الظلم بمعناه اللغوي العام هو :

- وضع الشيء في غير موضعه بما يتنافى مع العدالة والإنصاف

- تعدي حدود الله

- العصيان والمخالفة لأوامر الله

والظلم -أخيرًا- يشـــترك في معناه مع عدد من المصـــطلحات الأخرى، كالظلم والطغيان والاستكبار.

ولكن من هو المظلوم؟

- إذا كان الظلم على النفس فهو في ولاية الله، وعلى من يرتكب هذا الظلم أن يعترف ويستغفر الله، بدليل قول آدم وزوجه ﴿*قالا ربنا لقد ظلمنا أنفسنا، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين*». الأعراف 23.

- إذا كان موضوع الظلم أشخاصاً آخرين، كالحاكم الطاغية الذي يقمع الناس، بحرمانهم من الحرية، وأهمها حرية اختيار المعتقد الذي يرغبون فيه؛ فهو سبب مشروع لقتاله كما في سورة الحج الآية 39: «*وأذن للذين يقاتلون أنهم ظلموا*»1. لهم "تسود".

- وأما القتال بسبب الكفر فقد أعطى الله تعالى للإنسان الواعي حرية الاختيار. فإذا سمحنا بقتال الناس لإجبارهم على الإيمان فإننا نخالف قول الله تعالى في الآية 29 من سورة الكهف: "﴿ *وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ* □

وفي سورة يونس 99 يقول: « ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾

3. مفهوم الرِدَّة

الرِدَّة تعني الابتعاد أو الانفصال الرسمي عن الدين أو التخلي عنه من قبل شخص ما. ويمكن تعريفه أيضًا ضمن السياق الأوسع لتعني اعتناق رأي يتعارض مع معتقدات الفرد السابقة مثل الخروج من حزب سياسي أو حركة اجتماعية أو فريق رياضي.

بعض المجتمعات لا تتسامح مع الردة (بمعنى "الابتعاد") عن الأخلاق أو الكياسة أو الخروج عن سلطة الدولة؛ ومن ثم فقد أصدروا تشريعات تجعل مثل هذه الردة جريمة يعاقب عليها. أما إذا كانت الردة عن عقيدة دينية فيجب على المجتمع ألا يتدخل، لأنه يجب أن يُسمح بحرية الاختيار في مثل هذه الأمور الشخصية. ولا ينبغي أبدا أن يعاقب عليه. فقط في

حالة الردة السياسية، التي تهدف إلى تقويض وحدة الأمة وأراضيها وسلطة الدولة ومؤسساتها، يصبح استخدام القوة مبررا.

الردَّة عن الإسلام

الردة عن الإسلام تتم على ثلاثة مستويات:

أ. مستوى المذهب الديني. والردة هنا تعني:

الانقطاع عن الله، بالكفر بوجوده وبيوم القيامة. والردة هنا تعني البدعة، ومن ذلك التراجع عن عقيدة التوحيد (لا إله إلا الله) والدخول في عقيدة الشرك. وبحسب آيات قرآنية كثيرة؛ يتمتع الإنسان بالحرية المطلقة. وله أن يقرر بحرية بين الإسلام وغيره. ولا ينبغي لأحد أن يجبر أي شخص على اعتناق معتقد معين ، لأن المعتقد الديني هو علاقة بين الإنسان والله، والله هو الذي يدين هؤلاء الأشخاص.

ب. مستوى الممارسة الاجتماعية والأخلاقية:

والردة هنا تعني ترك العمل الصالح وتجاهل أوامر الأخلاق. إن انتهاك أساسيات القانون الأخلاقي يعني العيش حياة فاجرة بشكل صارخ: عدم احترام الوالدين، والتخريب العلني، والفحش، والدعوات العامة لمزيد من الفساد، والرشوة، والاستغلال، والافتراء، والتشهير. فإذا ارتد مثل هذا الشخص عن الأخلاق، فمن واجب الجميع – بغض النظر عن انتمائهم الديني – كبح جماحه. إن مكافحة الفجور في جميع أنحاء العالم هي المجال الذي يجب على المسلمين المؤمنين أن يعملوا فيه جنبًا إلى جنب مع بقية البشرية. وخلافاً للمستوى الأول من العقيدة الدينية، فمن الواضح أن الردة عن الأخلاق وحقوق الإنسان لا يمكن التسامح معها، لأن الإسلام ينظم العلاقات الاجتماعية بين مختلف أقسام المجتمع وخارجه. وبعبارة أخرى، فإن الردة عن الإسلام، التي ستكون لها عواقب اجتماعية وأخلاقية كارثية، يجب أن يحرمها المشرع ويمنعها منعاً باتاً.

ج. مستوى التشريع:

تحدث الردة عندما يتجاوز الإنسان حدود التشريع العليا والدنيا التي حددها الله في القرآن. والتشريع الإسلامي يعني نظاماً قانونياً مدنياً إنسانياً يعمل في حدود الله. كلما أصبح المجتمع أكثر تحضرا كلما اقتربت قوانينه من تشريع الحدود الحقيقية، التي تمثل الطابع الحنيف للإسلام. وأفضل طريقة لتحقيق ذلك في الوقت الحالي هي تلك الدول التي تمتلك دستورًا ونظامًا برلمانيًا.

الردة عن الإيمان

يجمع الإيمان بين الشهادة الأولى (لا إله إلا الله) والشهادة الثانية (محمد رسول الله). فالمسلم المؤمن الذي يترك الإيمان، أي يرتد عن اتِّباع محمد (ص) ليصير نصرانيا أو يهوديا، لا ينتقل إلا من ملة توحيدية إلى أخرى. إنه ببساطة يتوقف عن أن يكون مسلمًا مؤمنًا، ولكن بما أنه لا يزال يؤمن بالتوحيد فهو لا يزال مسلمًا كما يقول القرآن:

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 64]

الآية تقول "يا أهل الكتاب" لأن اليهود والنصارى كانوا مخاطبين بذلك في عهد النبي صلى الله عليه وسلم. كما أنه يحتوي على "المصطلحات المشتركة" بينهم وبين أتباع محمد: لا تعبدوا إلا الله، لا شرك ولا عبادة أوثان، لا أرباب بشريين. وينتهي الأمر بالاعتراف بأنه إذا لم يكونوا راضين عن ذلك، فيجب عليهم "على الأقل" أن يشهدوا أنهم مسلمون.

كان الرسول (ص) يعتقد أن اليهود والنصارى هم أنفسهم مسلمون رغم أنه أراد انضمامهم فيما بعد إلى الإيمان به وبرسالته، ولهذا سمح لهم بالبقاء على إيمانهم بتوحيد الله.

إذا نظرنا إلى رسالة محمد (ص) من زاوية سياسية، فمن الواضح أنه بالإضافة إلى دوره كرسول ينشر وحي ربه، كان أيضًا نبيًا تمكَّن بدعم من أتباعه من إقامة دولة مركزية. دولة في شبه الجزيرة العربية وعاصمتها يثرب (المدينة المنورة لاحقًا). ضمت دولته الجديدة الناس والقبائل من جميع الانتماءات الدينية، بما في ذلك المسيحيين واليهود. ومقارنة بأي شيء كان موجوداً من قبل، فقد كان ذلك بمثابة قفزة نوعية في الطريقة التي تم بها تشكيل الدول وإدارتها في السابق. وكان من الطبيعي أن تعكس أسماء المناصب السياسية الجديدة في الدولة الوضع التاريخي، على سبيل المثال لقب "أمير المؤمنين" أو "بيت مال المسلمين".

لاحظ أنه بما أن الخزينة العامة كانت تتولى إدارة الأموال والممتلكات لجميع المواطنين بغض النظر عن انتمائهم الديني، فقد أطلق عليها اسم (بيت مال المسلمين). تخبرنا المصادر التاريخية أن علياً بصفته خليفة (لم يتردد في إعطاء الأموال لليهود والنصارى من بيت مال المسلمين).

الردة السياسية

رأينا أن الردة عن الإسلام والإيمان لا يحكم بها إلا الله، وليس الأفراد أو الدول؛ لأن الله أعطى للإنسان حرية اختيار المعتقد الديني بقوله "لا إكراه في الدين" وهو اختيار الفرد في الإيمان أو عدم الإيمان.

فقط في حالة الردة السياسية، التي تهدف إلى تقويض وحدة الأمة وأراضيها وسلطة الدولة ومؤسساتها، يصبح استخدام القوة مبررا. والحروب الانفصالية في تاريخ الولايات المتحدة هي مثال جيد على ما يعنيه الردة السياسية.

القبائل التي رفضت دفع الزكاة لم تكن بسبب خلافات مذهبية مع ضريبة الزكاة، بل لأنهم أرادوا إنفاق الأموال على منطقتهم. ومع ذلك، كان من

الواضح أن رفض القبائل سيؤدي إلى انفصالهم عن الدولة المركزية، وهو الأمر الذي تصدى له أبو بكر من خلال حملاته ضد "الردة".

أما بالنسبة للردة الدينية، فمن الصادم أن نلاحظ نوعاً جديداً من التعصب بين بعض المسلمين المؤمنين عندما يتهم بعضهم بعضاً بالردة؛ في بعض الأحيان فقط على أساس أن شخصًا ما فاتته صلاة أو قال شيئًا استفزازيًا أو مخالفًا للتيار السائد. بعد وفاة النبي (ص) انقسم أتباعه إلى عدة كتل سياسية مختلفة، ثم تحولت فيما بعد إلى طوائف دينية مختلفة. هذا الانقسام المبكر في جماعة محمد (ص) لم يكن له في البداية أي علاقة بأركان الإسلام أو الإيمان، لكنه أدى في النهاية إلى تفضيل أركان الإيمان على أركان الإسلام.

وبعد أن تعلمنا الدرس من الانقسام السياسي في تاريخ الإسلام المبكر، يتعين علينا أن نؤسس أساسًا جديدًا يمكننا من خلاله تعزيز الطابع الإنساني العالمي للإسلام الذي يتجاوز كل المصالح الضيقة للسياسات الحزبية. إن حقيقة الإسلام لا تكمن في كونه رأسماليًا أو اشتراكيًا، الإسلام يعزز الإنسانية، ولا يفضل طبقة اجتماعية على أخرى.

بالأمس، ظهر مقالي عن الجهاد والقتال في الصحيفة الأردنية الصادرة باللغة الإنجليزية. وفي فترة ما بعد الظهر، تلقيت عدة اتصالات من الأقارب والأصدقاء الذين قرأوا المقال وأدركوا أنني في الأردن. البعض كان ضد وجهة نظري، والبعض طلب توضيح بعض النقاط. إلى هؤلاء قمت بإحالتهم للبحث عن مزيد من التفاصيل والأدلة الداعمة المنشورة على موقع الويب الخاص بي www.dromarstudies.com.

لكن معظمهم أيدوا وجهة نظري، متفقين على أن الإسلام دين التسامح، وأن من يصورونه على أنه دين العنف قد أعطوه صورة سيئة تخالف روح ما جاء في القرآن. قلت نعم؛ فبينما يدعو الإسلام إلى السلام، فإنه يعطي أيضًا للناس الحق في محاربة الظلم، ويعطي الحكومات الحق في رد أي عدوان من أي مصدر خارجي. ويدعو الدولة إلى التنبه والتسلح

ردعاً لحماية أرضها وشعبها من أعدائها؛ كما جاء في الآية 60 من سورة الأنفال: "*وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم*".

ومع ذلك، يؤكد الله على أنه لا ينبغي للمسلمين أن يكونوا هم أول من يبدأ العدوان، كما جاء في الآية 190 من سورة البقرة: "*وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا*. إن الله لا يحب المعتدين"

وكان من بين المتصلين الدكتور رمزي، ابن العم الثاني الذي يعمل أستاذ الاقتصاد في جامعة عمان. قال: يبدو أنك أمضيت وقتاً طويلاً في تدبر آيات القرآن. أما أنا، فأنا أقرأ القرآن لأغراض التلاوة وخاصة في شهر رمضان، ولكني لم أتعمق في معانيه كما فعلت أنت. وأضاف: في صفي، يطرح الطلاب أسئلة حول البنوك الإسلامية وهل الفوائد المصرفية على القروض حرام. أود أن أدعوكم لتناول العشاء في منزلي للاستماع إلى آرائكم. وقد أقوم بدعوة واحد أو اثنين من زملائي في الجامعة أيضًا. أخبرته أنه سيكون من دواعي سروري، خاصة أنني لم أرك أو رأيت عائلتك منذ فترة طويلة.

الفصل الثالث

المعاملات المالية في الإسلام

بعد العشاء في منزل ابن عمي، جلسنا في غرفة الضيوف للمناقشة. وكان اثنان من زملائه الأساتذة حاضرين أيضًا. قلت بعد المقدمات: بعد ما قلته في الهاتف، أعترف أنني كنت مثلك ومثل أكثر المسلمين، أقرأ القرآن للذكر، وأقرأ للصلاة. من العجيب أن نفهم القليل من القرآن. عندما بدأت بالتأمل واستخدام أدوات البحث الحاسوبية للربط بين الآيات في السور المختلفة التي تتناول نفس الموضوع، اكتشفت أن القرآن ليس مجرد هداية للروح، ولكنه أيضًا إرشاد لكيفية عيش هذه الحياة. سواء على المستوى الشخصي، أو على مستوى الأسرة، أو على مستوى الدولة؛ وكيف يشمل التوجيه في كل جانب من جوانب الحياة. على سبيل المثال ذات الصلة بالاقتصاد والمالية؛ انظر إلى هذه الآية التي تتناول المعاملات المالية وتعطينا تفاصيل عن كيفية كتابة عقد المعاملات المالية:

1. كتابة عقود الديون والمعاملات المالية

تحدد سورة (البقرة 282-283) الحد الأدنى لما يمكن قبوله كعقد صحيح:

"يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا ۚ فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ ۚ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ۚ وَلَا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا ۖ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" ۝ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ

مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ"

ملحوظة: في وقت نزول هذا الوحي، لم تكن الكتابة في شبه الجزيرة العربية شائعة. لكن الله (كما هو الحال في جميع الأحكام والتشريعات) لا يعطي التعليمات لحل مشكلة في ذلك الوقت فحسب، بل للأجيال القادمة أيضًا. كثير من قراء القرآن لا يتوقفون ويفكرون كيف يتعامل القرآن مع التوجيه في جميع جوانب الحياة. وفي هذه الحالة، وبما أنه لم يتم تحديد حد أعلى، فقد يتم إضافة المزيد من اللوائح التي تعكس الطبيعة المتغيرة للعقود المالية والقواعد المتطورة باستمرار للأسواق التجارية في المجتمع.

لاحظ أن الحد الأدنى من شرط "رجل واحد أو امرأتين" يشير فقط إلى عقد شفهي ("حتى إذا أخطأت إحداهما فتذكرها الأخرى ...").

ومع ذلك، إذا تم تقديم هذا العقد بشكل مكتوب، فإن الحد الأدنى هو "رجل واحد وامرأة واحدة" هو كل ما هو مطلوب. إن كل التفسيرات المتحيزة جنسيا التي تفسر شهادة المرأة المزدوجة كدليل على دونية المرأة ومؤشر على عدم كفاءتها لا أساس لها.

2. الربا / الفائدة

إذا أخذنا المعنى الجذري لكلمة "ربو"، وهو المصطلح العربي لـ "الفائدة"، نلاحظ أنها تعني "النمو أو الزيادة"، أي توسيع الثروة عن طريق "الزيادة" أو "التراكم".

ولننظر إلى الآيات التي ذكرت لفظ الربا، ونرى كيف استخدم القرآن كلمة الربا في معانٍ مختلفة حسب السياق:

﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ۗ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ۚ فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [سورة البقرة: 275]

• عبارة "وأحل الله البيع وحرم الربا" ليست تشريعا. وهي جواب لمن يزعم أن مفهوم التجارة مثل مفهوم الربا. لذلك يخبرنا الله، لا أنهما مفهومان مختلفان. ﴿*يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ*﴾

﴿*يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ*﴾ ﴿*فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ*﴾ ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 278-280]

1. تقول الآيات: إذا حاولت جمع المال بالقروض واستعادته بالزيادة، فلن تنال الأجر عند الله، لأنك قد حصلت بالفعل على أجرك من خلال معاملتك في حياتك. ولكن إذا تصدقت بالمال، فإن الله يؤجرك بعشر أمثالها.

2. إذا كان المدين غير قادر مالياً على سداد رأس المال مع الزيادة، فينبغي للمقرض أن يكتفي باسترجاع رأس المال، ويعتبر الزيادة صدقة يؤجر عليها في الآخرة.

وانظر الآية التالية في سورة آل عمران: 130،

﴿*يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ*﴾ فهي تعطي تعريفاً للربا المحرم: هنا يضع الله حداً أعلى لمقدار الزيادة التي يُسمَح للمرء أن يسعى للحصول عليها؛ وهو 100% من المبلغ الأصلي مهما طالت مدة السداد

3. إذا طمع الإنسان وطلب أكثر من الحد، اعتبره الله إثما عظيما يعاقب عليه في الآخرة، كما جاء في الآية 279 من سورة البقرة:

﴿*فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ*﴾

4. لاحظ أن التنزيل الحكيم لا يمنع بشكل قاطع وغير مشروط، الحصول على زيادة رأس المال/ الفائدة. ولا يُحَرِّم ذلك إلا إذا تجاوز حد الله. وبالتالي فإن الحصول على قرض من خلال عقد مع المُقرِض (سواء كان فرداً أو بنكاً أو أي مؤسسة مالية) بفائدة جائز، ما دامت الفائدة في حدودها فلا تزيد بمجموعها عن قيمة الفرض الأصلي بغض النظر عن مدة القرض (قد تكون 30 سنة). وكذلك أخذ فائدة من البنوك على أموالك المستثمرة جائز ما دامت في الحد المقرر.

وفي الختام قال الدكتور رمزي وأصدقاؤه: تلك طريقة تفسير مثيرة للاهتمام ومنطقية. قلت: اذكر أن ما أفعله هو إبداء رأي حسب فهمي. أنا لا أدعي أنه صحيح تماما. قد يأتي شخص آخر بفهم أفضل في المستقبل.

وقال أحد الأساتذة الدكتور حاتم: أقوم بتدريس العلوم السياسية في الجامعة. ومن الأسئلة التي تطرح عادة: ما هو مفهوم الحكم الإلهي؟ وماذا عن مفهوم فصل الدين عن شؤون الدولة؟ أود أن أدعوك كمتحدث ضيف لإلقاء محاضرة حول هذه القضية لصفي بعد يومين من الآن؟ قلت إنه سيكون من دواعي سروري وسيذكرني بكوني أكاديميًا عندما كنت أقوم بالتدريس في الجامعة في أمريكا.

الفصل الرابع:

مفهوم الحكم (الحاكمية)

شـرح أبو العلاء المودودي حكم الله في كتابه "الخلافة والملك" بقوله: إن القرآن الكريم ينص على أن الطاعة يجب أن تكون خالصة لله، وأن شرعه وحده يجب اتباعه وليس أي قانون خلقه البشـــر. وهذا التعريف العام أدى إلى تعارض بين إرادة الإنسان والحكم الإلهي. ويرى آخرون أن المقصود بالحكم الإلهي هو أن مصـدر التشـريع والقانون هو الشـريعة، في حين أن تشـريع القوانين التفصـيلية من اختصـاص الهيئة المنتخبة التي تمثل الأمة ضمن حدود الله.

1. الحكم البشري والحكم الإلهي

وقصة موسى والعبد الصالح كما وردت في سورة الكهف هي بيان يوضح الفرق بين الحكم البشري والحكم الإلهي.

أحداث القصة جرت قبل 3000 سنة على الأقل، وما زالت وستبقى درساً في الفرق بين التشريع البشري لتحقيق العدالة الإنسانية، والتشريع الإلهي لتحقيق العدالة الإلهية. وكرسـول الله يحمل رسـالة تشـريعية، فإن موسـى يمثل الشرائع الكونية التي تنطبق على جميع الناس بلا استثناء استنادا إلى الأدلة المشـــهودة. مثل هذه القوانين عامة، فهي لا تقدم حلاً محددًا لكل احتمـال أو إجراء فردي. وإلا فـإننـا نحتـاج إلى آلاف المجلـدات من التشريعات الإلهية والوضعية، بحيث لا يستطيع الإنسان حتى قراءتها.

كان موسـى عليه السـلام يمثل التشـريع الإنسـاني بينما كان العبد الصـالح يمثل العدل الإلهي كما جاء في القرآن في ســورة الكهف 82. "*وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي*».

اسـتنكر موسـى خرق السـفينة لأنه خالف القوانين العالمية التي تدعو إلى حماية الملكية. فهو لا يســتطيع ولن يقبل هذا الإجراء. أما العبد الصـــالح

الذي يمثل العدل الإلهي المطلق في التفاصيل، فقد أفسد السفينة بالعلم الإلهي لينقذها من الاستيلاء.

لقد استنكر موسى قتل الصبي لأن كل الشرائع السماوية وكل الشرائع الأرضية حرمته كشريعة شاملة. أما العبد الصالح فقتله لأنه عنده علم إلهي أن هذا الولد على وجه الخصوص سوف يكبر إنساناً شريراً وسيعذب والديه التقيين. الشيء نفسه مع حالة إصلاح الجدار.

ونستنتج أنه لو وافق موسى، ولو مرة واحدة، على عمل العبد الصالح، لأبطل كل شرائع المساواة بين الناس؛ ولكانت الدولة قد زالت من الوجود، ولأعطى الحق لكل إنسان أن يدعي أنه يمثل العدل الإلهي فيما يفعل، ولأفسح المجال أمام الناس لقبول كل شيء تحت شعار "هذا مكتوب علينا " و"هذه هي مشيئة الله". الغرض من القصة هو إخبار جميع البشر في كل زمان ومكان، حاضراً ومستقبلاً، أنه يجب على الإنسان أن يحتج ضد الظلم، وضد الأشياء المخالفة للقوانين. لقد كان الله يرسل الأنبياء والرسل بالتشريعات التي تناسب الظروف التي يعيشون فيها؛ وإعطاء الحكمة لبعض الناس مثل لقمان وهو رجل صالح. وبما أن محمد (صلى الله عليه وسلم) هو آخر الأنبياء/الرسل، فلا يمكن لأي إنسان أن يدعي أنه تلقى أي وحي إلهي.

المفهوم الآخر ذو الصلة هو مفهوم الولاء

2. مفهوم الولاء والطاعة:

"المصطلح العربي "ولاء" استمد منه القرآن 217 مشتقا (على سبيل المثال، والي، مولى، ولاية، توالين، موالاة):

يحتوي الحقل الدلالي لجذر الفعل هذا بشكل أساسي على معنيين (متناقضين):

أ) الاتجاه إلى شخص ما أو شيء ما، كما تعبر عنه الآيات:

﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة 115)

ب) الابتعاد عن شخص ما أو شيء ما. ورد في الآيات :

﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾ الإسراء 46

يشير مصطلح الولي والمولى إلى السيد الذي يكون الناس على استعداد لقبول سلطته وعلى استعداد لاتباعها، أي "الذي يلجؤون إليه"، والذين يلتزمون بأوامره ونواهيه: ﴿ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾" (الأعراف 196)،

ومن المثير للاهتمام أن نرى مدى الاختلاف في تعريف "الولاء" كمصطلح في كتب الفقه الإسلامي. لقد حدث الشيء نفسه مع الكلمات والعبارات الأخرى التي ناقشناها سابقًا (الجهاد، القتال، الأمر، النهي ،الرِدَّة) حيث أن هذه الألفاظ تكتسب ظلالاً من المعاني.

"الولاء" يعبر عن شكل من أشكال الهوية الاجتماعية التي تتحقق كقرار من الفرد الذي يريد البقاء في علاقة مع شخص آخر. ويمكن أن تكون هذه العلاقة بين المعلم وتلميذه الذي يقرر (إراديا) أن يتبع سيده ويُقلِّد سلوكه إذا كان هذا السلوك الاجتماعي مشتركا بين الآخرين، فمثلا إذا كانت توجيهات وتعليمات قائد المجموعة مقبولة على نطاق واسع وملتَزَم بها من قبل كل فرد من أفرادها، فإن ذلك يؤدي إلى الولاء للجماعة. فالاختلافات في الرأي مسموحة، ولكنها لا تتدهور أبداً إلى الحد الذي تتحول فيه إلى عداوات تهدد هوية للجماعة.

ولا شك أن الطاعة ركن أساسي من أركان الولاء، وهي تظهر في صورة طاعة الأوامر واجتناب النواهي، وتؤكد ذلك الآية التالية:

"يا أيها الذين آمنوا! أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم..." (النساء 59)

ولفظ (أولي الأمر) هنا عام، لكنه محدد ومبين في الآية التالية.

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (المائدة:55)

وبناء على ذلك فإن عبارة "أولي الأمر منكم" لا تعني أصحاب السلطة، أي الحاكم أو الحكومة التي يجب أن نطيعها، إذ يحدد القرآن هوية المجموعة على مستوى المجتمع الديني، وليس الولاء السياسي على مستوى الدولة القومية.

لقد تم تسييس هذه الآية دون مبرر من قبل الفقهاء الذين أرادوا إرضاء أسيادهم من خلال توفير غطاء قانوني لحكمهم الاستبدادي الذي يتطلب إيديولوجية الهدوء السياسي والطاعة المطلقة للحاكم المستبد لدرجة أنهم اختلقوا روايات تدعو إلى طاعة الحاكم، حتى لو أخذ مالك بغير حق، أو ضربك على ظهرك، أو حتى لو رأيته يزني.

هذا ويمكن للهويات الاجتماعية المختلفة أن تتعايش جنبًا إلى جنب، ولا يجوز إجبار أحد على التخلي عن إحداها من أجل الأخرى. إن قبول الهويات الاجتماعية - بما يتجاوز تلك القائمة على علاقة الدم - هو مسألة اختيار شخصي يجب اتخاذه بشكل فردي ودون قوة أو تدخل من الخارج. إن الطريقة التي يتم بها ترتيب أولويات هذه الهويات المختلفة هي أيضًا مسألة اختيار شخصي وتختلف من فرد لآخر. لقد كان خطرًا كبيرًا أن تحاول النظريات الإسلامية بناء هوية إسلامية موحدة - على مستوى المجتمع - وفصل جوانب الهويات الأخرى للمسلمين المؤمنين، مثل هوياتهم الوطنية والسياسية، من خلال التشهير بهم باعتبارهم ثانويين أو حتى متناقضين مع هويتهم الدينية الطائفية. وكنتيجة خطيرة لهذه النظريات المضللة، اعتقد العديد من المسلمين المؤمنين أنه من واجب دينهم إظهار الولاء لمجتمعهم الديني فقط، وأن المؤمن الصالح يتخلى عن كل اهتمامه (ومسؤوليته) تجاه عائلاته وأصدقائه غير المؤمنين وجيرانه.. وفي الحالات القصوى، لجأ المسلمون المؤمنون إلى العنف ضد شعوبهم.

لقد ارتبك الشباب المسلمين الذين يعيشون في بلدان أجنبية عندما قيل لهم إنهم يجب أن يشعروا أولاً وقبل كل شيء بأنهم مسلمون مؤمنون وأن الولاء لمجتمع آخر هو خيانة لدينهم.

وهذا يتناقض بشكل أساسي مع تعاليم القرآن الذي يسمح لنا بامتلاك هويات متعددة والعيش بطريقة من الوجود حيث يتغلب المسلمون المؤمنون وغير المسلمين على الأشكال القمعية للهويات الفردية. لقد تصرف النبي (صلى الله عليه وسلم) نفسه على أساس عدة هويات: فهو ينتمي إلى عشيرة بني عبد المطلب الأصغر، وعشيرة بني هاشم الأوسع؛ وكانت قبيلته قبيلة قريش. كان ينتمي إلى العرب كقوم وغلى المسلمين (الأمَّة) وإلى شعب المدينة بعد هجرته من مكة، وكان شعب المدينة يشمل المؤمنين والكفار (مثل اليهود). وأخيراً أسس الدولة في المدينة المنورة حيث يشكل المؤمنون المسلمون الذين اتبعوا نبوته الأمة الموجودة داخل دولته المتعددة الأديان. واليوم، يمكن للناس أن يحذوا حذو النبي (صلى الله عليه وسلم) من خلال قبول إمكانية تعدد الهويات.

في نهاية المحاضرة خاطب الدكتور حاتم الفصل قائلاً: لقد دعوت الدكتور عمر لإلقاء نظرة على هذا المفهوم المهم للحكم والولاء والطاعة. ومن واجبك أن تقارن ما تعلمته من هذه الآراء الجديدة محاولاً العثور على وجهة النظر التي لديها أدلة داعمة قوية.

ومن ثم أثار الطلاب أسئلة في العديد من مجالات الاهتمام مثل: ماذا يقول القرآن الكريم عن حقوق الإنسان؟ ما مدى اختلاف مفهوم الشورى عن مفهوم الديمقراطية؟ ذكرتم أن التنزيل الحكيم هو إرشاد للعلاقة الروحية بين الإنسان والله، وإرشاد لكيفية تنظيم سبل الحياة؛ كيف تتصور العلاقة التوافقية بين الدين والدولة؟

قلت: لعلنا نجيب على أحد الأسئلة اليوم فيما يختص بحقوق الإنسان ونجيب على الباقي في يوم لاحق.

الفصل الخامس:

حقوق الإنسان في القرآن

إن حقوق الإنســـان في الإســـلام تعني في الواقع أن هذه الحقوق قد منحها الله؛ ولم يتم منحها من قبل أي ملك أو أي مؤسسة تشريعية. فبينما يمكن سحب الحقوق الممنوحة من الملوك أو المجالس التشريعية بنفس الطريقة التي مُنحت بها. ولكن بما أن حقوق الإنســـان في الإســـلام قد منحها الله، فليس لأي مجلس تشـــريعي في العالم، أو أي حكومة على وجه الأرض الحق أو الســـلطة لإجراء أي تعديل أو تغيير في الحقوق التي منحها الله. فكل هذه الســـلطات الزمانية الذين يزعمون أنهم مســـلمون، ومع ذلك ينتهكون حقوق الله، فهم أحد قســـمين، إما أنهم كفار، وإما أنهم ظالمون ومفسدون.

وفيما يلي بعض هذه الحقوق:

1. <u>الحق في الحياة</u>

إن أول وأهم الحقوق الأساسية هو الحق في العيش واحترام حياة الإنسان. وينص القرآن الكريم على:

«*من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً*» آية 32 سورة المائدة.

ومن ثم، فلا يحق لأي إنســـان بمفرده أن يأخذ حياة الإنســـان انتقاما أو لإحداث ضرر في هذه الأرض. ولا يمكن الفصل في مثل هذه الحالات إلا من قبل محكمة قانونية مختصة. والآية 151 من سورة الأنعام تقول: "*وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ*﴿﴾».

2. الحق في مستوى معيشي أساسي

وفي معرض حديثه عن الحقوق الاقتصـــادية التي أمر بها القرآن الكريم اتباعه نجد:

﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾ ﴿ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾[المعارج: 25]

3. الحق في العدالة

لقد جاء في القرآن الكريم: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُـــهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[المائدة: 8]

وللتأكيد على هذه النقطة يقول القرآن مرة أخرى:

﴿ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا ۚ وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُـــوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: 135]

وهذا يجعل النقطة واضحة وهي أن المسلمين يجب أن يكونوا عادلين ليس فقط بين أنفسهم ولكن حتى مع من خالفهم أو عاداهم.

4. المساواة بين الناس

إضافة إلى ان الإسلام يأمر بالمساواة المطلقة بين الناس بغض النظر عن أي اختلاف في اللون أو العرق أو الجنسية فهو يجعل المساواة مبدأ وواقعاً هاماً. لقد قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [ســـورة الحجرات: 13])؛ وقوله: "*وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان*" (5: 2).

5. الحق في الاحتجاج ضد الاستبداد

ومن الحقوق التي منحها الإسلام للبشر الحق في الاحتجاج على طغيان الحكومة. وفي إشارة إليه يقول القرآن:

﴿ ۞ لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾ [النساء: 148].

وهذا يعني أن الله يرفض بشدة اللغة البذيئة أو كلمات الإدانة القوية، ولكن الشخص الذي وقع ضحية الظلم أو الطغيان، يعطيه الله الحق في الاحتجاج علانية على الأذى الذي لحق به. ولا يقتصر هذا الحق على الأفراد فقط.

6. حماية الانتماء الديني والمشاعر الوطنية

في الإسلام، تحظى المشاعر الدينية الفردية بالاحترام الواجب، فلا يقال أو يفعل أي شيء من شأنه أن يتعدى على هذا الحق. وقد أمر الله في القرآن الكريم: " ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة الأنعام: 108]

الإسلام لا يمنع الناس من إجراء المناظرات والمناقشات في الأمور الدينية، لكنه يريد أن تكون هذه المناقشات لائقة. "*ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن*" (29:46) – كما يقول القرآن. ولا يقتصر هذا الأمر على أهل الكتاب المقدس فحسب، بل ينطبق بقوة متساوية على أتباع الديانات والمعتقدات الأخرى.

كما يعترف الإسلام بحق الفرد في عدم القبض عليه أو سجنه بسبب جرائم الآخرين. وقد وضع القرآن الكريم هذا المبدأ بوضوح: "*وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى*" (الأنعام: 164).

يؤمن الإسلام بالمسؤولية الشخصية. نحن أنفسنا مسؤولون عن أفعالنا، ولا يمكن نقل نتيجة أفعالنا إلى شخص آخر.

الفصل السادس

الدولة المدنية الحديثة في ضوء تعاليم القرآن الكريم

المبادئ الأساسية في الشورى

الشـورى هي عملية طلب قرار واتفاق بناء على تصـويت الأغلبية وعلى أسـاس القرآن واقتداء بما فعله الرسـول (ص)، وترك التفاصـيل للخبراء للوصـول إلى نتيجة مرضـية للحفاظ على التوازن بين القيادة (الحكومة) والناس.

- المساواة:

إن مبدأ المساواة في الشورى كما ورد في القرآن قد وضع مبدأ أن الإسلام لا يعطي امتيازا أو تفضـيلاً لأحد في إطاعة القوانين والأنظمة، سـواء كانوا قادة أو حكاماً أو حتى من عامة الناس، فإنهم ما زالوا يتمتعون بالمساواة أمام القانون. القرآن لا يسمح بالخلافات بين مؤمن وآخر، ذكر أم أنثى. وتماشياً مع هذا الرأي، أنشأ القرآن مبدأ الشورى لتوجيه عمليات صنع القرار لدى الناس.

- حرية التعبير:

الأسـاس الأول للشـورى هو حرية التعبير عن الرأي، مع وجود (رأي ورأي آخر)، والتكافؤ في حرية التعبير بين الآراء المختلفة.

- حرية المعتقد:

المطلب الأساسي ايضاً هو حرية المعتقد. وكانت مشكلة النبي صلى الله عليه وسـلم مع قريش "لا تحولوا بيني وبين الناس"!! كان هذا كلام الرسـول صـلى الله عليه وسـلم لأهل مكة. ويعني حرية الرأي والتعبير وحق تقرير المصير والاختيار دون قمع أو تهديد. فكل ما طلب من قريش ان اتركوا بيني وبين الناس وسـيلة تواصـل حتى أقدم لهم أفكاري

وتوجهاتي وحلول مشاكلهم، مشاكل تتعلق بفهم الخلق والوجود وإدراك الحياة وما بعد الموت... عن المرأة والطفولة... عن الحكم والقضاء والعلاقات الدولية.

فمن أراد أن يؤمن بالدين الجديد فليفعل، ومن أراد أن يبقى على شِركه فليفعل. أي أن ما قامت عليه سياسة الدعوة الإسلامية هو "*لا إكراه في الدين*" وعلى "*يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون*". لكن زعماء قريش وقفوا علناً واتخذوا موقفاً واضحاً ضد حرية الناس في الاختيار.

مبدأ الشورى في القرآن

نقف أمام زمن الوحي في الآيتين اللتين ذكرت فيهما "الشورى" في الوحي الحكيم.

الأولى في مكة الآية 38 من سورة الشورى: {*والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون*}.

ومع أن المرحلة المكية لم تكن مرحلة بناء دولة، إلا أن الله تعالى فرض الشورى. ووضعها في الأهمية مع الإيمان:

1. استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة

2. وتشاوروا أمورهم فيما بينهم.

3. مما رزقناهم ينفقون.

ومن هنا نرى أن الشورى ركن أساسي من أركان الإيمان مع الصلاة والإنفاق. وهو في الآية مبدأ عام في بنية الإيمان والإسلام.

والثانية بالمدينة المنورة الآية 159 من سورة آل عمران

﴿*فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ*﴾

أما الشورى في الآية الثانية فهي تصف حدثاً تاريخياً وممارسة في أمور دنيوية مثل الاستعداد للمعركة. أي أن الله تعالى أمر النبي (ص) أن يستشير الناس في أمور لا تتعلق بالوحي، فطبق هذا الأمر من خلال بنية المجتمع الذي يعيش فيه. علماً أنه لم يستخدم التصويت وفرز الأصوات في كل أمر، بل كان يشاور حسب ما يمليه عليه الوضع الذي كان يتعامل معه.

كما استشار النبي صلى الله عليه وسلم في شأن أسرى بدر، وجاءت النصيحة بعدم أخذ الأسرى بغرض الحصول على الفدية المالية. وهكذا امتثل لهذا الرأي، وإن تبين أنه خاطئ، إلا أن امتثاله لم يكن خطأ على الإطلاق، باعتبار أن خطابه كان من موقف القيادة قبل نزول هذه الآية: كما في الأنفال 67.

﴿ *مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ* ﴾

ولذلك قرر الإسلام في الشورى أمرين:

1. الشورى كمبدأ مطلق، كالإيمان بالله، وإقامة الصلاة للمؤمنين والكافرين، وفي كل ما يتعلق بالعلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

- الشورى عقيدة وعمل،

- المصطلح الجديد "الديمقراطية" هو الشورى في حد ذاته، باعتباره الوسيلة الناظمة للعلاقة بين المجتمع والفرد.

- أساس الإنسان الحر هو القدرة على قول "لا" وليس أن يكون إنسان "نعم".

2. إن الله تعالى لم يمنح الحق لأحد من عباده كائنا من كان أن يتكلم باسم الناس، أو يجبرهم على اتخاذ موقف معين بزعم أو بآخر. ولا حتى الرسل أنفسهم، حفاظاً على حرية الإنسان في تقرير رأيه.

- ديمقراطية التعبير عن الآراء والمواقف. فهو سبحانه يَنهى رسله عن أن يكونوا طغاة ظالمين يطمسون هويات الناس وشخصياتهم. وهذا ما جاء بوضوح في قول الله تعالى:

﴿ قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ [سورة الأنعام: 104]

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا ۗ وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [سورة الأنعام: 107]

﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ ۗ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ﴾ [سورة الشورى: 48]

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [سورة الشورى: 6]

نرى بوضوح في الآيات المذكورة أعلاه أن الله تعالى هو واهب الوجود للناس، فلا يحق لأحد غيره أن ينزعه من أحد، وأن الله تعالى هو المعطي للناس الحرية. فالاختيار هبة من الله مثل هبة الحياة نفسها، حتى الإيمان بالله أو الكفر به هو اختيار للناس.

كما أوضحنا سابقاً فإن الإسلام هو الدين منذ خلق الإنسان الواعي. فيمكن تصنيف الناس على وجه الأرض إلى:

غير المسلمين: هم الذين ينكرون وجود الله، أو يشركون بالله، أو ينكرون اليوم الآخر، أو يفسدون في الأرض.

المسلمون: هم الذين يؤمنون بأن الله واحد لا شريك له، وآمنوا باليوم الآخر، وعملوا الصالحات.

وبناء على ذلك هناك:

الذين يتبعون تعاليم النبي موسى هم مسلمون،

الذين يتبعون تعاليم النبي عيسى هم مسلمون،

الذين يتبعون تعاليم النبي محمد مسلمون مؤمنون.

تعريف الدولة المدنية

يتم تعريف الدولة المدنية على أنها تتمتع بالمؤهلات التالية:

1. السكان الدائمون
2. الأراضي المحددة،
3. الحكومة،
4. القدرة على الدخول في علاقات مع الدول الأخرى.

دستور الدولة الديمقراطية المدنية:

بشكل عام، يحدد الدستور كيفية تنظيم جميع عناصر الحكومة وكيفية توزيع السلطة بين الوحدات السياسية المختلفة. فهو يحتوي على قواعد حول ماهية السلطة التي تمارس، ومن يمارسها، وعلى من تمارسها في

حكم البلد. ويؤكد القيم الديمقراطية المتمثلة في كرامة الإنسان والمساواة والحرية.

4. الدستور في الرؤية القرآنية:

إن مصطلح "الديمقراطية" الجديد جزء لا يتجزأ من مفهوم الشورى باعتباره الوسيلة الناظمة للعلاقة بين المجتمع والفرد. أما الشورى فهي مبدأ مطلق، كالإيمان بالله، وإقامة الصلاة للمؤمنين والكافرين، وفي كل ما يتعلق بالعلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

وفي حين أن القيم في الدول الديمقراطية يكتبها البشر وتخضع للتغيير بموجب القوانين التشريعية البشرية، فإن هذه القيم في الإسلام هي قيم إلهية أنزلها الله وتسري على جميع البشر.

الرؤية القرآنية تشمل:

أولاً: القيم الأخلاقية التي تجلت في القرآن من حيث التحريم، وهي تلك المذكورة في الوصايا العشر والفرقان، والتي عبر عنها القرآن صراحة بالمحرمات الأبدية التي لا يمكن تغييرها أو زيادتها أو نقصانها وهي:

1. لا تشرك بالله أحداً أو شيئاً (فالله واحد)، 2. لا تسيء إلى والديك، 3. لا تقتل أولادك من الفقر؛ 4. ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن 5. ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق 6. ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن. حتى يبلغ أشده، 7. ولا تغشوا وأوفوا الكيل والميزان بالقسط، 8. وإذا شهدتم فاعدلوا ولو كان قريباً أو نسبياً، 9. وأوفوا بالعهود

10- المحرمات الجنسية كما جاء في الآيتين 23 و 24 من سورة النساء:

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ

تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾"

﴿ ۞ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۖ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ ۚ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾

11- «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ» سورة المائدة 12- "... وأحل الله البيع وحرم الربا....." البقرة 275

13- "قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا"

14 "... وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون".

ونلاحظ أن آيات النهي لا تبدأ بقوله: "يا أيها الذين آمنوا"، فهي عامة لجميع الناس وليس فقط أتباع النبي محمد. وقد بين الله تفاصيل كل آية نهي، فلا مجال للاجتهاد فيها.

وهذه المحظورات تمثل في الواقع القيم المثالية التي يعتبرها كل إنسان عزيزة على قلبه. وتلتزم معظم دول العالم بأغلبية هذه القيم.

ثانياً: حقوق الإنسان: إن حقوق الإنسان في الإسلام منحها الله تعالى، ولا يملك أي مجلس تشريعي في العالم، أو أي حكومة على وجه الأرض الحق أو السلطة في إنكارها أو إلغائها. بعض هذه الحقوق تشمل:

1. الحقوق العامة:

(أ) الحق في الحياة

(ب) الحق في مستوى معيشي أساسي

(ج) حق الفرد في حرية الدين وحرية الفكر والحرية السياسية والحريات المدنية

(د) الحق في العدالة

(هـ) المساواة بين البشر

(و) حرمة الحياة الخاصة وأمنها

(ز) الحق في الاحتجاج ضد الاستبداد

(ح) حماية الانتماء الديني والمشاعر الوطنية

2. حقوق الطفل:

يضمن الإسلام للطفل العديد من الحقوق المختلفة

(أ) حق الطفل في الحياة

(ب) اثبات نَسَب الطفل

(ج) حضانة الأطفال من قبل الوالدين

(د) المساواة بين جميع الأطفال ذكوراً وإناثاً

(هـ) تعليم الطفل

(و) اللعب المسموح به

(ز) الرضاعة

(ح) تربية الطفل على الأخلاق الحميدة

(ط) حق الطفل في النفقة

(ي) رعاية الأطفال الأيتام

3. حقوق المرأة

(أ) المســـاواة في الحقوق في جميع الجوانب بغض النظر عن الجنس أو الانتماء الديني أو العرق

(ب) الحق في شغل أي وظيفة وفقاً لمؤهلاتها وخبرتها

(ج) حق الانتخاب والترشح للمناصب العامة

(د) حق المهر عند الزواج

(هـ) حقوق الإجازة أثناء فترة الحمل والإرضاع

(و) الحق في طلب الطلاق في حالة خيانة الزوج أو ظُلمه

ثالثاً: يجب أن يتضمن الدستور ويطبق المفاهيم والمبادئ التالية:

المساءلة

في الاستخدام الحديث، يعد مصطلح "المساءلة" مرادفًا لـــ "المسؤولية" و"المســاءلة" بمثابة "آلية للسـيطرة على السـلطة وتدجينها ومنع إسـاءة استخدامها بموجب إجراءات معينة من قبل الحكومة".

لقد كانت المســاءلة السـياسـية حاسـمة في تحديد حقوق المواطن في منع الظلم والطغيان من قبل أصـــحاب الســلطة. وتحقيقها يجســد فكرة الحكم الرشيد ذاتها. فهو يجمع بين عنصرين رئيسيين: التنفيذ والمساءلة.

- يضـــمن إنفاذ القانون إجراء انتخابات حرة ونزيهة، وهي متطلبات مؤسسية أساسية للديمقراطية. وتتجلى "الحرية" في حرية التعبير وحرية تكوين الجمعيات وحرية المشـــاركة لكل مواطن؛ الناخب والحزب. إن الانتخابات الحرة وحدها لا تكفي لضـمان الدور الفعال لعملية المســاءلة. فيجب أن تكون الانتخابات نزيهة أيضًـا، حيث تكون القواعد والإجراءات عادلة على حد ســـواء ومحمية من الاحتيال والتلاعب من قبل من هم في السلطة.

كما يجب أن يكون هناك "انفتاح" و"شـفافية" في عملية الحكم. ولا يمكن تحقيق ذلك إلا في حالة وجود عنصرين رئيسيين آخرين في أجواء حقيقية من المسـاءلة: وسـائل الإعلام الحرة والرقابة التشـريعية على السـلطة التنفيذية. فحرية الصحافة أمر بالغ الأهمية في أي بلد ديمقراطي. وتراقب وسائل الإعلام عن كثب أداء الأجهزة القضائية والتشريعية والتنفيذية.

المسـاءلة تتطلب وجود مؤسـسـة تشـريعية تتمتع بسـلطة إجبار السـلطة التنفيذية على تفسير أفعالها المتعلقة بالإغفال أو التكليف. وهذا يتطلب أن يتم تشكيل السلطة التشريعية على أساس ثلاثة مبادئ.

- أولاً: الاعتراف بالحق المشـروع ودور المعارضـة في كافة الأمور التشريعية.

- ثانياً، التدقيق البرلماني غير المحدود في كافة شؤون السياسة وتشكيلها وتطورها وتنفيذها.

- ثالثا، الدور الداعم للجان النيابية والجهات الحكومية. وتعد الشـفافية في تمويل الأحزاب وكذلك الكشف عن الأصول من بين الخصائص الحاسمة للمساءلة السياسية في العديد من الدول المتقدمة.

المسـاءلة والشـفافية في الإسـلام مسـتمدة من مفهوم الأمانة. تشـير الأمانة كمفهوم سياسي إلى أن الله قد أعطى الثقة للبشر لتقديم وتنفيذ توجيهاته من خلال العدالة والإنصـاف في حياتهم. ويصـبح كل فرد متلقيًا لهذه الثقة، وبالتالي عليه أن يقف في احترام رهيب أمام شـعبه الذي سـيُدعى تجاهه ومن أجله إلى ممارسة واجبه. وهذا المفهوم منصوص عليه في القرآن: " *﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّـةٌ يَـدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَـأْمُرُونَ بِـالْمَعْرُوفِ وَيَنْـهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾* " (آل عمران: 104).).

- أكد الخليفة الأول أبو بكر الصديق على أهمية المساءلة وطبيعة أصحاب السـلطة في المجتمع في أول خطاب له للمجتمع المسـلم بعد انتخابه خليفة

بقولـه: "وتعـاونوا معي إذا كنـت على حق وصـــحوني عنـدمـا أخطـئ؛ وأطيعوني ما اتبعت وصية الله ورسوله.

- الخليفة الرابع علي بن أبي طالب في وصـيته لوالي مصـر مالك الأشـتر أكد أنه: "من خارج دوام عملك حدد وقتاً للمشـتكين، ولمن يريد أن يتقرب إليك بشكوى عن المظالم. خلال هذا الوقت، لا ينبغي عليك القيام بأي عمل آخر سوى الاستماع إليهم والانتباه إلى شكاواهم وتظلماتهم. ولهذا الغرض يجب عليك ترتيب لقاء عام لهم؛ خلال هذا الحضـــور، عاملوهم باللطف والمجاملة والاحترام. لا تَدَعوا جيشـــكم وشـــرطتكم يتواجدون في قاعة الحضـور في مثل هذه الأوقات، حتى يتمكن مَن لديهم مظالم ضـد نظامكم من التحدث إليكم بحرية ودون تحفظ ودون خوف.

5. بناء الدولة الحديثة في ضوء تعاليم القرآن:

فكرة الدولة الإسلامية هي الموضوع الأكثر نقاشا بين المؤيدين والمعارضين. كان ميثاق المدينة بمثابة نوع من الدستور الأولي لـ "دولة" المدينة المنورة، والذي تجاوز البنية القبلية وتجاوز الحدود القبلية في مسائل الحكم المشترك. فمن واجبات المسلمين الأساسية "الأمر المعروف والنهي عن المنكر". وهذا يعطي بوضوح الاتجاه الأخلاقي والروحي للمجتمع الإسلامي. ومع ذلك، فإن ميثاق المدينة يمكن أن يكون بمثابة مبدأ توجيهي يجب محاكاته، وليس نموذجاً يمكن تكراره. لقد قدمت الوثيقة ثلاث مكونات لتشكيل الدولة وهي: دستور، وموافقة، ومشاورة.

المسلمون في كل العصور ملزمون بإيجاد الشكل الذي يلبي احتياجاتهم على أفضل وجه. ولكن هناك شرط واحد: أن يتوافق مع القيم الإنسانية العالمية التي سبق بيانها.

<u>الملامح الرئيسية لهذه الدولة المقترحة</u>:

- ليس من الضروري أن تتوافق الأشكال والوظائف الخارجية للدولة مع أي سابقة تاريخية. وفي الواقع، كل ما على هذه الدولة أن تفعله هو أن تُجَسِّد، في دستورها وممارستها، تلك القيم الواضحة التي لها تأثير مباشر على حياة المجتمع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

- يجب إنشاء السلطتين التنفيذية والتشريعية عن طريق الانتخابات. ويجب أن تكون جميع الأنشطة الحكومية نتيجة للتشاور بين ممثلي المجتمع المعتمدين.

- يجب أن يكون لكل رئيس في وظيفة تنفيذية لجنة استشارية (عدد قليل) من الخبراء للتداول في الأمور الجادة قبل اتخاذ القرار.

- في حالة الخلاف بين السلطتين التشريعية والتنفيذية، يجب إحالة النزاع إلى هيئة من المحكمين [القضاء – المحكمة العليا] الذين سيقررون، بعد

دراسة محايدة للمشكلة، أي الرأيين المتعارضين أقرب إلى روح القيم المذكورة سابقا. ويجب أن تكون هذه المحكمة العليا حامية للدستور.

- تضمن الدولة الحقوق التالية لمواطنيها، بغض النظر عن انتمائهم الديني/المذهبي:

حرية الرأي: إن الحق في التعبير الحر عن آرائك قولاً وكتابة هو حق أساسي لجميع المواطنين.

توفير الأمن الاجتماعي والسياسي لجميع مواطنيها ورفض إشراف الشرطة السرية، والاعتقال لمجرد الاشتباه والسجن دون إدانة من قبل محكمة قانونية.

التعليم المجاني والإلزامي: تلتزم الدولة بإتاحة التعليم مجاناً لكل مواطن ومواطنة.

- تسخير جميع موارد الدولة لتوفير سبل العيش الأساسية لجميع المواطنين، ويجب أن تكون جميع الفرص مفتوحة بالتساوي لجميع مواطنيها "حتى لا يتمتع أحد بمستوى معيشي مرتفع على حساب الآخرين".

- العدل :التأكد من أن العدل يسود المجتمع، وأن يكون لكل مواطن - رجلاً وامرأة وطفلاً - ما يكفيه من طعام وملبس، ويُساعد في حالة المرض، وأن يكون له مسكن لائق يعيش فيه". .

- مكانة المرأة: مكانة المرأة في المجمل تساوي مكانة الرجل. ومن أجل الحفاظ على سعادة الإنسان وكرامته، تتولى الدولة مسؤولية توفير الرفاهية المادية والمرافق الاقتصادية للمواطنين دون أي تمييز على أساس الجنس. فيمكن للمرأة أن تنتَخِب وتُنتَخب كأعضاء في المجلس التشريعي لتصبح عضوا في مجلس الشورى، على أساس المؤهلات.

- حماية المواطنين: من واجبات الدولة الأساسية حماية مواطنيها من التصرفات غير القانونية التي يقوم بها أي شخص أو مجموعة، وذلك من خلال إنشاء وكالات متخصصة لتنفيذ التدابير من أجل:

1. حماية الدولة/الأمة من الأعداء الخارجيين.

2. الحفاظ على الحرية والعدالة والمساواة. ورفع الإكراه عن جميع الناس، بغض النظر عن قناعاتهم ومعتقداتهم.

3. المحافظة على الأرض من الفساد، سواء بفساد البيئة أو بفساد الأخلاق.

4. المحافظة على بيوت الله التي تقام فيها الشعائر بأنواعها من الهدم.

5. حماية الناس من الطرد من منازلهم

6. منع حدوث اعتداء خارجي أو داخلي على الأرواح أو الممتلكات أو الحريات بمختلف أنواعها (حرية العمل والكسب والتجارة والتنقل/حرية التعبير/حرية المعتقد/حرية الشعائر الدينية).

6. الهيكل التنظيمي للدولة المدنية الحديثة المقترحة

الدستور

التأكد من ترسيخ الديمقراطية في مفهوم الشورى باعتباره الوسيلة بين المجتمع والفرد. فالشورى مبدأ مطلق مثل الإيمان بالله.

التأكد من أن المسؤولين التنفيذيين والتشريعيين والقضائيين يتم اختيارهم عن طريق انتخابات حرة ونزيهة من الشعب.

التأكد من مراعاة القيم الأخلاقية من حيث المحرمات الأبدية الأربعة عشر المذكورة سابقاً.

ضمان تنفيذ حقوق الإنسان كما منحها الله. فلا يملك أي مجلس تشريعي في العالم، أو أي حكومة على وجه الأرض، الحق أو السلطة في رفض أو إلغاء هذا القرار.

تفعيل تطبيق مفاهيم المساءلة والشفافية

المجلس التشريعي	الجهاز التنفيذي	المجلس القضائي
مجلس نواب الشعب	رئيس	ويتم اختيار القضاة من قبل الناخبين على مستوى الولايات والمناطق
الانتخابات على مستوى المنطقة	نائب الرئيس	محكمة الدولة العليا
	الانتخاب المباشر من قبل جميع أبناء الشعب	ـ القضاة

الوزراء هم القادة السياسيون:

ويتم تعيينهم في الغالب من قبل رئيس الدولة بشرط مصادقة مجلس ممثلي الشعب والأعضاء القضائيين. العمل التنفيذي السياسي لمدة محددة.

تتمثل مهمتهم: صياغة السياسات والحصول على الموافقة على هذه السياسات والقوانين من الهيئة التشريعية. وبعد ذلك، يتم تنفيذ سياسات وقوانين الدولة هذه من قبل موظفي الخدمة المدنية الذين يعملون تحت سيطرة السلطة التنفيذية السياسية. السلطة التنفيذية السياسية هي التي ترأس الحكومة. كل وزير هو رئيس إدارة أو وكالة حكومية ما.

وظائف السلطة التنفيذية

- صنع السياسات
- إنفاذ القوانين
- وظائف إبرام المعاهدات

- وظائف الدفاع والحرب والسلام
- صنع السياسة الخارجية

(2) السلطة التنفيذية الدائمة غير السياسية (موظفو الخدمة المدنية):

وتتكون من موظفي الخدمة المدنية (البيروقراطية) من أدنى المستويات إلى أعلى المستويات. وتقوم بالإدارة اليومية من خلال العمل في الدوائر الحكومية. موظفو الخدمة المدنية محايدون سياسيا. وهم لا يدينون بالولاء لأي حزب سياسي.

3. السلطة التشريعية

من بين السلطات الأخرى، تضع السلطة التشريعية جميع القوانين، وتعلن الحرب، وتنظم التجارة الداخلية والتجارة الخارجية، وتتحكم في سياسات الضرائب والإنفاق.

مهام السلطة التشريعية

الوظيفة الرئيسية للسلطة التشريعية، سواء كانت على مستوى الولاية أو على مستوى المنطقة، هي سن القوانين. يسمى القانون المقترح مشروع قانون ويتم تقديمه لأول مرة من قبل أحد أعضاء مجلس النواب. ثم يتم إسناد مشروع القانون إلى لجنة من أعضاء مجلس النواب من الخبراء في الموضوعات المعروضة على لجنتهم الخاصة. هناك تتم مناقشة مزايا مشروع القانون أو عيوبه. إذا "مات" مشروع القانون أو لم يستمر خلال العملية التشريعية لأي سبب من الأسباب، فغالبًا ما يحدث ذلك في هذه اللجنة.

إذا اعتمدت اللجنة مشروع قانون، فإنها تذهب بعد ذلك إلى مجلس النواب لمناقشة مشروع القانون من قبل كل عضو من أعضائه. إذا حصل

مشـروع القانون على أغلبية الأصـوات، فقد تم تمريره في ذلك الجزء من الهيئـة التشـــريعيـة. ثم يمر عبر العمليـة برمتهـا مرة أخرى في مجلس القضـاء. وإذا حصـل على أغلبية أصـوات الدعم في السـلطة القضـائية، فسيتم إقرار المشروع كقانون.

يحدد الدستور صلاحيات السلطة التشريعية.

تؤدي الجمعيـة التشـــريعيـة ثلاثـة أدوار مهمـة في وظيفتهـا المتمثلـة في الإشراف على الحكومة: الدور التشريعي، والدور المالي، ودور التحقيق.

الدور التشريعي

إن إقرار القوانين هو الوظيفة الأكثر شـــيوعًا التي تنســـب إلى الجمعية التشريعية

الدور المالي

في كل عام يقترح وزير الماليـة الميزانيـة على المجلس التشـــريعي. يتم عرض تقديرات النفقات المتوقعة لكل وزارة ووكالة حتى يتمكن الأعضاء من مراجعة ميزانية كل وزير بالتفصـــيل. تحدث هذه العملية في المقام الأول في مجال الســـياســـات ولجان مجلس النواب وتتكون من الوزير والمسـؤولين التابعين له الذين يجيبون على أسـئلة أعضـاء اللجنة قبل منح الأموال المطلوبة.

دور الاستعلام

ومن أجل فحص أنشـــطة الحكومة بشـــكل فعال، يجب أن تتاح للجمعية التشريعية الفرصـة للحصـول على المعلومات. تساعد قدرة الأعضـاء على طرح الأســـئلة في تكوين الرأي العام حول العديد من القضـــايا التي تهم الدولة. يمكن للأعضـــاء الحصـــول على المعلومات إما عن طريق طرح الأسـئلة على المسـؤولين التنفيذيين الحكوميين؛ أو لتحريك اقتراح بالعودة يطلب إعادة بعض المعلومات إلى الجمعية.

وظائف السلطة القضائية

تتمثل مهام السلطة القضائية فيما يلي:

إقامة العدل

الوظيفة الأساسية للقضاء هي ضمان العدالة للشعب.

تفسير وتطبيق القوانين

القوانين توضع من قبل صاحب السيادة في البلاد. تم وضع هذه القوانين لتنظيم أفعال معينة، وهدفها النهائي هو الحفاظ على القانون والنظام في المجتمع. ودور القضاء هو تطبيق هذه القوانين على القضايا المعروضة عليه للوصول إلى القرار الصحيح.

حماية الحقوق

يتمتع النظام القضائي بصلاحية تحقيق التوازن بين حقوق والتزامات المواطنين في مجال إقامة العدل. وبما أن كلا من السلطة التشريعية والحكومة يمكنهما استخدام السلطة لتغيير حقوق الناس، فلا بد من وجود شخص يلعب دور الحامي. ويحمي القضاء حقوق المواطنين عندما يكون هناك تجاوز من جانب الحكومة.

المراجعة القضائية

وبما أن القضاء هو حامي الحقوق وحارس الدستور، فهو يبذل قصارى جهده لضمان عدم قيام المشرع بسن قوانين تقيد حقوق الناس. المراجعة القضائية هي الإجراء الاستباقي الذي تستخدمه السلطة القضائية لمراجعة تصرفات السلطتين التشريعية والتنفيذية.

التحكيم

تؤدي السلطة القضائية أيضًا وظيفة المحكم عندما تكون هناك نزاعات بين حكومات الولايات المختلفة أو بين الحكومة المركزية وحكومات المقاطعات.

وظيفة استشارية

تتحمل المحاكم، وخاصة المحاكم العليا، مسؤولية تقديم المشورة للحكومة أو ما يعادلها من رئيس الدولة في المسائل القانونية. وبما أن السلطة القضائية تتكون من عقول قانونية كبيرة في البلاد، فيمكن لرئيس الدولة طلب المشورة من قضاة أعلى محكمة في البلاد.

اختيار القضاة

وتتحمل السلطة القضائية أيضًا مسؤولية اختيار القضاة أو نقلهم أو ترقيتهم. هناك عدة طرق متبعة في بلدان مختلفة لاختيار القضاة. في بعض البلدان مثل سويسرا، يتم انتخاب القضاة من قبل الشعب، وفي بلدان أخرى، يتم إجراء الانتخابات من قبل المجلس التشريعي.

المحكمة العليا

وهي أعلى محكمة في البلاد ومحكمة الاستئناف النهائية. وتضم 11 قاضياً، من بينهم رئيس المحكمة العليا. السوابق التي وضعتها المحكمة وقراراتها ملزمة لجميع المحاكم الدنيا في البلاد.

المحاكم الجزئية

وتخضع المحاكم الجزئية للمحاكم العليا. وهذه موجودة على مستوى المنطقة وتتعامل مع القضايا الجنائية والمدنية على حد سواء.

رسالة إلى القارئ العزيز

أيها القارئ الكريم،
إذا وصلت إلى هذه الصفحة، فاعلم أنك سافرت معنا في *رحلة في رحاب القرآن* .
رحلة لم تكن دراسية، بل إنسانية. لم تكن وعظًا، بل مكاشفة.

- رأينا كيف أن القرآن ليس كتابًا دينيًا جامدًا، بل رسالة حياة.
- وأن الإيمان ليس طقوسًا، بل تحرر ومسؤولية.
- وأن الله لا يطلب منك أن تكون مثاليًا، بل صادقًا.

بعد الرحلة... أين تبدأ؟

الآن، أغلق هذا الكتاب، وافتح كتاب الله. اقرأ منه كل يوم، آية واحدة على الأقل، لكن لا تمرّ عليها مرورًا عابرًا.

- اسأل نفسك: *ماذا تقول لي هذه الآية؟*
- دوّن خواطرك، حتى لو كانت بسيطة.
- وابدأ رحلتك الشخصية مع القرآن... على طريقتك، بلغتك، وبقلبك.

دعوتي الأخيرة لك...

لا تجعل القرآن كتاب رمضان فقط. ولا كتاب العزاء والموتى. اجعلْه كتاب صباحك، ورفيق مسيرتك، ومصدر وعيك وأملك. ففيه دواء القلوب، ونور العقول، وأمان الأرواح.

اللهم اجعل القرآن ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وجلاء أحزاننا، وذهاب همومنا.
اللهم علمنا منه ما جهلنا، وذكرنا منه ما نُسّينا، وارزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار على الوجه الذي يرضيك عنا.

آمين.

مع محبتي ودعائي
د. محمد حسن عمر

تعريف

لقد كان التحصيل العلمي دائماً أساس نجاحي في الحياة. ولدت في فلسطين عام 1942 م. ومنذ السادسة من عمري وجدت نفسي في مواجهة تحديات كثيرة نتيجة لظروف النكبة على فلسطين. فمنذ الطفولة أدركت أن أول كلمات الوحي "اقرأ" كانت تخاطبني وتحضني على التعلُّم.

حصلت على الثانوية وكنتُ بتوفيق الله من العشرة الأوائل في المملكة الأردنية الهاشمية فتأهلت للحصول على منحة دراسية في الجامعة الامريكية في بيروت. تخرَّجت عام 1963 غير متوقع أن أجد نفسي بعد بضعة سنوات كغيري من الفلسطينيين في الخارج غير مسموح لي بالعودة إلى بلدي الواقع تحت الاحتلال الإسرائيلي.

بعد سنوات من العمل تمكنت من متابعة دراساتي العليا وحصلت على شهادة الدكتوراة في مجال إدارة نظم المعلومات عام 1979م من جامعة تكساس تك في أمريكا. عملت بعدها في التدريس في جامعات أمريكية ومن ثم عملت في المملكة العربية السعودية رئيساً لعدد من الشركات في مجال التقنية والاتصالات.

أتاح لي مجال عملي الفرصة للسفر والمشاركة في الكثير من المؤتمرات في العديد من البلدان في آسيا وأوروبا وأمريكا. رأيت كيف أن العالم أصبح قرية صغيرة، كل من فيها يبحث عن طريقة توصل إلى السعادة والطمأنينة المادية منها والروحية.